

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * »

سورة يوسف ، آية (١٠٨)

وقال تعالى :

« ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * »

سورة الجاثية ، آية (١٨)

أجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات المطلوبة

الأسم ((رباعي)) : يحيى بن عبدالفتاح بن عبدالله باقاسي
الاطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير
عنوان الاطروحة ((الأساس العقائدي لنهضة المسلمين العلمية والحضارية))
الكلية : التربية : القسم : تربيته إسلامية
التخصص : تربيته إسلامية ..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد ..
فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الاطروحة المذكورة عاليه والتي تمت مناقشتها بتاريخ : ١٢ / ٩ / ١٤٠٤ هـ
بقبول الاطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة وحيث قد تم عمل اللازم .. فإن اللجنة توصي بأجازة الاطروحة في
صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكلمي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ..
والله الموفق ..

أعضاء اللجنة

المشرف	الأسم : د . بشير حاج التوم	مناقش من داخل القسم	الأسم : د . عمر حسين عطام	مناقش من خارج القسم	الأسم : د . أحمد محمد بناني
التوقيع :		التوقيع :		التوقيع :	

يعتمد :
رئيس قسم التربية الإسلامية والمعارضة

د . نجم الدين بن عبدالغفور الانديجاني

* يوضع هذا النموذج أمام المفحه المقابلة لمفحة عنوان الاطروحة في كل صفحه من الرسالة ..

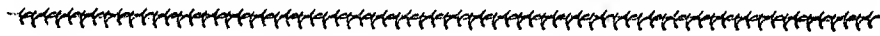


المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

الأساس العقائدي لنهضة المسلمين العلمية والحضارية



اعداد الطالب

يحيى بن عبد الفتاح بن عبد الله باقاسي

اشراف الدكتور

بشير حاج التوم



دراسة مقدمة الى قسم التربية الاسلامية والمقارنة في كلية التربية

بجامعة أم القرى مُطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الاسلامية

جامعة أم القرى ١٤٠٩ هـ

ملخص البحث

عنوان البحث : " الأساس العقائدي لنهضة المسلمين العلمية والحضارية "

الاسم : يحيى بن عبدالفتاح بن عبدالله باقاسي .

الهدف من الدراسة :

تهدف هذه الدراسة الى ايضاح الاساس العقائدي الصحيح المستنبط من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وابرار اهم آثار الالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة في المجالين العلمي والحضاري ، وكذلك ابرار اهم آثار البعد عن العقيدة الإسلامية في الوقت الحاضر في المجالين العلمي والحضاري .

اهمية الدراسة :

يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة الى :

- ١ - لغت انظار المسلمين عامة بان العقيدة الإسلامية هي القوة الحقيقية الدافعة لكل خير ولكل تقدم في كافة المجالات وخاصة في المجالين العلمي والحضاري .
- ٢ - تعريف المسلمين بان ما أصابهم من تخلف في كافة المجالات إنما سببه البعد عن الالتزام بالعقيدة الإسلامية وليس التمسك بالعقيدة الإسلامية .
- ٣ - تعريف المسلمين عامة بان العقيدة الإسلامية الصحيحة اذا طبقت التطبيق الصحيح في أي زمان ومكان فانها تاتي بنفس النتائج الإيجابية التي جاءت للجيل الأول في كافة المجالات .
- ٤ - ارشاد المسلمين الى السبيل الوحيد الذي لابد أن يسلكوه لكي يحققوا لأنفسهم تقدما في كافة المجالات وخاصة المجالين العلمي والحضاري .

هذا وقد استخدم الباحث في هذه الدراسة مناهج البحث التالية :-
المنهج الاستنباطي ، المنهج التاريخي ، المنهج الوصفي .
وفي نهاية الدراسة توصل الباحث الى نتائج وتوصيات من أهمها :-

اولا : النتائج :-

- ١ - ان العقيدة الإسلامية هي القوة الحقيقية الدافعة لكل عمل خير ، فهي الدافعة للتخلق بالأخلاق الحسنة ، وهي الدافعة لإنشاء نهضة علمية مباركة مقبده بتقوى الله وفضيحه ومتخلقة بالأخلاق الحميدة ، وهي الدافعة لعمارة الارض بمقتضى المنهج الرباني الذي ينشئه حضارة انسانية شاملة وملتزمة بالإخلاق الإسلامية الحميدة .
- ٢ - ان الاجيال الأولى من أبناء الأمة الإسلامية عندما التزمت بالعقيدة الإسلامية فانها انشأت اكبر حركة علمية واكبر حركة حضارية في تلك القرون .
- ٣ - ان الأمة الإسلامية عندما ابتعدت عن العقيدة الإسلامية في العصور الحالية حدث لها كل انواع التخلف في مختلف المجالات ، حدث لها التخلف العلمي والحضاري والاقتصادي والحربي والسياسي والفكري والثقافي ..
- ٤ - اذا التزم العالم المسلم بالعقيدة الإسلامية الصحيحة التزاما قويا فان ذلك ينعكس على علمه بحيث لايمدر منه الا كل علم نافع ومفيد سواء كان ذلك في مجال العلوم الانسانية او في مجال العلوم الطبيعية .
- ٥ - اذا طبقت العقيدة الإسلامية الصحيحة التطبيق الصحيح في أي زمان ومكان فانها تاتي بنفس النتائج الإيجابية التي جاءت بها الاجيال الأولى .

ثانيا : التوصيات :-

- ١ - المبادرة بالعمل على نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة بين المسلمين في كافة ارجاء العالم الاسلامي ، لأن العقيدة الإسلامية الصحيحة هي الدافعة لكل عمل خير ينشده المسلمون اليوم .
- ٢ - على القائمين على نظم التعليم في البلاد الإسلامية أن يعملوا بجد على جعل التعليم في بلدانهم تعليما اسلاميا وذلك عن طريق صياغة كافة مناهج المواد الدراسية في كل المراحل التعليمية صياغة اسلامية صحيحة وفق المنهج الرباني .
- ٣ - على النظم السياسية في العالم الاسلامي أن تعمل على محو الأمية بين جميع الفئات من أبناء المسلمين وذلك ضمن خطة موحدة ومحددة الاجل ، لأن الأمة الأمية التي لا تقرأ ولا تكتب لايمكن أن تقوم فيها نهضة علمية أو حضارية .
- ٤ - على المسؤولين عن التعليم العام والجامعات في العالم الاسلامي أن يسهلوا ويركزوا على تعليم العلوم التجريبية والمادية بكل فروعها الكيميائية والطبيعية والميكانيكية النظرية والتطبيقية من منظور اسلامي بحت ، لأن هذه التخصصات تنقص الأمة الإسلامية وهي في أمس الحاجة اليها .
- ٥ - يجب الاهتمام بترجمة العلوم التجريبية والمادية بكل فروعها مع التحفة والتقليل من ترجمة العلوم الاجتماعية بكل فروعها ، مع ملاحظة صياغة المفاهيم المخالفة للعقيدة الإسلامية صياغة اسلامية أثناء الترجمة ، وكذلك تمحيصها وبيان ما فيها من انحراف .

يعتمد عميد كلية التربية

د. هاشم بكر حري

اشراف الدكتور

بشير حاج التوم

اعداد الطالب

يحيى بن عبدالفتاح بن عبدالله باقاسي

(ب)

شكر وتقدير
~~~~~

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره أولاً وآخرى على أن وفقني لاتمام  
هذه الدراسة .

ثم أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير إلى أستاذى الفاضل معالى  
الدكتور / بشير حاج التوم الذى بذل لى من التوجيه والنصح ما كان له  
الأثر البالغ فى انجاز هذه الدراسة فى صورتها النهائية .

قائمة المحتويات

| الموضوع                                                        | رقم الصفحة |
|----------------------------------------------------------------|------------|
| الفصل التمهيدي :                                               |            |
| - مقدمة البحث                                                  | ١          |
| - موضوع الدراسة والتساؤلات                                     | ٣          |
| - أهداف الدراسة                                                | ٤          |
| - أهمية الدراسة                                                | ٤          |
| - منهج الدراسة                                                 | ٥          |
| - حدود الدراسة                                                 | ٦          |
| - الدراسات السابقة                                             | ٧          |
| الفصل الأول : العقيدة الإسلامية وأثرها في تربية العقل والخلق . | ١١         |
| أولا : المعنى اللغوي للعقيدة                                   | ١.٢        |
| ثانيا : المعنى الاصطلاحي للعقيدة :                             | ١٦         |
| ١ - عند بعض قدماء علماء المسلمين                               | ١٦         |
| ٢ - عند بعض الكتاب المحدثين                                    | ١٨         |
| ثالثا : ورود بعض مشتقات الفعل الثلاثي " عقد " في القرآن الكريم | ١٩         |
| رابعا : تعريف العقيدة الإسلامية                                | ٢١         |
| خامسا : أهمية العقيدة الإسلامية                                | ٢٢         |
| سادسا : علاقة العقيدة الإسلامية بالآيمان                       | ٢٤         |
| سابعا : التوحيد أساس العقيدة الإسلامية                         | ٢٥         |
| ثامنا : خصائص العقيدة الإسلامية                                | ٣٢         |
| تاسعا : أسس العقيدة الإسلامية                                  | ٤٥         |
| - أثر العقيدة الإسلامية في تربية العقل :                       | ٦١         |
| ١ - تعريف العقل في اللغة ، وعند بعض علماء المسلمين             | ٦١         |
| ٢ - أهمية العقل                                                | ٦٣         |
| ٣ - بيان أثر العقيدة الإسلامية في تربية العقل                  | ٦٥         |

|     |                                                                         |
|-----|-------------------------------------------------------------------------|
| ٨٣  | - أثر العقيدة الإسلامية في تربية الخلق :                                |
| ٨٣  | ١ - أهمية الأخلاق                                                       |
| ٨٧  | ٢ - تعريف الخلق في اللغة                                                |
| ٨٧  | ٣ - تعريف الخلق لدى بعض قدماء العلماء المسلمين                          |
| ٨٧  | ٤ - تعريف الخلق لدى بعض العلماء المسلمين المحدثين                       |
| ٨٩  | ٥ - تعريف الأخلاق في الإسلام                                            |
| ٨٩  | ٦ - مفهوم الأخلاق في الإسلام                                            |
| ٩٢  | ٧ - بيان أثر العقيدة الإسلامية في تربية الخلق                           |
| ٩٧  | الفصل الثاني : أهم آثار الالتزام بالعقيدة الإسلامية في المجال العلمي :  |
| ٩٨  | - مفهوم العلم في الإسلام                                                |
| ١٠٨ | - أهمية العلم في الإسلام                                                |
| ١١٤ | أولا : أثر الالتزام بالعقيدة الإسلامية في حياة الإمام أحمد بن حنبل      |
|     | وانتاجه العلمي .                                                        |
| ١٢٢ | ثانيا : آثار عامة في المجال العلمي :                                    |
| ١٢٢ | ١ : ظهور علوم جديدة                                                     |
| ١٣٧ | ٢ : نشاط حركة الترجمة                                                   |
| ١٤٣ | ٣ : إنشاء المدارس العلمية                                               |
| ١٥٠ | ٤ : إنشاء المكتبات                                                      |
| ١٥٨ | ٥ : ابتكار المنهج العلمي التجريبي                                       |
| ١٦٣ | الفصل الثالث : أهم آثار الالتزام بالعقيدة الإسلامية في المجال الحضاري : |
| ١٦٤ | - مفهوم الحضارة في الإسلام                                              |
| ١٧٣ | أولا : أثر الالتزام بالعقيدة الإسلامية في حياة الحسن بن المهيم          |
|     | وانتاجه في مجال الحضارة                                                 |
| ١٨٨ | ثانيا : آثار عامة في المجال الحضاري :                                   |
| ١٨٨ | ١ : الإهتمام بالزراعة                                                   |
| ١٩٧ | ٢ : العناية بإقامة الصناعات                                             |

|     |                                                                                 |
|-----|---------------------------------------------------------------------------------|
| ٢١٩ | ٣ : إنشاء المستشفيات                                                            |
| ٢٣٠ | الفصل الرابع : آثار البعد عن العقيدة الإسلامية في المجالين<br>العلمي والحضاري : |
| ٢٣١ | - تمهيد                                                                         |
| ٢٣٢ | - أسباب بعد المسلمين عن العقيدة الإسلامية :                                     |
| ٢٣٣ | أولا : أسباب ذاتية                                                              |
| ٢٦٢ | ثانيا : أسباب خارجية                                                            |
| ٢٨٩ | - أهم آثار البعد عن العقيدة الإسلامية في المجال العلمي :                        |
| ٢٨٩ | ١ - الجمود الفكري                                                               |
| ٢٩٣ | ٢ - التخلف العلمي                                                               |
| ٢٩٨ | ٣ - التبعية الفكرية                                                             |
| ٣٠٦ | ٤ - سوء اختيار مواد العلوم المترجمة                                             |
| ٣١١ | - أهم آثار البعد عن العقيدة الإسلامية في المجال الحضاري :                       |
| ٣١١ | ١ - التبعية الحضارية                                                            |
| ٣١٦ | ٢ - التخلف الزراعي                                                              |
| ٣٢٠ | ٣ - التخلف الصحي                                                                |
| ٣٢٣ | ٤ - التخلف الاقتصادي                                                            |
| ٣٢٧ | الفصل الختامي :                                                                 |
| ٣٢٨ | - التناهي                                                                       |
| ٣٢٩ | - التوصيات                                                                      |
| ٣٣١ | - قائمة المصادر والمراجع                                                        |

## الفصل التمهيدي

- مقدمة البحث
- موضوع الدراسة والتساؤلات
- أهداف الدراسة
- أهمية الدراسة
- منهج الدراسة
- حدود الدراسة
- الدراسات السابقة

بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة البحث :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . . . أما بعد :

شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى وحكمته أن يبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مجتمع عربي جاهلي يصفه أحد أفراد ه بقوله \* : " كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسئ الجوار (ونئد البنات) ويأكل القوى منا الضعيف " (١) .

وكان العرب قبل البعثة المحمدية قبائل متفرقة لا تجمعهم أى رابطة من الروابط، وكانت كل قبيلة من هذه القبائل مشغولة بالحروب التى تشنها على الأخرى لأتفه الأسباب ، كما كان العرب قبل البعثة المحمدية أميين لا يعرفون القراءة والكتابة كما أخبر القرآن بذلك ، ولم يحدثنا التاريخ بأن العرب قبل البعثة المحمدية تفوقوا فى علم من العلوم - إلا الشعر - الرياضية أو الطبيعية ، ولم يحدثنا كذلك بأن العرب قبل البعثة المحمدية كانت لهم نهضة علمية أو حضارية .

ولكن عند ما بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالعقيدة الإسلامية النقية من كل الشوائب إلى ذلك المجتمع تغير كل شىء فيه ، فحين اعتنق هؤلاء الناس هذه العقيدة وطبقوا تعاليمها فى واقع حياتهم خرجت منهم خير أمة أخرجت للناس ، وحين اعتنق هؤلاء الناس هذه العقيدة وطبقوا تعاليمها فى واقع الحياة نشروا الخير للناس كافة وأخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام ، وحين اعتنق هؤلاء الناس هذه العقيدة وطبقوها فى واقع حياتهم جعلت منهم أمة العلم والرقى والحضارة ، بل جعلت منهم زعماء العالم فى العلم والحضارة .

( ١ ) محمد بن عبد الملك بن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ،

مصر ، المكتبة التوفيقية ، د . ت . د . ط . ج ١ ، ص ٢٣٠ .

\* هو جعفر بن أبى طالب .

وكل ذلك من خلال تعاليمها وتوجيهاتها الربانية التي ما تركت أى جانب من جوانب الحياة الا وشملته .

واليوم نرى الأمة الاسلامية فى مصاف الأمم المتخلفة علميا وحضاريا ، بل إنها من أكثر الأمم والشعوب تخلفا ، وهذا راجع فى نظر الباحث إلى عدم التزامهم بالإلتزام الصحيح بالعقيدة الاسلامية الصحيحة .

وهناك من يرى من أعداء الأمة الاسلامية أن سبب تخلف الأمة الاسلامية فى المجالين العلمى والحضارى يرجع إلى تسكها بالعقيدة الاسلامية .

لذلك رأى الباحث أن يقوم بد راسة تحت عنوان " الأساس العقائدى ل نهضة المسلمين العلمية والحضارية " ، يوضح فيها الأساس العقائدى الاسلامى الصحيح باعتباره هو القوة الحقيقية الدافعة لكل تقدم فى كافة مجالات الحياة ، وخاصة فى المجالين العلمى والحضارى ، ويوضح فيها أيضا أن تخلف المسلمين فى المجالين العلمى والحضارى يرجع إلى تسكهم بالعقيدة الاسلامية إنما يرجع إلى عدم تسكهم بالعقيدة الاسلامية .

أسأل الله العلمى القدير أن يوفقنى فى علمى هذا إنه سميع مجيب .



موضوع الدراسة والتساؤلات :

لاحظ الباحث أن أعداء الأمة الإسلامية يركزون دائما على تشويه العقيدة الإسلامية ، فهم يزعمون أن كل ما أصاب المسلمين من تخلف كان بسبب تمسكهم بالعقيدة الإسلامية ، أى أن العقيدة الإسلامية هى سبب التخلف !  
 ويزعمون أن العقائد الدينية عموما والعقيدة الإسلامية بصفة خاصة لا تتفق مع العلم وأن التمسك بها لا يؤدي إلى أى تقدم علمي أو حضارى ، بل يقف حجر عثرة فى سبيل ذلك كله . ( ١ )

كما لاحظ الباحث أن كثيرا من أبناء الأمة الإسلامية صدقوا ما رددته الأعداء وأخذوا يتخلون عن عقيدتهم الإسلامية ويقلدوا الكفرة فى شتى مجالات الحياة .  
 لذلك رأى الباحث أن يقوم بدراسة تحت عنوان " الأساس العقائدى لنهضة المسلمين العلمية والحضارية " ، يوضح فيها الأساس العقائدى الإسلامى الصحيح باعتباره القوة الحقيقية الدافعة لكل تقدم فى كافة مجالات الحياة وخاصة فى المجالين العلمى والحضارى ، ويثبت فيها علميا أن العقيدة الإسلامية هى السبب فى دفع معتققيها الأوائل لإنشاء أكبر حركة علمية وأكبر حركة حضارية فى تلك القرون ، ويثبت فيها علميا أيضا أن سبب تخلف المسلمين فى المجالين العلمى والحضارى إنما يرجع إلى عدم تمسكهم بالعقيدة الإسلامية الصحيحة .

ويمكن أن تصاغ هذه الدراسة فى التساؤلات الرئيسية التالية لكى تتم الإجابة عليها بإذن الله :

س ١ :- ما هو الأساس العقائدى لنهضة المسلمين العلمية والحضارية ؟

وينبثق من هذا السؤال السؤالان التاليان :

س :- ما أثر العقيدة الإسلامية فى تربية العقل ؟

س :- ما أثر العقيدة الإسلامية فى تربية الخلق ؟

( ١ ) أنظر: محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، الدمام ، دار الإصلاح ، د . ت ، د . ط ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، وانظر كذلك : محمد قطب : واقعنا المعاصر ، جدة ، مؤسسة المدينة للصحافة ، ١٤٠٧ هـ ، ص ١٨٤ .

- س ٢ :- ما هي أهم آثار الالتزام بالعقيدة الإسلامية في المجال العلمى ؟
- س ٣ :- ما هي أهم آثار الالتزام بالعقيدة الإسلامية في المجال الحضارى ؟
- س ٤ :- ما هي أهم آثار البعد عن العقيدة الإسلامية في المجالين العلمى والحضارى ؟

### أهداف الدراسة :

- ١ - إيضاح الأساس العقائدى الصحيح المستنبط من القرآن الكريم والسنة المطهرة .
- ٢ - إبراز أهم الآثار التى ظهرت فى الجانبين العلمى والحضارى نتيجة لتطبيق الأساس العقائدى .
- ٣ - إبراز أهم آثار البعد عن تطبيق الأساس العقائدى فى الوقت الحاضر فى المجالين العلمى والحضارى .

### أهمية الدراسة :

- يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى :
- ١ - لفت أنظار المسلمين عامة بأن العقيدة الإسلامية هي القوة الحقيقية الدافعة لكل خير ولكل تقدم فى كافة المجالات وخاصة فى المجالين العلمى والحضارى .
  - ٢ - تعريف المسلمين بأن ما أصابهم من تخلف فى كافة المجالات إنما سببه البعد عن الالتزام بالعقيدة الإسلامية ، وليس التمسك بالعقيدة الإسلامية .
  - ٣ - تعريف المسلمين عامة بأن العقيدة الإسلامية الصحيحة إذا طبقت التطبيق الصحيح فى أى زمان ومكان فإنها تأتى بنفس النتائج الإيجابية التى جاءت للجيل الأول فى كافة المجالات .
  - ٤ - إرشاد المسلمين إلى السبيل الوحيد الذى لا بد أن يسلكوه لكي يحققوا لأنفسهم تقدماً فى كافة المجالات وخاصة المجالين العلمى والحضارى .

منهج الدراسة :

سيتم بمشيئة الله في هذا البحث استخدام المناهج التالية :

١ - المنهج الاستنباطي :

وهو المنهج الذى يقوم على إستنباط الحقائق من مصادرها الأساسية .<sup>(١)</sup>  
وحيث إن جميع أسس العقيدة الإسلامية وتعاليمها موجودة فى القرآن الكريم  
وكتب السنة الشريفة فإنه يمكن الإستفادة من هذا المنهج فى إستنباط أسس  
وتعاليم العقيدة الإسلامية من هذين المصدرين الأساسيين ثم تجميعها  
والتأليف بينها على نسق مستوحى من طبيعة الاسلام ، ومن ثم إلقاء الضوء  
عليها باعتبارها هى القوة الحقيقية التى كان لها الدور الكبير فى دفع  
المسلمين الأوائل - عند ما التزموا بها - إلى كل ما وصلوا إليه فى مجال  
النهضة العلمية والحضارية .

كما يمكن الإستفادة من هذا المنهج فى إستنباط بعض القيم الأخلاقية من  
الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ، والتى كان لها الأثر  
الكبير فى تمييز نهضة المسلمين العلمية والحضارية عن غيرها .

٢ - المنهج التاريخي :

" وهو المنهج الذى يقوم على إسترداد الماضى تبعاً لما تركه من آثار " .<sup>(٢)</sup>  
فهو بهذا يعتمد على تقصى الأحداث والوقائع التى تمت فى الماضى ثم  
تحليلها وتفسيرها بغية الوصول إلى تعميمات تساعد على فهم الحاضر  
والمستقبل .<sup>(٣)</sup>

---

( ١ ) عبد الرحمن النحلاوى : التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، بيروت ، المكتب  
الإسلامي ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٥ .

( ٢ ) أحمد فؤاد باشا : فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، مصر ، دار المعارف ، ١٤٠٤ هـ ،  
ص ١١٢ .

( ٣ ) جابر عبد الحميد جابر : أحمد خيرى كاظم ، مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ،  
القاهرة ، النهضة العربية ، ١٣٨٨ هـ ، ط ٢ ، ص ٤٠ .

وسوف يستفاد من هذا المنهج عند تقصى بعض مظاهر الحركة العلمية الإسلامية، والحركة الحضارية الإسلامية التي جاءت نتيجة للإلتزام بالعقيدة الإسلامية إلتزاماً جيداً .

كما سوف يستفاد من هذا المنهج عند دراسة سير بعض العلماء المسلمين ونتائجهم الفكرى الذى كان له أكبر الأثر فى إظهار النهضة العلمية والحضارية بالمظهر الجيد والتميز .

### ٣ - المنهج الوصفى :

وهو المنهج الذى يقوم بوصف ما هو كائن ، ثم تفسيره وتحليله والخروج بعد ذلك بنتائج ذات دلالة بالنسبة لموضوع البحث . ( ١ )

وسوف يستفاد من هذا المنهج عند وصف بعض مظاهر الواقع العلمى الحالى والواقع الحضارى ، وذلك لإيضاح آثار البعد عن الإلتزام بالعقيدة الإسلامية فى المجالين العلمى والحضارى .

كما أنه سوف يستفاد من هذا المنهج فى الخروج بنتائج وتوصيات يمكن أن تسهم فى تحسين واقع المسلمين العلمى والحضارى .

### حدود الدراسة :

بالنسبة للحدود الزمانية للآثار الإيجابية الناتجة عن الإلتزام بالعقيدة الإسلامية فى المجالين العلمى والحضارى فإنها تتمثل فى السبعة القرون الإسلامية الأولى . أما الحدود المكانية لهذه الآثار فإنها تشمل معظم حواضر العالم الإسلامى فى تلك الفترة .

وبالنسبة للحدود الزمانية للآثار السلبية الناتجة عن البعد عن الإلتزام بالعقيدة الإسلامية فى المجالين العلمى والحضارى ، فإنها تتمثل فى القرن الرابع عشر الهجرى وبداية القرن الحالى " الخامس عشر الهجرى " .

أما الحدود المكانية لهذه الآثار فإنها تشمل العالم الإسلامى فى العصر الحالى .

( ١ ) جابر عبد الحميد جابر، أحمد خيرى كاظم : مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

الدراسات السابقة :

١ - العقيدة أساس التربية والنظم الاسلامية . ( ١ )

وتتكون هذه الدراسة من مدخل وثلاثة أبواب :

تحدث الباحث في المدخل عن : -

١ - تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً ، ثم علاقة العقيدة بالإيمان .

٢ - تعريف الإسلام لغة واصطلاحاً ، ثم علاقة الإسلام بالإيمان .

٣ - تعريف التربية لغة واصطلاحاً ، ثم المفهوم الإسلامي للتربية .

٤ - تعريف النظم لغة واصطلاحاً ، ثم طبيعة النظم الإسلامية .

الباب الأول بعنوان : أثر العقيدة في تربية النفس .

ويتفرع منه عدة فصول : -

الفصل الأول : أثر الإيمان بالله في تربية النفس .

الفصل الثاني : أثر الإيمان بالملائكة في تربية النفس .

الفصل الثالث : أثر الإيمان بالكتب في تربية النفس .

الفصل الرابع : أثر الإيمان بالرسول في تربية النفس .

الفصل الخامس : أثر الإيمان باليوم الآخر في تربية النفس .

الفصل السادس : أثر الإيمان بالقدر في تربية النفس .

الباب الثاني بعنوان : إرتكاز التوجيهات التي تنظم حياة المجتمع الإسلامي على العقيدة

وتتفرع منه عدة فصول :-

الفصل الأول : التوجيهات السياسية .

الفصل الثاني : التوجيهات الحربية .

الفصل الثالث : التوجيهات الاقتصادية .

الفصل الرابع : التوجيهات الأخلاقية .

---

( ١ ) محمد حافظ الشريدة : العقيدة أساس التربية والنظم الاسلامية ، رسالة

دكتوراه في الشريعة الاسلامية ، اشراف محمد قطب ، ١٤٠٣ هـ .

الباب الثالث بعنوان : صور من واقع المجتمعات المختلفة .

ويتفرع منه عدة فصول :-

الفصل الأول : واقع المجتمع الإسلامى فى عصوره الأولى .

الفصل الثانى : واقع المجتمعات الكافرة المعاصرة .

الفصل الثالث : واقع أمتنا اليوم وكيف نربّيها على العقيدة .

والملاحظ على هذه الدراسة أنها ركزت فى الباب الأول على إيضاح أثر الإيمان بأركان الإيمان الستة فى تربية النفس الإنسانية ، ثم أوضح فى الباب الثانى توجيهات العقيدة لبعض النظم الإسلامية ، وتحدث عن التوجيهات السياسية والحربية والاقتصادية والأخلاقية ، أما فى الباب الثالث الذى هو بعنوان : صور من واقع المجتمعات المختلفة ، فإن الباحث تحدث فيه عن واقع المجتمع الإسلامى فى عصوره الأولى ، وعن واقع المجتمعات الكافرة فى العصر الحالى ، وعن الأمة الإسلامية فى العصر الحالى ، وكيف نربّيها على العقيدة .

وبذلك فإن هذه الدراسة تختلف عن دراستنا ، حيث إن الباحث فى الدراسة الحالية سوف يقوم بدراسة مفصلة يوضح فيها الأساس العقائدى الإسلامى الصحيح باعتباره القوة الحقيقية الدافعة لنهضة المسلمين العلمية والحضارية ، وباعتباره من أهم العوامل التى ساهمت فى تهيئة الأمة الإسلامية لأن تكون أمة ذات نهضة علمية وحضارية .

ثم يقوم بعد ذلك ببيان أثر العقيدة الإسلامية فى تربية " العقل والخلق " ، باعتبارهما وسيلتين أساسيتين فى بناء أى نهضة علمية وحضارية ، وباعتبار أنهما يحتاجان إلى أن يوجهتا توجيهاً ربانياً لكي يتم للنهضة العلمية والحضارية القائمة على هاتين الوسيلتين الموجهتين توجيهاً ربانياً البقاء والعطاء والخير والاستمرار ، أما إذا لم توجه هاتين الوسيلتين توجيهاً ربانياً فإنهما تضلان عن السراط المستقيم المرسوم لهما من البارئ عز وجل ، وتصبح النهضة العلمية والحضارية القائمة عليهما وبالاً على الإنسانية كما هو واقع بالنسبة للنهضة العلمية والحضارية الغربية .

ثم بعد أن يوضح الباحث الأساس العقائدى الاسلامى الصحيح ، وأثر العقيدة فى تربية " العقل والخلق " ، يقوم بإيضاح أهم آثار الالتزام بالعقيدة الاسلامية فى المجال العلمى والمجال الحضارى وذلك عن طريق عرض بعض مظاهر الحركة العلمية والحضارية التى حدثت فى القرون الاسلامية الأولى .

بعد ذلك يقوم الباحث بإيضاح أهم آثار البعد عن الالتزام بالعقيدة الاسلامية فى المجالين العلمى والحضارى ، وذلك عن طريق عرض بعض مظاهر التخلف العلمى الذى يعانى منه العالم الاسلامى فى العصر الحالى ، وكذلك عن طريق عرض بعض مظاهر التخلف الحضارى الذى يعانى منه العالم الاسلامى فى العصر الحالى .

## ٢ - أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها . ( ١ )

ويتكون هذا الكتاب من مقدمة وبابين :

الباب الأول : البناء الفكرى للحضارة الاسلامية .

ويتفرع منه عدة فصول :-

الفصل الأول : الحق والباطل ، وذكر فيه أن من أسس الحضارة الاسلامية

الالتزام بعباد الحق ومناصرته والنفور من الباطل ومكافحته .

الفصل الثانى : الخير والشر ، وذكر فيه أن من أسس الحضارة الاسلامية مبدأ

فعل الخير وترك الشر والعمل على قمعه .

الفصل الثالث : العالمية والشمول فى رسالة الحضارة الاسلامية ، وذكر أن

الحضارة الاسلامية مفتوحة الحدود ، ممتدة الأرجاء ، شاملة

لكل ما فى الحياة من مجالات تقدم وارتقاء فى أسسها الفكرية

والنفسية والمادية ، فهى حضارة لا تحدّها حدود ضيقة من

الفكر فتحجبها عن أى كمال من الكمالات ، ولا تحدّها

حدود ضيقة عن النفس فتحصرها ضمن الدوائر الانانية

العنصرية أو القومية أو الطبقية ، أو غيرها ، ولا تحدّها

حدود مكانية ولا حدود زمانية .

( ١ ) عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى : أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها ، دمشق -

الفصل الرابع : المثالية والواقعية ، وذكر أن من أسس الشريعة الإسلامية  
العامّة الكبرى الدافعة إلى كل مجد حضارى المثالية فى  
العقائد والأهداف والغايات ، والواقعية فى الأعمال  
ومناهج الحياة .

الباب الثانى : وسائل بناء الحضارة الإسلامية بناءً واقعياً .

ويتفرع منه عدة فصول :

الفصل الأول : التعلم والتعليم .

الفصل الثانى : تطبيق العلم بالعمل .

الفصل الثالث : التربية .

الفصل الرابع : الجدال بالتي هي أحسن .

الفصل الخامس : إقامة الحكم الإسلامى .

الفصل السادس : الجهاد فى سبيل الله .

والملاحظ على هذه الدراسة أنها ركزت فى الباب الأول على البناء الفكرى للحضارة  
الإسلامية ، حيث تناول المؤلف مواضيع هذا الباب بالدراسة من وجهة النظر  
الإسلامية ، وفى الباب الثانى ركز المؤلف على وسائل بناء الحضارة الإسلامية بناءً  
واقعياً ، والذي يخصنا من هذا الباب الفصل الثالث ، الذى تحدث فيه المؤلف  
عن التربية كوسيلة من وسائل بناء الحضارة الإسلامية ، وذكر أن التربية تكون بالدعوة  
إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وباستماله الأنفس بالترغيب بمحابها الخيرة ،  
وبالترهيب مما تكره من شر أو ضرر أو أذى ، ثم بعد ذلك أخذ فى شرح كل نوع من  
هذه الأنواع الثلاثة على حده .

وبذلك فإن هذه الدراسة تختلف عن دراستنا ، حيث إن الباحث فى هذه  
الدراسة سوف يستعرض - بالإضافة إلى ما سبق ذكره فى الدراسة السابقة الأولى -  
سير بعض العلماء المسلمين الذين التزموا بالعقيدة الإسلامية ، وكان لها الأثر  
الفعال فى مواقفهم وفى إنتاجهم العلمى .



## الفصل الأول

### العقيدة الإسلامية وأثرها في تربية العقل والخلق

- أولا : المعنى اللغوي للعقيدة .
- ثانيا : المعنى الاصطلاحي للعقيدة :
  - ١ - عند بعض قدماء علماء المسلمين .
  - ٢ - عند بعض الكتاب المحدثين .
- ثالثا : ورود بعض مشتقات الفعل الثلاثي "عقد" في القرآن الكريم .
- رابعا : تعريف العقيدة الإسلامية .
- خامسا : أهمية العقيدة الإسلامية .
- سادسا : علاقة العقيدة الإسلامية بالآيمان .
- سابعا : التوحيد أساس العقيدة الإسلامية .
- ثامنا : خصائص العقيدة الإسلامية .
- تاسعا : أسس العقيدة الإسلامية .
- أثر العقيدة الإسلامية في تربية العقل :
  - ١ - تعريف العقل في اللغة، وعند بعض علماء المسلمين .
  - ٢ - أهمية العقل .
  - ٣ - بيان أثر العقيدة الإسلامية في تربية العقل .
- أثر العقيدة الإسلامية في تربية الخلق :
  - ١ - أهمية الأخلاق .
  - ٢ - تعريف الخلق في اللغة .
  - ٣ - تعريف الخلق لدى بعض قدماء العلماء المسلمين .
  - ٤ - تعريف الخلق لدى بعض العلماء المسلمين المحدثين .
  - ٥ - تعريف الأخلاق في الإسلام .
  - ٦ - مفهوم الأخلاق في الإسلام .
  - ٧ - بيان أثر العقيدة الإسلامية في تربية العقل .



بسم الله الرحمن الرحيم

أولا : المعنى اللغوي للعقيدة

"العقيدة" من المصدر "عقد" والمصدر عقد جاء هو ومشتقاته بعدة معان

منها مايلى :

- ١ - الإقتناء والإتلاك : يقال اعتقد ضيعة ومالا : أى اقتناها (١).
- واعتقد مالا وأخا : أى اقتناه (٢).
- ٢ - الضيعة : حيث أن العقدة : الضيعة والجمع عقد (٣).
- ٣ - الصلابة : يقال اعتقد الشيء صلب (٤).
- ٤ - عقد اليمين : والعقد : عقد اليمين (٥) .

- (١) اسماعيل بن حماد الجوهري : الصحاح ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٣٩٩ هـ ، ط ٢ ، ج ٢ ص ٥١٠ .
- (٢) أبى الحسن أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، مصر ، مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٩١ هـ ، ط ٤ ، ج ٤ ص ٨٦ .
- (٣) محمد بن أبى بكر عبدالقادر الرازي : مختار الصحاح ، ترتيب محمود خاطر ، القاهرة ، دار الحديث ، د . ت . د . ط ، ص ٤٤٥ .
- وأنظر أيضا : أبى بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي : مختصر العين ، قوم نصح وعلق على حواشيه وقدم له : علال الفاسي ، محمد بن تاووت الطبخي ، الدار البيضاء ، مكتبة الوحدة العربية ، د . ت . د . ط ، ص ٣٥ .
- (٤) صاحب اسماعيل بن عباد : المحيط في اللغة ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٣٩٥ هـ ، ج ١ ص ١٤٧ .
- وانظر : أ - ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ، ج ٤ ص ٨٦ .
- ب - الجوهري : الصحاح ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ٥١٠ .
- (٥) أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ، بيروت ، دار المعرفة ، د . ت . د . ط ، ص ٣٤١ .
- وانظر : ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ، ج ٤ ص ٨٦ .

قوله تعالى : « وَلَئِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ بِالْأَيْمَانِ (١) » .

٥ - العهد : العقد هو العهد ، وعاقدته مثل عاهدته (٢) . قال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ (٣) » .

٦ - الإلتواء : ناقة عاقد : أى تعقد بذنبها عند اللقاح (٤) . أى تلويحه ،

وتيس وكلب أعقد : ملتوى الذنب (٥) .

٧ - الخيط والقلادة : المعقاد : خيط تنظم فيه خرزات (٦) ، وقيل للقلادة عقد (٧) .

وعقد القلادة ما يكون طوار العنق أى مقداره (٨) .

٨ - احتباس الكلام : يقال وعقد لسانه : احتبس ، ولسانه عقد : أى فى كلامه

حبسه (٩) ، قال تعالى على لسان موسى « وَأَخْلَلْ عَقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي

يَفْقَهُوا قَوْلِي (١٠) » ، ورجل أعقد : فى لسانه عقدة (١١) .

٩ - الطعام : حيث أن العقيد ، اليعقيد ، يطلق على الطعام الذى يعقد بالعسل (١٢) .

( ١ ) سورة المائدة ، آية : ٨٩ .

( ٢ ) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ، ج ٤ ص ٨٦ .

وانظر : الراغب الاصفهاني : المفردات ، مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

( ٣ ) سورة المائدة ، آية : ١ .

( ٤ ) أبى بكر محمد بن الحسن الزيدى الاشبلى : مختصر العين ، مرجع سابق ،

ص ٣٥ . وانظر : الراغب الاصفهاني : المفردات ، مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

( ٥ ) الراغب الاصفهاني : المفردات ، مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

( ٦ ) ابن فارس : مرجع سابق ، ج ٤ ص ٨٦ .

( ٧ ) الراغب الاصفهاني : مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

( ٨ ) ابن فارس : مرجع سابق ، ج ٤ ص ٨٦ .

( ٩ ) الراغب الاصفهاني : مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

( ١٠ ) سورة طه ، آية : ٢٧ .

( ١١ ) أبى بكر بن الحسن الزيدى الاشبلى : مرجع سابق ، ص ٣٥ .

( ١٢ ) ابن فارس : مرجع سابق ، ج ٤ ص ٨٦ .

وانظر : الاشبلى : مرجع سابق ، ص ٣٥ .

- ١٠ - الجمع بين أطراف الشيء : حيث أن العُقْدُ الجمع بين أطراف الشيء ، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعُقْدِ البناء <sup>(١)</sup> .
- ويقال للرمل إذا تراكم واجتمع : عَقَدَ الرمل <sup>(٢)</sup> .
- ١١ - القوة : يقال جمل عَقْدٌ : أى قوى <sup>(٣)</sup> .
- ١٢ - الهَلَكَة : ويقال إذا أطبق الوادى على قوم فأهلكهم : عقد عليهم <sup>(٤)</sup> .
- ١٣ - الرجل القصير : يقال للرجل القصير " أَعْقَد " <sup>(٥)</sup> .
- ١٤ - الشدّ وشدّة الوثوق : " عقد " العين والقاف والدا ل أصل واحد يدل على شدّ وشدّة وثوق <sup>(٦)</sup> .
- ١٥ - اللزوم : يقال عَقَدَ قلبه على الشيء لزمه <sup>(٧)</sup> .
- ١٦ - التصديق : يقال واعتقد كذا : صدّقه <sup>(٨)</sup> ، وذكر التهانوى نقلاً عن شرح التجريد أن الاعتقاد يطلق على التصديق مطلقاً <sup>(٩)</sup> .
- ١٧ - الوجوب والإبرام : " والعُقْدَةُ " إسم لما يُعَقَدُ من نكاح أو بيع أو يمين أو غيرهم <sup>(١٠)</sup> .

- 
- ( ١ ) الراغب الاصفهاني : المفردات ، مرجع سابق ، ص ٣٤١ .
- ( ٢ ) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ، ج ٤ ص ٨٧ .
- ( ٣ ) الاشبيلي : مختصر العين ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .
- ( ٤ ) ابن فارس : مرجع سابق ، ج ٤ ص ٨٩ .
- ( ٥ ) المرجع السابق ، نفس المكان .
- ( ٦ ) المرجع السابق ، ج ٤ ص ٨٧ .
- ( ٧ ) أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقى المصرى : لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٣٧٥ هـ ، د . ط ، ج ٣ ص ٢٩٨ .
- ( ٨ ) المعلم بطرس البستاني : محيط المحيط ، قاموس مطول للغة العربية ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٧ م ، د . ط ، ص ٦١٨ .
- ( ٩ ) الشيخ المولى محمد أعلى بن على التهانوى : موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية المعروفة بكشاف اصطلاحات الفنون ، بيروت ، خياط ، د . ط ، ج ٤ ص ٩٥٤ .
- ( ١٠ ) الراغب الاصفهاني : مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

فَعُقْدَةُ النِّكَاحِ وَكُلُّ شَيْءٍ وَجُوبِهِ وَإِبْرَامُهُ (١)

١٨ - الثبات والإستحكام : يقال واعتقدت المودة بينهما : ثبتت (٢)

واعتقد الإخاء : ثبت (٣) . واعتقد الإخاء استحكم (٤)

١٩ - ما يَدَّيْنِ الإنسان به ، أو ما يعتقد به من تعاليم الدين :

"العقيدة : ما عقد عليه القلب والضمير وما يَدَّيْنِ الإنسان به (٥)

أو " ما تَدَّيْنِ به الإنسان واعتقده " (٦) . والمعتقد مصدرٌ ميميٌّ بمعنى

الاعتقاد وما يعتقده الإنسان من أمور الدين (٧)

مما سبق نلاحظ أن المصدر - عقد - قد جاء هو ومشتقاته بعدة معانٍ منها :  
الإقتناء ، والإمتلاك ، والضيعة ، والصلابة ، وعقد اليمين ، والعهد ، والإلتواء ، والخيط  
والقلادة ، واحتباس الكلام ، والطعام ، والجمع بين أطراف الشيء ، والقوة ، والهلكة ،  
والرجل القصير ، والشدة وشدة الوثوق ، واللزوم ، والتصديق ، والوجوب والإبرام ،  
والثبات والإستحكام ، وما يَدَّيْنِ الإنسان به أو ما يعتقد به من تعاليم الدين .

فإذا استعمل المصدر " عقد " هو ومشتقاته في الأمور المعنوية كعقد النكاح  
وعقود البيوع ، والعهود مثلا ، كان مجازاً ، وإذا استعمل في الأمور المادية كعقد  
البناء ، وعقد القلادة ، والطعام مثلا كان حقيقة ، وإذا استعمل فيما يعقد عليه

(١) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ، ج٤ ص ٨٦ .

وانظر : الأشبيلي : مختصر العين ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(٢) صاحب اسماعيل بن عباد : المحيط في اللغة ، مرجع سابق ، ج١ ص ١٤٧ .

(٣) ابن فارس : مرجع سابق ، ج٤ ص ٨٦ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج٣ ص ٢٩٨ .

(٥) المعلم بطرس البستاني : محيط المحيط ، مرجع سابق ، ص ٦١٨ .

(٦) لويس معلوف اليسوعي : المنجد في اللغة والأعلام ، بيروت ، دار المشرق ،

د . ت ، ط ٢٥ ، ص ٥١٩ .

(٧) المعلم بطرس البستاني : مرجع سابق ، ص ٦١٨ .

القلب والضمير، وما يدَّين به الانسان ويعتقده من أمور الدين كان حقيقة عرفية \* (١)

### ثانيا : المعنى الاصطلاحي للعقيدة

١ - عند بعض قدماء علماء المسلمين :

أ - الإمام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) :

العقيدة هي " الأمر الذي يجب أن يصدق به القلب، وتطمئن إليه النفس حتى يكون يقينا ثابتا لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك " (٢).

ب - عضد الدين عبدالرحمن أحمد الأيجي (ت ٧٥٦ هـ) :

ذكر أن المراد بالعقائد " ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل " (٣).

ج - علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) :

العقائد " ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل " (٤).

د - أحمد بن محمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥ هـ) :

العقائد الدينية هي " العلم المكتسب عن الأدلة اليقينية " (٥).

(١) محمد حافظ الشريدة : العقيدة أساس التربية والنظم الاسلامية، رسالة

دكتوراه في الشريعة الاسلامية، بجامعة أم القرى، نوقشت عام ١٤٠٣ هـ، ص ٣٥ .

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية : العقيدة الواسطية، اعداد وتقديم مصطفى

العالم، جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦ هـ، ط ٨، ص ٨ .

(٣) عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الأيجي : المواقف، بشرحه للمحقق

السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، مصر، مطبعة السعادة، ١٣٢٥ هـ،

ج ١ ص ٣٨ .

(٤) علي بن محمد بن علي الجرجاني : التعريفات، مصر، مصطفى البابي الحلبي،

١٣٥٧ هـ، ط ١، ص ١٣٣ .

(٥) أحمد بن محمد بن محمد المكناسي : أشرف المقاصد في شرح المقاصد، د م ،

المطبعة الخيرية مالكةها عمر حسين الخشاب، ١٣٢٥ هـ، ص ١٢ .

\* الحقيقة العرفية : هي ما صار اللفظ دالا فيها على المعنى بالعرف لا باللغة .

انظر : أحمد بن تيمية : الايمان، دمشق، المكتب الاسلامي، ١٤٠١ هـ، ط ٣، ص ٩٢ .

هـ - محمد أعلى بن على التهانوى (ت ١٥٨١ هـ) .

ذكر أن الاعتقاد له معنيان :

الأول : المعنى المشهور : وهو أن الاعتقاد حكم ذهني جازم يقبل التشكيك ، وهو بذلك يقابل العلم .

الثاني : المعنى غير المشهور : وهو أن الاعتقاد حكم ذهني جازم لا يقبل التشكيك ، وهو بذلك يقابل العلم والظن .<sup>(١)</sup>

و - محمد بن أحمد السفاريني (ت ١١٨٨ هـ) .

العقائد الدينية هي " العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية " .<sup>(٢)</sup>

ز - حاجي خليفة .

" العقائد جمع عقيدة وهي أحكام شرعية لا تتعلق بكيفية العمل ، وتسمى أحكاماً أصلية واعتقادية " .<sup>(٣)</sup>

مما سبق نلاحظ أن العقيدة بمعناها الاصطلاحي - عند بعض قدماء العلماء المسلمين - ليست أمورا عملية بل هي أمور نظرية ، يجب على الإنسان أن يعقدها في قلبه بمعنى أنها من أعمال القلوب وليست من أعمال الجوارح .<sup>(٤)</sup>

( ١ ) محمد أعلى بن على التهانوى : موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية ، مرجع سابق ، ج ٤ ص ٩٥٤ .

( ٢ ) محمد بن أحمد السفاريني : لوامع الانوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المعنية في عقد الفرقة المرضية ، م . د . ن . د . ت . د . ط ، ج ١ ص ٥ .

( ٣ ) مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، بيروت ، مكتبة المشي ، د . ت . د . ط ، ج ٢ ص ١١٤٢ .

( ٤ ) محمود أحمد خفاجي : في العقيدة الإسلامية بن السلفية والمعتزلة تحليل ونقد ، م . د . م . د . ن . د . هـ ، ج ١ ص ١٠ .

وذلك كاعتقاد الانسان بوجود خالقه ، وعلمه به ، وقد رته عليه ،  
ولقائه به بعد موته ونهاية حياته ، ومجازاته إياه على كسبه الإختياري ،  
وعليه غير الاضطراري .

وكاعتقاده بوجوب طاعته فيما بلغه من أوامره ونواهيه من طريق كتبه  
ورسله طاعة تزكو بها نفسه ، وتتهذب بها مشاعره ، وتكمل بها أخلاقه ،  
وتنظم بها علاقته بين الخلق والحياة .

وكاعتقاده بغنى ربه تعالى عنه ، وافتقاره هو إليه ، وفي كل شأنه  
حتى فى أنفاسه التى يرددها ، فبالله تعالى حياته ، وعليه وحده  
توكله واعتماده ان هو محط رجائه إذا طمع ، ومأمن خوفه إذا خاف  
بحبه يحب ، وببغضه يبغض ، هو مولا الذى لا مولى له غيره ، ومعبود  
الذى لا معبود سواه ، لا يرى ربوبية غيره ، ولا يعتقد الوهية سواه<sup>(١)</sup> .

ونلاحظ أن معظم تعريفات العلماء المحدثين لا تختلف عن تعريفات العلماء  
المتقدمين ، حيث إنها قد صيغت فقط بأسلوب أدبى حديث .

### ثالثا : ورود بعض مشتقات الفعل الثلاثى " عقد " فى القرآن الكريم

وردت فى القرآن الكريم الفاظ مشتقة من الفعل الثلاثى " عقد " من ذلك :

- ١ - قول الله تعالى : « وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ »<sup>(٢)</sup> .
- ورد فى هذه الآية لفظ " عقدة " ويعنى فى هذه الآية الإبرام والوجوب<sup>(٣)</sup> .
- ٢ - وقول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ »<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) أبو بكر جابر الجزائري : عقيدة المؤمن ، جدة ، دار الشروق ، ١٤٠٤ هـ ،  
ط ٤ ، ص ٢٣ .

( ٢ ) سورة البقرة ، آية : ٢٣٥ .

( ٣ ) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ، ج ٤ ص ٨٦ .

وانظر : الاشبيلي : مختصر العين ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

( ٤ ) سورة المائدة ، آية : ١ .



- (١) ورد في الآية لفظ "عقود" ويعني في هذه الآية العهد .
- ٣ - وقول الله تعالى : (( وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَاتُوهُمْ نَصِيحَهُمْ )) (٢) .
- وردت في هذه الآية لفظ "عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ" وتعني هذه الآية أيضا العهد . (٣)
- ٤ - وقول الله تعالى : (( وَلَكِنْ يُوْءَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيْمَانَ )) (٤) .
- ورد في هذه الآية لفظ "عقدتم" ويعني عقد اليمين . (٥)
- ٥ - وقول الله تعالى : (( وَأَحْلَلْ عَقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي )) (٦) .
- ورد في هذه الآية لفظ "عُقْدَةٌ" ويعني الإحتباس . (٧)
- ٦ - وقول الله تعالى : (( وَمِنْ شَرِّ النَّفَاثَاتِ فِي الْعُقَدِ )) (٨) .
- ورد في هذه الآية لفظ "العُقْدُ" ويعني هذا اللفظ هنا ما يعقده الساحر . (٩)
- مما سبق نلاحظ كلمة "عقيدة" لم تأت في القرآن الكريم بلفظها ، وإنما وردت بعدة ألفاظ مشتقة من الفعل الثلاثي "عقد" وكذلك لم ترد الألفاظ المشتقة من الفعل الثلاثي "عقد" في القرآن الكريم بمعنى تدين وأدعن وصدق ، بل وردت كما لاحظنا بعدة معاني هي الإبرام والوجوب والعهود ، وعقد اليمين ،

(١) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ، ج٤ ص ٨٦ .

وانظر : الراغب الأصفهاني : المفردات ، مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

(٢) سورة النساء ، آية : ٣٣ .

(٣) ابن فارس: مرجع سابق ، ج٤ ص ٨٦ .

الراغب الأصفهاني : مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

(٤) سورة المائدة ، آية : ٨٩ .

(٥) ابن فارس : مرجع سابق ، ج٤ ص ٨٦ .

الراغب الأصفهاني : مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

(٦) سورة طه ، آية : ٣٧ .

(٧) الراغب الأصفهاني : مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

وانظر : الاشبيلي : مختصر العين ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(٨) سورة الفلق ، آية : ٤ .

(٩) الراغب الأصفهاني : مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

التعامل . وهى بذلك - أى العقيدة الإسلامية - تتمثل فى كافة جوانب الحياة المختلفة . ( ١ )

#### خامسا : أهمية العقيدة الإسلامية

تعتبر العقيدة الإسلامية الغذاء الضرورى لحياة الروح ، فهى بذلك مهمة لروح الانسان ، كالطعام الذى يعتبر مهما لجسم الانسان ، وكالماء الذى يعتبر مهما لحياة الاسماك .

والعقيدة الإسلامية هى الطوق الواقى الذى يربط كيان الانسان ويوحده ، اتجاهه ويمنع انحلاله وانحرافه عن جادة الطريق القويم . ( ٢ )

وتتضح أهمية العقيدة أكثر عندما نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى أفرد لها مساحة واسعة من كتابه العزيز ، وأعطاه فترة طويلة حتى تستقر فى أعماق معتنقيها فلولا حفظنا الفترة التى نزل فيها القرآن فى مكة المكرمة - وهى ثلاثة عشر عاما - لوجدنا أن نصوص القرآن لا تكاد تخرج عن موضوع العقيدة ، ولا تناقش الا موضوعات العقيدة . ( ٣ )

وللعقيدة الإسلامية - وغيرها من العقائد - سلطان قوى على فكر الانسان ولورادته ، فهى التى ترسم للفكر وجهته ، وهى التى تدفع معتنقيها إلى الأعمال الملائمة لها . ( ٤ ) فما يكون من الأعمال من صلاح أو فساد فإنما مرجعه صلاح العقيدة

( ١ ) سيد قطب : معالم فى الطريق ، بيروت ، دار الشروق ، ١٣٩٩ هـ ، ط ٧ ،

ص ٨٦ .

( ٢ ) محمد قطب : فى النفس والمجتمع ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ ، ط ٧ ،

ص ١٣ .

( ٣ ) عبد الله عزام : العقيدة وأثرها . فى بناء الجيل ، عمان ، مكتبة الأقصى ،

١٤٠٠ هـ ، ط ٣ ، ص ٤٧ .

( ٤ ) محمد المجدوب : مشكلات الجيل فى ضوء الاسلام ، د . م ، دار الاعتصام ،

١٣٩٩ هـ ، ط ٣ ، ص ٤٧ .

وفسادها<sup>(١)</sup> . فعندما يعتنق الانسان عقيدة التوحيد ، ويؤسسها على وعلى وإخلاص فإنها تنهض بعمله نهضة مباركة<sup>(٢)</sup> . حيث إن نقطة البدء في كل نهضة علمية وحضارية هي العقيدة ، لأنها هي التي توجه القيم الموجهة للجماهير ، وهي أيضا الموجهة للأفكار التي توجه سلوك البشر<sup>(٣)</sup> .

وأى قيم أو مبادئ ، أو أفكار - بلا عقيدة دافعة وموجهة - مجرد كلمات خاوية أو على الأكثر معان ميتة ، حيث إن الشيء الوحيد الذي يمنح القيم والمبادئ والأفكار الحياة هي حرارة الإيمان المشعة من القلب<sup>(٤)</sup> .

وبصفة عامة فإن العقيدة الإسلامية هي الدافع لكل شيء في حياة المسلم .

" هي الدافع لإقامة (النظام) بكل مزاياه الربانية التي لا توجد في أنظمة البشر ومناهجهم ، وهي الدافع لحماية هذا النظام الربانى من أعدائه الذين لا يرغبون في رؤيته قائما في الأرض ، وهي الدافع لنشر الدعوة ، وللجهاد ، لكي تكون كلمة الله هي العليا في كل الأرض ، وهي الدافع للتخلق بالأخلاق الربانية التي ينبغى أن يكون عليها المسلم ، وهي الدافع للتعلم . وهي الدافع لعمارة الأرض على الطريقة الربانية المستنيرة الراشدة ، التي تنشئ حضارة (إنسانية) شاملة ، لا مادية ولا آليه متجردة عن الإنسانية ... " <sup>(٥)</sup>

(١) محمد أمين المصرى : لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها ، بيروت ،

القاهرة ، دار الفكر ، ١٣٩٨ هـ ، ط ٤ ، ص ٩١ .

(٢) حسن الترابي : الإيمان أثره في حياة الانسان ، الكويت ، دار القلم ،

١٤٠٣ هـ ، ط ٤ ، ص ٢٥٥ .

(٣) محمد جلال كشك : الطريق الى مجتمع عصرى ، القاهرة ، المختار الإسلامى ،

د . ت . د . ط ، ص ٢٠ .

(٤) سيد قطب : أفراح الروح ، الدمام ، دار ابن القيم ، ١٤٠٢ هـ ، ط ٢ ، ص ٢٣ .

(٥) محمد قطب : دراسات قرآنية ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ ، ط ٤ ،

ومن أجل ذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى جعل كل التنظيمات والتشريعات والتوجيهات مرتبطة بها ومنبثقة عنها (١).

### سادسا : علاقة العقيدة الإسلامية بالإيمان

سبق أن ذكر الباحث عند الكلام عن المعنى الاصطلاحي للعقيدة لدى بعض العلماء المسلمين القدامى والمحدثين أن العقيدة يقصد بها الأمور الاعتقادية التي ليس لها دخل بالعمل، بمعنى أنها من أعمال القلوب وليست من أعمال الجوارح .

أما الإيمان فقد جاء تعريفه بعدة الفاظ، ولكنها تؤدي إلى معنى واحد ، فقد عرف بأنه : "إعتقاد بالقلب ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان" (٢) . وكذلك عرف بأنه : "التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح" (٣) . ومن ذلك نلاحظ أن للإيمان ثلاثة عناصر :

١ - إعتقاد بالقلب . ٢ - إقرار باللسان . ٣ - عمل بالجوارح .

فالإعتقاد إذن عنصر أساسي من عناصر الإيمان الثلاثة، فهو يمثل ثلث الإيمان إن صح التعبير بذلك، هذا الثلث يمثل "قاعدة الإيمان وأصله، فالإيمان عقيدة تستقر في القلب إستقرارا يلزمه ولا ينفك عنه، ويعلن صاحبها بلسانه عن العقيدة المستكنة في قلبه، ويصدق الإعتقاد والقول بالعمل" (٤) .

(١) محمد قطب: دراسات قرآنية ، مرجع سابق ، ص ٢٦٩ .

(٢) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،

د . م . دار الفكر ، د . ت . ج ١ ص ٤٦ .

(٣) يحيى بن شرف بن مري النووي : صحيح مسلم بشرح النووي ، بيروت ، دار

الفكر ، ١٣٩٢ هـ ، ط ٢ ، ج ١ ص ١٤٧ .

(٤) عمر سليمان الأشقر: العقيدة في الله ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٩٨٤ م ،

طه ، ص ١٦ .

وكذلك " لو أقر شخص بلسانه وعمل على غير علم منه ومعرفة بربه لا يستحق إسم مؤمن ، ولو عرف وعمل وجحد بلسانه ، وكذب ما عرف من التوحيد لا يستحق إسم مؤمن ، وكذلك إذا أقر بالله تعالى ، وبرسلة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولم يعمل بالفرائض لا يسمى مؤمناً بالإطلاق (١) .

من ذلك نلاحظ أن العقيدة والإيمان لا يمكن فصلها عن بعض، فهما شيئان متلازمان لا يستغنى أحدهما عن الآخر، ولا يمكن لأحدهما أن يكون دون الآخر ،

" فمثل الإيمان كشجرة طيبة ضاربة بجذورها في الأرض الطيبة ، وبأسقة بسوقها في السماء ، مزهرة مشرة معطاءة ، تعطى أكلها كل حين بإذن ربها ، فالإيمان هو الشجرة ، وجذورها هي العقيدة التي تغلغل في قلب صاحبها ، والسوق والفروع والثمار هي العمل ، ولا شك أن الجذور إذا خلعت أو تعفنت فسدت الشجرة وبيست ، ولم يبق لها وجود ، وكذلك الإيمان لا يبقى له وجود إذا زالت العقيدة ، أما إذا قطعت الساق والفروع أو قطع بعض منها فإن الشجرة تضعف وتهزل ، وقد تموت كلياً لأن وجود الفروع والأوراق ضروري كي تحافظ الشجرة على بقائها ، وكذلك الأعمال إذا تركت أو ترك جزء منها ، فإن الإيمان ينقص أو يزول " (٢) .

#### سابعاً : التوحيد أساس العقيدة الإسلامية

لم يركز الدين الإسلامي على قضية الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى فقط ، لأن هذه القضية قضية فطرية . قال تعالى : « وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا » (٣) .

(١) يحيى بن شرف بن مري النووي : صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ،

ج ١ ص ١٤٧ .

(٢) عمر سليمان الأشقر : العقيدة في الله ، مرجع سابق ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ١٧٢ .

ولكنه ركز غاية التركيز على قضية أخرى هي قضية التوحيد ، التي هي لب الاسلام  
 وروح الاسلام (١) .

ذلك لأن الاسلام عند ما ظهر في جزيرة العرب ، كان الشرك ضاربا جذوره في  
 أعماق سكان هذه الجزيرة ، فكانوا يعبدون الأصنام ، ويعبدون الشمس والقمر .

قال تعالى :  
 « أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ - (٢) » .

وقال تعالى :  
 « وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ - (٣) » .

وكانت لهم بالإضافة إلى ذلك عادات زمنية ، وكانوا يعيشون حياة قبلية لا يوجد  
 فيها أي نوع من النظم التي عرفت فيما بعد نتيجة تعاليم الاسلام .

وبالإضافة إلى ما سبق أيضا ، كانوا لا يؤمنون بالبعث والحساب والجزاء .

قال تعالى :  
 « زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْصُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ - (٤) » .

وقد كان الشرك لديهم يتمثل في صورتين :

١ - في صورته الاعتقادية . ٢ - وفي صورته العملية (٥) .

فهم يعتقدون بوجود آلهة أخرى مع الله سبحانه وتعالى ، ويتوجهون إلى

( ١ ) يوسف القرضاوى : حقيقة التوحيد ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٤٠٥ هـ ، ط ٢ ، ص ٥٥ .

( ٢ ) سورة النجم ، آية : ١٩ - ٢٠ .

( ٣ ) سورة فصلت ، آية : ٣٧ .

( ٤ ) سورة التغابن ، آية : ٧ .

( ٥ ) محمد قطب : مفاهيم ينهض أن تصح ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ،

١٤٠٨ هـ ، ط ٢ ، ص ٢٨ .

غير الله بالعبادة ، قال تعالى :

« وَيَعْبُدُونِ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ » ( ١ ) .

وقال تعالى :

« وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ » ( ٢ ) .

إن الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى هي من أهم القضايا التي جاء بها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، من لدن نوح عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم . قال تعالى :

« إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ » ( ٣ ) .

وقال تعالى :

« وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ » ( ٤ ) .

والتوحيد هو "إفراد المعبود - سبحانه وتعالى - بالعبادة ، مع إعتقاد وحدته ذاتا وصفاتا وأفعالا ، فلا تقبل ذاته إلا نقسام بوجه ولا تشبه صفاته الصفات ولا تنفك عن الذات ولا يدخل أفعاله الاشتراك ، فهو الخالق دون من سواه " ( ٥ ) .

( ١ ) سورة يونس ، آية : ١٨ .

( ٢ ) سورة الزمر ، آية : ٣ .

( ٣ ) سورة النساء ، آية : ١٦٣ .

( ٤ ) سورة النحل ، آية : ٣٦ .

( ٥ ) محمد بن أحمد السفاريني : لوامع الأنوار البهية ، مرجع سابق ، ج ١ ص ٥٦ .

ويتمثل التوحيد في ثلاثة أنواع هي :

#### ١- توحيد الربوبية :

وهو توحيد الله بأفعاله سبحانه وتعالى ، مثل الخلق ، والرزق ، والإحياء ، والإماتة ، وغير ذلك . وهذا النوع من التوحيد لم ينكره الكفار في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، بل أقرّوا به <sup>(١)</sup> . قال تعالى :

« قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ، وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ » <sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى :

« قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ، قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ، قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ » <sup>(٣)</sup> .

ولكن بالرغم من إقرارهم بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق والرازق والمحيي والمميت فإنه لم يدخلهم في الإسلام ، بل قاتلهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم واستحل دماءهم وأموالهم <sup>(٤)</sup> لأنهم عبدوا غير الله مع الله .

( ١ ) الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب : خمس رسائل ،

ضمن مجموعة كتاب الجامع الفريد ، قدم له زيد بن عبد العزيز بن فياض ،

د . م . د . ن . د . ت . د . ط ، ص ٣٤٦ .

( ٢ ) سورة يونس ، آية : ٣١ .

( ٣ ) سورة المؤمنون ، الآيات : ٨٤-٨٥ .

( ٤ ) الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، مرجع سابق ،

ص ٣٤٦ .



## ٢ - توحيد الألوهية :

وهو " توحيد الله تعالى بأفعال العباد <sup>(١)</sup> التي تعبد هم بها وشرعها لهم ،  
ويسمى هذا النوع من التوحيد أيضا " بتوحيد العبادة ، والتوحيد الفعلى ...  
لتضمنه لأفعال القلوب والجوارح كالصلاة والزكاة والحج <sup>(٢)</sup> ، " والدعاء ، والنذر ،  
والنحر ، والرجاء ، والخوف ، والتوكل ، والرغبة ، والرغبة ، والإجابة " <sup>(٣)</sup> .  
ويجب أن تكون هذه العبادات كلها خالصة لله وحده لا شريك له ، ولا يجوز

صرفها لغير الله سبحانه وتعالى \* . قال تعالى :

(( وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا )) <sup>(٤)</sup> .

وقال تعالى :

(( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ )) <sup>(٥)</sup> .

وقال تعالى :

(( لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كُفٍ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ )) <sup>(٦)</sup> .

وهذا النوع من التوحيد هو الذي أرسل الله به الرسل إلى أممهم ، قال تعالى :

(( وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ )) <sup>(٧)</sup> .

( ١ ) عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ؛ خمس رسائل ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦ .

( ٢ ) عبد العزيز محمد السلطان : الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية ، الرياض ،

مطابع المجد التجارية ، ١٤٠١ هـ ، ط ١١ ، ص ٤١٨ .

( ٣ ) عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦ .

( ٤ ) سورة الجن ، آية : ١٨ . ( ٥ ) سورة الأنبياء ، آية : ٢٥ .

( ٦ ) سورة الرعد ، آية : ١٤ . ( ٧ ) سورة النحل ، آية : ٣٦ .

\* انظر : سوء مفهوم العبادة في الفصل الرابع من هذا البحث .

وقال تعالى :  
 « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۚ أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝ » (١)

وقال تعالى :  
 « وَلِإِيَّائِي عَابِدٌ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۚ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝ » (٢)

وقال تعالى :  
 « وَلِإِيَّائِي تُسُودُ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۝ » (٣)

وقال تعالى :  
 « وَلِإِيَّائِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۝ » (٤)  
 وهو أيضا الذي وقع فيه النزاع بين الرسل وأممهم بسبب عبادة غير الله مع الله . (٥)

### ٣ - توحيد الأسماء والصفات :

وهو الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة من أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته التي وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله - صلى الله عليه وسلم - على الحقيقة ، وعدم التعرض لأسماء الله ، وصفاته ، بشيء من التكييف أو التمثيل أو التشبيه ، أو التأويل أو التحريف ، أو التعطيل . واعتقاد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . (٦)

( ١ ) سورة هود ، آية : ٢٥ - ٢٦ .

( ٢ ) سورة هود ، آية : ٥٠ .

( ٣ ) سورة هود ، آية : ٦١ .

( ٤ ) سورة هود ، آية : ٨٤ .

( ٥ ) عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب : خمس رسائل ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦ .

( ٦ ) وزارة المعارف : كتاب العلوم الدينية ، الصف السادس الابتدائي ، الرياض ،

وزارة المعارف ، ١٤٠٧ هـ ، ط ٨ ، ص ٨ .

ويعرف هذا النوع من التوحيد بالتوحيد القولي الاعتقادي . ( ١ )

قال تعالى :  
« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » ( ٢ )

وقال تعالى :  
« وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي سِي  
أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ( ٣ )

وقال تعالى :  
« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا  
أَحَدٌ » ( ٤ )

ويجب أن نلاحظ هنا أن جميع أنواع التوحيد متلازمة مع بعضها البعض، فمن  
أشرك في نوع واحد من أنواع التوحيد يعتبر مشركا في بقية الأنواع، مثال ذلك :

” دعاء غير الله وسوءاله ما لا يقدر عليه إلا الله ، فدعاؤه إياه عبادة ..  
صرفها لغير الله من دون الله فهذا شرك في الإلهية ، وسوءاله  
إياه تلك الحاجة من جلب خير أو دفع شر معتقدا أنه قادر على  
قضاء ذلك ، هذا شرك في الربوبية ، حيث اعتقد أنه متصرف مع الله  
في ملكوته ، ثم إنه لم يدعه هذا الدعاء من دون الله إلا مع اعتقاده  
أنه يسمعه على البعد والقرب في أى وقت كان وفي أى مكان ...  
وهو شرك في الأسماء والصفات حيث أثبت له سمعا محيطا بجميع  
المسموعات لا يحجبه قرب ولا بعد ، فاستلزم هذا الشرك فى  
الإلهية الشرك فى الربوبية والأسماء والصفات ” . ( ٥ )

( ١ ) عبد العزيز محمد السليمان : الكواشف الجليلة عن معانى الواسطية ،

مرجع سابق ، ص ٤١٨ .

( ٢ ) سورة الشورى ، آية : ١١ .

( ٣ ) سورة الأعراف ، آية : ١٨٠ .

( ٤ ) سورة الأَخْلَاص .

( ٥ ) حافظ بن أحمد حكى : ٢٠٠ سؤال وجواب فى العقيدة الإسلامية ، القاهرة ،

دار الاعتصام ، د . ت . د . ط . ص ٣٨ .

### ثامنا : خصائص العقيدة الإسلامية

#### ١ - الربانية :

أول خاصية أو أهم خاصية تمتاز بها العقيدة الإسلامية هي خاصية "الربانية" ، حيث انه لا توجد على وجه الأرض - اليوم - عقيدة تمتاز بهذه الخاصية غير العقيدة الإسلامية ، فالعقيدة الإسلامية هي العقيدة الوحيدة الباقية والصالحة للبشرية ، ذلك لأنها ربانية المصدر ، وربانية الهدف . ( ١ )

فمن حيث أنها ربانية المصدر ، فتعني أن العقيدة الإسلامية مستمدة من مصدرها الأساسي القرآن الكريم ، والسنة المشرفة ، فهي عقيدة موحى بها من عند الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى :

« وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِمَّنْ عِبَادِنَا إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ » ( ٢ )

وقال تعالى :

« وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا اسْتَغْنِ عَنْ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَن أُبَدِّلَهِ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ » ( ٣ )

( ١ ) يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،

١٤٠٤ هـ ، ط ٢ ، ص ٩ .

( ٢ ) سورة الشورى ، آية : ٥٢ - ٥٣ .

( ٣ ) سورة يونس ، آية : ١٥ .

وقال تعالى :

« وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ <sup>(١)</sup> » .

لذلك نجدها أوثق وأضمن من غيرها ، ونجدها أيضاً مبرأة من النقص، ومبرأة من

الجهل ، ومبرأة من الهوى ، ومحفوظة من الزوال <sup>(٢)</sup> . قال تعالى :

« إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَلَئِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ <sup>(٣)</sup> » .

وهذا بعكس بقية الديانات السماوية الأخرى ، فالعقائد السماوية التي جاءت بها الديانات قبل العقيدة الإسلامية ، قد دخلها التحريف كما هو الحال بالنسبة للعقيدة اليهودية ، والنصرانية في الوقت الحاضر ، حيث إنه قد أضيف إلى أصول الكتب المنزلة والخاصة بالديانتين اليهودية ، والنصرانية ، شرح وتصورات ، وتأويلات ، وزيادات <sup>(٤)</sup> وآراء بشرية خاضعة للعوامل السياسية ، والخلافات العنصرية ، والمذهبية <sup>(٥)</sup> أدت إلى فقدان خاصية الربانية من هاتين العقيدتين .

ولعل العداء للدين وللفكر الديني الذي نشأ في المجتمعات التي تدين بهاتين الديانتين ، إنما كان سببه هو فقدان خاصية الربانية - ربانية المصدر - من هاتين العقيدتين ، والذي كان بسبب تدخل الفكر البشري - الذي ليس له قدرة البت في مثل هذه الأمور - بتأويلاته وتحريفاته في الأصل الرباني لهاتين العقيدتين .

أما من حيث أنها ربانية الهدف ، فالقصد من ذلك أن العقيدة الإسلامية تجعل معتنقها يعرف الغاية من وجوده ، ويعرف وجهته التي يسير عليها ، ويعرف رسالته في الحياة التي يعيش فيها .

( ١ ) سورة النجم ، أية : ١ - ٤ .

( ٢ ) سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، الكويت ، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الإسلامية ، ١٣٩٨ هـ ، د . ط ، القسم الأول ، ص ٧٤ .

( ٣ ) سورة الحجر ، أية : ٩ .

( ٤ ) سيد قطب ، المرجع السابق ، ص ٧١ .

( ٥ ) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

قال تعالى :  
« وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (١)

وقال تعالى :  
« قُلْ إِنْ صَلَّيْتُمْ وَنَسَكْتُمْ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » (٢)

وقال تعالى :  
« وَأَنْتَ أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعِزِّلْ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » (٣)

وقال تعالى :  
« هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا » (٤)

ونتيجة لهذه المعرفة فإن إنسان العقيدة الإسلامية " يحس أن لحياته قيمة ومعنى ، وليعيشه طعما ومذاقا ، وأنه ليس ذرة تافهة تائهة في الفضاء ، ولا مخلوقا سائبا يخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء ، كالذين جحدوا الله أو شكوا فيه ، فلم يعرفوا لماذا وجدوا ؟ ولماذا يعيشون ؟ ولماذا يموتون ؟ " (٥)

## ٢ - الشبكات :

الخاصية الثانية التي تختص بها العقيدة الإسلامية هي خاصية " الشبكات " فالعقيدة الإسلامية ، بما أنها ربانية المصدر ، فهي تبعا لذلك ثابتة في جميع تصوراتها ، وثابتة في أصولها ، وثابتة في مقاييسها الأخلاقية ، فلا تتغير مع مرور الزمن ، ولا تتبدل بتبدل المكان (٦) ولا تتغير بتغير الأفراد (٧) لأنها من صنع الله سبحانه وتعالى .

( ١ ) سورة الزاريات ، آية : ٥٦ . ( ٢ ) سورة الأنعام ، آية : ١٦٢ .

( ٣ ) سورة البقرة ، آية : ٣٠ . ( ٤ ) سورة هود ، آية : ٦١ .

( ٥ ) يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

( ٦ ) أحمد نوفل ، وآخرون : في الثقافة الإسلامية ، عمان ، دار عمّار للنشر والتوزيع ،

١٤٠٤ هـ ، ص ٧١ .

( ٧ ) محمد أبو الغيط الفرت ، محمد رواس قلقة جى : العقيدة الإسلامية فى

مواجهة المذاهب الهدامة ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٤٠٣ هـ ،

قال تعالى :

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنُؤَلَّا تَعْبُدُونَ وَآلَا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ » (١) .

وقال تعالى :

« وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرِهِ إِنِّي آنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ » (٢) .

وقال تعالى :

« وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرِهِ » (٣) .

وقال تعالى :

« وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرِهِ » (٤) \* .

فمن حيث الثبات في التصورات، فإن العقيدة الإسلامية تجعل معتنقها على مر العصور يحمل تصورا ثابتا عن الحقيقة الإلهية، وعن علاقة الانسان بالله، وعن الكون وعلاقته بالله، وعلاقة الانسان به، وعلاقته بالانسان، وعن الحياة وأرتباطاتها وأهدافها<sup>(٥)</sup>، هذا التصور عن الحقيقة الإلهية، وعن علاقة الانسان بالله، وعن الكون وعلاقته بالله، وعلاقة الانسان به، وعلاقته بالانسان، وعن الحياة وأرتباطاتها

(١) سورة هود، آية : ٢٥-٢٦ .

(٢) سورة هود، آية : ٥٠ .

(٣) سورة هود، آية : ٦١ .

(٤) سورة هود، آية : ٨٤ .

(٥) محمد قطب: جاهلية القرن العشرين، بيروت، القاهرة، دار الشروق ،

١٣٩٥ هـ، د. ط، ص ٦٣ .

\* يجب ان نلاحظ أن عقيدة التوحيد واحدة من لدن نوح عليه السلام الى

محمد صلى الله عليه وسلم .

وأهدافها\* هو نفسه الذى كان يحملها الصحابة، وهو نفسه الذى يجب أن يحمله  
الانسان المؤمن اليوم .

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على ثبات العقيدة الاسلامية، وعدم  
تحريفها، والسبب فى ذلك هو حفظ الله . قال تعالى :  
«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (١) .

أما من حيث الثبات فى الأصول، فإن للعقيدة الاسلامية أصولاً ثابتة لا تتغير  
بتغير الزمان، ولا تتبدل بتبدل المكان، ولا تتغير بتغير الأشخاص . هذه  
الأصول التى يتمثل فيها الثبات هى . التصديق " بالله وملائكته وكتبه ورسله  
واليوم الآخر" (٢) والتصديق بالقدر خيره وشره، قال تعالى :

«لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ  
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ» (٣) .

وقال تعالى :  
«إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» (٤) .

كما يتمثل الثبات أيضاً فى الأركان العملية الخمسة للإسلام وهى شهادة أن لا إله  
إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج  
البيت الحرام (٥) .

(١) سورة الحجر، آية : ٩ .

(٢) يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام، مرجع سابق، ص ٢٢٠ .

(٣) سورة البقرة، آية : ١٧٧ . (٤) سورة القمر، آية : ٤٩ .

(٥) يوسف القرضاوى، مرجع سابق، ص ٢٢٠ .

\* للمزيد من الاطلاع أنظر :

أ - حامد صادق قنبيى : الكون والانسان فى التصور الاسلامى، الكويت،

مكتبة الفلاح، ١٤٠٠ هـ .

ب - صلاح عبدالقادر البكرى : القرآن وبناء الانسان، جدة، تهامة، ١٤٠٢ هـ .

ج - عثمان جمعة ضميرة : التصور الاسلامى للكون والحياة والانسان،

الكويت، دار الأرقم، د. ت. د. ط .



فهذه الأصول هي التي كان يؤمن بها الجيل الأول من الصحابة، وماتزال هذه الأصول حتى اليوم وحتى يرث الله الأرض ومن عليها هي التي يؤمن بها المؤمنون اليوم، وكذلك الحال في الأركان العملية الخمسة للإسلام .

أما من حيث الثبات في المقاييس الأخلاقية، فنحن كما نعلم أن العنصر الأخلاقي في كل إنسان عنصر فطري<sup>(١)</sup> ولكن بالرغم من كون العنصر الأخلاقي عنصر فطري في الإنسان، إلا أن الإسلام ربطه بالعقيدة<sup>(٢)</sup>، ارتباط الجزء بالكل، لذلك نجد أن الأخلاق في الإسلام ثابتة بثبات العقيدة<sup>(٣)</sup>، فنجد الثبات في الأخلاق متمثلاً في " الصدق، والأمانة، والعفة، والصبر، والوفاء بالعهد، والحياء"<sup>(٤)</sup> وغير ذلك من القيم الأخلاقية، فجميع القيم الأخلاقية ثابتة لا تتغير بتغير الزمان ولا تتبدل بتبدل المكان، ولا تتغير بتغير الأشخاص .

وهذا بعكس الأخلاق عند غير المسلمين، من شرقيين وغربيين، حيث إن الأخلاق عند هؤلاء البشر يتسكك بها حسب المصلحة، فحينما تحقق قيمة خلقية مصلحة لهم حرصوا على التمسك بها، وخير شاهد على ذلك مثلهم المشهور "الأمانة أحسن سياسة"<sup>٢</sup> فالأمانة قيمة خلقية تحقق مصلحة حينما يسوسون بها الغير، فإن اقتضت المصلحة غير الأمانة، فالخيانة والقتل وإبادة الشعوب بدلا عنها ولا حرج<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) عابد توفيق الهاشمي : مدخل الى التصور الاسلامي للإنسان والحياة ،

عمان، دار الفرقان ، ١٤٠٢ هـ، ص ١٥٨ .

وانظر أيضا : سيد قطب : دراسات اسلامية ، بيروت ، القاهرة ، دار الشروق

، ١٣٩٣ هـ، د . ط، ص ٤٩ .

( ٢ ) عابد توفيق الهاشمي ، مرجع سابق ، ص ١٦٢ .

( ٣ ) أنور الجندی : تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة، د . م، دار الاعتصام

د . ت، د . ط، ص ٤٥٦ .

( ٤ ) يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام، مرجع سابق ، ص ٢٢١ .

( ٥ ) عابد توفيق الهاشمي ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

هذه هي العقيدة الإسلامية، نجد لها ثابتة في تصوراتها، وثابتة في أصولها، وثابتة في مقاييسها الأخلاقية. وهذا لا يعني أن الدين الإسلامي غير قابل للتطور، ولا يعني أيضا أنه يعوق التقدم، بل إن الدين الإسلامي يدفع إلى كل تقدم فيه صالح البشرية، ولكنه في نفس الوقت يضع المبادئ التي توجه إلى الخير، وتمنع الانحراف، فيتمثل فيه الثبات والتطور في وقت واحد<sup>(١)</sup>. ثبات في العقائد والشرائع، وتطور في النظم القابلة للتطوير، كالنظم السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والحضارية، لكنه تطور مرتبط برابط من الفطرة، "رابط يجعل له هدفا صالحا راشدا بانيا يتفق مع اتجاه الفطرة السوية، رابط يمنع الخلل والانحراف أثناء عملية التطور"<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - الإيجابية :

الخاصية الثالثة للعقيدة الإسلامية هي خاصية "الإيجابية". فالعقيدة الإسلامية تجعل معتنقيها يتعامل مع الله واحد موجود، كامل الإيجابية والفاعلية، إليه يرجع الأمر كله، فهو الخالق، والمريد، والمدبر، والمهيمن والقادر، ولا يتم في هذا الكون شيء إلا بإرادته وعلمه، وتقديره، وتدبيره، وهو سبحانه وتعالى مباشر بإرادته وعلمه وتدبيره لكل عبد من عباده، في كل حال من أحواله، ولكل شيء في هذا الوجود<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى :

«إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) محمد قطب: التطور والثبات في حياة البشر، بيروت، القاهرة، دار

الشروق، ١٤٠٠ هـ، ط ٤، ص ٢٤٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٣.

(٣) سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، مرجع سابق، ص ٢٥٠.

(٤) سورة الاعراف، آية: ٥٤.

وقال تعالى :  
 « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ  
 وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
 تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ  
 وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » (١) .

وقال تعالى :  
 « اللَّهُ يُعَلِّمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ، وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ، وَكُلُّ  
 شَيْءٍ عِنْدَهُ بِعَقْدَارٍ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ » (٢) .

وقال تعالى :  
 « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ  
 كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا » (٣) .

وقال تعالى :  
 « مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا  
 ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (٤) .

ونتيجة لذلك فالعقيدة الإسلامية تجعل معتنقها يستشعر وجود الله سبحانه  
 وتعالى معه في كل صغيرة وكبيرة ، في جميع أحواله اليومية ، وأعماله الشخصية  
 وحياته الفردية والجماعية . (٥) هذا الاستشعار بوجود الله سبحانه وتعالى ،  
 وهيمنته على كل شيء ، يجعل الانسان المسلم يُسَلِّمُ أمره كله لله ، " ومن هذا  
 التسليم الخالص لله يستمد الانسان ايجابيته الكاملة (٦) الفاعلة في هذه الأرض ،

( ١ ) سورة آل عمران ، آية : ٢٦ - ٢٧ .

( ٢ ) سورة الرعد ، آية : ٨ - ٩ .

( ٣ ) سورة فاطر ، آية : ٤٤ .

( ٤ ) سورة المجادلة ، آية : ٧ .

( ٥ ) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ، مرجع سابق ، ص ٢٥٦ .

( ٦ ) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، بيروت ، القاهرة ، دار الشروق ،

حيث إن التسليم الكامل لله يعطى النفس الإنسانية قوة عجيبة تكافح بها كل شئ وتنشئ بها ما تريد<sup>(١)</sup> لذلك نجد أن المسلمين الأوائل أنشأوا نظاما لم يسبقهم اليها أحد فى كل الأرض، فأنشأوا نظاما سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وفكرية، وحضارية، تسير بمقتضى المنهج الربانى بدافع العقيدة الاسلامية التى اعتنقوها " وليس نتيجة حتمية لشئ من ظروف الأرض " <sup>(٢)</sup>.

#### ٤ - الواقعية :

الخاصية الرابعة للعقيدة الاسلامية هى خاصية " الواقعية " .  
تتضح واقعية العقيدة الاسلامية فى كل ما ينبثق عنها من تصورات، وفلسى منهجها الذى توجه به معتنقيها، فهى تجعل معتنقها " يتعامل مع الحقيقة الإلهية، متمثلة فى آثارها الإيجابية، وفعاليتها الواقعية، ويتعامل مع الحقيقة الكونية فى مشاهدتها المحسوسة المؤثرة أو التأثيرة، ويتعامل مع الحقيقة الانسانية متمثلة فى الأناسى " كما هم فى عالم الواقع " <sup>(٣)</sup>.  
فالحقيقة الإلهية لدى تصور الشخص المعتنق للعقيدة الاسلامية " حقيقة فاعلة فى هذا الوجود " <sup>(٤)</sup> يستطيع أن يرى آثارها الواقعية فى هذا الوجود ليتعرف على الخصائص الإلهية متمثلة فى الصنعة الإلهية <sup>(٥)</sup>. وهذا ما يفصله ويوضحه القرآن الكريم وهو يصف الحقيقة الإلهية للناس .

قال تعالى :

(( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِى

- 
- ( ١ ) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ .
  - ( ٢ ) المرجع السابق ، نفس المكان .
  - ( ٣ ) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامى ومقوماته ، مرجع سابق ، ص ٢٧٥ .
  - ( ٤ ) المرجع السابق ، ص ٢٨٤ .
  - ( ٥ ) المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .
- \* المقصود بالواقعية أن العقيدة الاسلامية يمكن أن تتحقق فى عالم الواقع .  
انظر: أحمد نوفل وآخرون : فى الثقافة الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٧٣ .

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ، يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ، وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ، وَمِنْ آيَاتِهِ مَنْامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاءُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ، وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرَجُونَ ، وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَهُ قَانِتُونَ ، وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ( ١ ) .

وقال تعالى :

« إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ، فَالِقُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قَنَوانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ( ٢ ) .

وقال تعالى :

« فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ، يَذُرُّكُمْ فِيهِ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ،

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١) .

أما الحقيقة الكونية لدى إنسان العقيدة الإسلامية، فالكون أمامه حقيقة واقعية يدركه بالحواس التي وهبها إياها الله سبحانه وتعالى، فهو هذه السموات والأرض بما فيهما من نجوم وكواكب، وليل ونهار، وما فيهما من خلائق من إبداع الله سبحانه وتعالى (٢). هذا الكون بكل ما فيه من مخلوقات - لدى إنسان العقيدة الإسلامية - خاضع لله سبحانه وتعالى، عابد له، سخر لأوامره، لأنه من صنعه سبحانه وتعالى، ودال على قدرته، قال تعالى :

«إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، يُدِيرُ الْأَمْرَ مِمَّنْ شِيعَةٍ إِلَّا مِنْ بَعْدٍ، إِنَّ فِيهِ لَذِكْرًا لِّكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ، هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا، وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ، مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، إِنَّ فِيهِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، وَخَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) .

وقال تعالى :

« وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا، وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا (٤) »

وهكذا نرى العقيدة الإسلامية، لا تجعل معتنقها يتعامل مع كون هو مجرد فكرة ناتجة عن تصورات ذهنية من غير دليل، بل تجعل معتنقها يتعامل مع كون له وجود واقعي محسوس في هذا العالم (٥).

(١) سورة الشورى، آية : ١١-١٢ .

(٢) سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، مرجع سابق، ص ٢٨٥ .

(٣) سورة يونس، آية : ٣-٦ .

(٤) سورة النحل، آية : ٨١ .

(٥) سيد قطب : المرجع السابق، ص ٢٩٠ .

والحقيقة الإنسانية لدى إنسان العقيدة الإسلامية ، هي أن الإنسان مخلوق

مكرم ، ومستخلف ، قال تعالى :

« الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ  
نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَمِينٍ ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ  
لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ » ( ١ )

وقال تعالى :

« وَلَوْ أَنَّهُ قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » ( ٢ )

وأنه مكوّن من جسم وعقل وروح . قال تعالى :

« فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ » ( ٣ )

وأن له نوازع وأشواق وله رغائب وضرورات بقوم بإشباعها حسب المنهج  
الذي ترسمه له عقيدته الإسلامية ، وله فاعليته ، وله إنفعاله ، وله تأثيره ، وله تأثيراته .

قال تعالى :

« وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا  
كَشَفْنَا عَنْهُ غُضُّوهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى شَيْءٍ سَاءٍ لَوْ أَنَّهُ لَدُنَّ  
مَعَالِمٍ يَعْلَمُونَ » ( ٥ )

وقال تعالى :

« وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ، ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ، إِنَّهُ لَيَكْفُرُ  
وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعَمًا بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ ، لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي  
إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ، إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ  
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ » ( ٦ )

( ١ ) : سورة السجدة ، آية : ٧ - ٩ .

( ٢ ) : سورة البقرة ، آية : ٣٠ .

( ٣ ) : سورة ص ، آية : ٧٢ .

( ٤ ) : سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، مرجع سابق ، ص ٢٩٢ .

( ٥ ) : سورة يونس ، آية : ١٢ .

( ٦ ) : سورة هود ، آية : ٩ - ١٢ .

أما من حيث المنهج الذى توجه به العقيدة الإسلامية معتنقيها ، فهو منهج واقعى لأنه موجه إلى إنسان واقعى ، له نوازع ، وأشواق ، ورغبات <sup>(١)</sup> ، لذلك نجد أنه يأخذ فى إعتباره حاجات الإنسان الفطرية ، فهو بذلك " منهج حركى تنطبق حدوده على حدود طاقات الإنسان ، وتكوينه وواقعته " <sup>(٢)</sup> . وكذلك هو منهج ثلاثى واقعته وواقعته الإنسان . قال تعالى :

« نَسَاؤُكُمْ حَرِّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرِّكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » <sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى :

« وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » <sup>(٤)</sup> .

وقال تعالى :

« يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » <sup>(٥)</sup> .

وقال تعالى :

« قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » <sup>(٦)</sup> .

- 
- ( ١ ) سيد قطب : خصائص التصور الإسلامى ومقوماته ، مرجع سابق ، ص ٢٩٧ .
- ( ٢ ) المرجع السابق ، نفس المكان .
- ( ٣ ) سورة البقرة ، آية : ٢٢٣ .
- ( ٤ ) سورة آل عمران ، آية : ١٣٣ - ١٣٤ .
- ( ٥ ) سورة الأعراف ، آية : ٣١ .
- ( ٦ ) سورة الأعراف ، آية : ٣٢ .



إن الواقعية في منهج العقيدة الإسلامية ملائمة لواقعية الإنسان ، فهو منهج لا يكبث طاقة واحدة من طاقات الإنسان ، ولا يكلف النفس أكبر من وسعها ، ولا يكلفها ما ليس من طبيعتها وفطرتها (١) .

وهكذا لاحظنا خاصية " الواقعية " في العقيدة الإسلامية ، لاحظناها في حقيقة الإلهية ، وحقيقة الكون ، وحقيقة الإنسان ، لاحظناها في المنهج الذي توجه به العقيدة الإسلامية معتنقيها . ويجب أن نلاحظ هنا أنه لا يوجد تناقض بين ما تقتضيه العقيدة الإسلامية من تصورات وبين المنهج العملي الذي توجه به معتنقيها (٢) .

#### تاسعا : أسس العقيدة الإسلامية

قال تعالى :  
 « لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ » (٣)  
 وقال تعالى : « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ » (٤)

وقال صلى الله عليه وسلم - في حديث جبريل المشهور - عند ما سأله عن الإيمان (٥)  
 قال : ( أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ) .

من هاتين الآيتين ، ومن هذا الحديث النبوي ، يمكن لنا أن نستدل على أسس العقيدة الإسلامية ، حيث إنه يتضح من الآيتين الكريميتين ، والحديث النبوي الشريف أن العقيدة الإسلامية تقوم على عدة أسس هي :

- (١) سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، مرجع سابق ، ص ٣٠٢ .
- (٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٤ .
- (٣) سورة البقرة ، آية : ١٧٧ .
- (٤) سورة القمر ، آية : ٤٩ .
- (٥) رواه مسلم .

الأساس الاول : الإيمان بالله . الأساس الثاني : الإيمان بالملائكة .  
الأساس الثالث : الإيمان بالكتب . الأساس الرابع : الإيمان بالرسول .  
الأساس الخامس : الإيمان باليوم الآخر . الأساس السادس : الإيمان بالقدر خيره وشره .  
وسوف يقوم الباحث بتوضيح موجز لكل أساس من هذه الأسس كلا على حده .

### الأساس الاول : الإيمان بالله :

الإيمان بالله هو " الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء  
ومليكه وأنه الخالق الرازق المحيي المميت وأنه المستحق لأن يفرد بالعبودية  
والذل والخضوع وجميع أنواع العبادة وأنه المتصف بصفات الكمال المنزه من كل  
عيب ونقص " (١) .

والإيمان بالله يقتضى :

- ١ - الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى .
- ٢ - الإيمان بروبيته .
- ٣ - الإيمان بألوهيته .
- ٤ - الإيمان بأسمائه وصفاته . (٢)

### ١ - الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى :

الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى أمر فطرى ، حيث إن كل مخلوق فطر على  
الإيمان بوجود خالقه قال صلى الله عليه وسلم ( ما من مولود إلا يولد على الفطرة ،  
فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ) (٣) .

كما أن الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى أمر عقلى ، حيث " أن كل مُحَدِّث  
لا بد له من مُحَدِّث ، وكل مفعول ومضنوع لا بد له من فاعل وصانع " (٤) .

(١) عبدالعزيز محمد السلطان : الأسئلة والأجوبة الأصولية ، د . م . د . ن .

٤٠٣ هـ ، ط ١٢ ، ص ٢٥ .

(٢) محمد بن صالح بن عثيمين : رسائل فى العقيدة ، الرياض ، دار طيبة ، ١٤٠٦ هـ ،  
ط ٢ ، ص ١١ .

(٣) رواه البخارى .

(٤) عبدالعزيز محمد السلطان : الكواشف الجليلة عن معانى الواسطية ، د . م .  
د . ن . ، ١٤٠١ هـ ، ط ١١ ، ص ٥٥ .

فجميع المخلوقات المادية الصرفة ، والمادية الروحية ، والنورانية ، والنارية ،  
والحيوانية ، والنباتية ، وغيرها مملا نعلمه ، لا بد لها من خالق أوجدها - هو  
الله سبحانه وتعالى - حيث إن جميع هذه المخلوقات لا يمكن أن توجد نفسها  
بنفسها ، كما أنه لا يمكن أن تكون قد وجدت صدفة ، قال تعالى :

« أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ »<sup>(١)</sup>

٢ - الإيمان بربوبيته :

الإيمان بربوبية الله سبحانه وتعالى يعنى الاعتقاد الجازم من قبل العبد  
بأن الله هو " الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير " <sup>(٢)</sup> والإماتة والإحياء ، والعطاء  
والمنع ، والضر والنفع ، والإعزاز والإذلال ، وإنزال الغيث وغير ذلك .

والإيمان بربوبية الله سبحانه وتعالى أمر فطرى ، حيث أنه لم يعلم أن أحدا  
من الخلق فى أى مكان وزمان أنكر ربوبية الله سبحانه وتعالى ، إلا فى القرن  
الثامن عشر الميلادى عند ما ظهر المذهب الشيوعى الماركسى . <sup>(٣)</sup> ولكن بالرغم من  
ظهور هذا المذهب إلا أنه لن يستطيع تغيير الشعور الفطرى فى الإنسان . <sup>(٤)</sup>

وبالجملة فإن الإيمان بربوبية الله يعنى أن الله سبحانه وتعالى هو الفاعل  
فى الكون : بالخلق والتدبير والتغيير ، والتيسير ، والزيادة والنقص  
والإماتة والإحياء ، وإنزال الغيث وغير ذلك من الأفعال لا يشاركه أحد فى ربوبيته  
سبحانه .

وكما أن الله سبحانه وتعالى مدبر الكون ومسيره حسب ما يريد وحسب ما تقتضيه  
حكيمته " فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه  
حكيمته ، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعا فى العبادات أو حاكما فى المعاملات

( ١ ) سورة الطور ، آية : ٣٥ .

( ٢ ) عبد العزيز محمد السلطان : الاسئلة والأجوبة الأصولية ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

( ٣ ، ٤ ) أبو بكر جابر الجزائرى : عقيدة المؤمن ، مرجع سابق ، ص ٩١ .

فقد أشرك به ولم يحقق الايمان (١) .

### ٣ - الايمان بالوحيته :

الايمان بالوحيية الله سبحانه وتعالى هو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده  
الإله الحق ، وأنه وحده ذو الألوهية على خلقه أجمعين ، وأنه وحده  
المستحق للعبادة (٢) .

والايمان بالوحيية الله يقتضى إخلاص العبادة له وحده لا شريك له ، بحيث تكون  
العبادة بمفهومها العام ، الظاهرة والباطنة خالصة كلها لله سبحانه وتعالى .

### ٤ - الايمان بأسمائه وصفاته :

الإيمان بأسماء الله وصفاته هو :

" الإعتقاد الجازم بأن الله عز وجل متصف بجميع صفات الكمال ، ومتنزه  
عن جميع صفات النقص ، وأنه متفرد بهذا عن جميع الكائنات ، وذلك  
بأثبات ما أثبتته سبحانه لنفسه أو أثبتته رسوله صلى الله عليه وسلم  
من الأسماء والصفات الواردة فى الكتاب والسنة من غير تحريف  
الفاظها ، أو معانيها ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن  
الله عز وجل ، ولا تكييفها بتحديد كنهها وإثبات كيفية معينة لها ،  
ولا تشبيهها بصفات المخلوقين " (٣) .

قال تعالى : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » (٤) .

وقال تعالى :  
« وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي سِي  
أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (٥) .

(١) محمد بن صالح بن عثيمين : رسائل فى العقيدة ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

(٢) عبد العزيز محمد السلطان : الاسئلة والأجوبة الأصولية ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

(٣) محمد نعيم ياسين : كتاب الايمان ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

(٤) سورة الشورى ، آية : ١١ .

(٥) سورة الأعراف ، آية : ١٨٠ .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (١)

فالمؤمن بالله سبحانه وتعالى يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى سميع بصير ، عليم حكيم ، قوى عزيز ، لطيف خبير ، شكور حلیم وغفور رحيم ، وأنه كلم موسى تكليماً ، وأنه استوى على العرش ، وأنه خلق بيديه ، وأنه يحب المحسنين ، ويرضى عن المؤمنين ، إلى غير ذلك من الصفات الذاتية كمجيئه تعالى ونزوله وإتيانه ، مما أنزله في كتابه ونطق به رسوله صلى الله عليه وسلم . (٢)

ويجب أن يلاحظ هنا أن المؤمن بالله الذي يؤمن بأسمائه وصفاته ، لا يعتقد أبداً أنه يجوز أن يتسمى أى مخلوق باسم من أسماء الله تعالى ، وأنه لا يعتقد أبداً أيضاً ، ولا حتى يخطر بباله أن يد الله تبارك وتعالى مثلاً تشبه يد المخلوق ، وأن سمع الله تعالى مثلاً يشبه سماع المخلوق ، فى أى معنى من المعانى غير مجرد التسمية ، وذلك لمباينة الخالق للمخلوق فى ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله . (٣)

#### الأساس الثانى : الايمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة هو الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة عابدين موجودين ، ولا يعلم عددهم إلا الله ، وأنهم مخلوقين من نور ، وأنهم من أشرف خلق الله ، وأنهم لا يعصون الله أبداً ، وأنهم قائمون بوظائف كفهم بها الله ، وأنهم ليس لهم من خصائص الربوبية والالوهية شىء . (٤) كما أنهم لا يتصفون بأى صفة من صفات الله سبحانه وتعالى التى وصف الله بها نفسه ووصفه بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يتسمون بأى اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى .

( ١ ) سورة الأخراس يكملها .

( ٢ ) أبو بكر جابر الجزائري : منهاج المسلم ، د . م ، دار الفكر ، ١٣٩٦ هـ ، ط ٧ ،

ص ٢٠ .

( ٣ ) المرجع السابق ، ص ٢٢ .

( ٤ ) محمد بن صالح بن عيثمين : رسائل فى العقيدة ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور<sup>(١)</sup>:

١ - الإيمان بأنهم موجودين ، وذلك بإخبار الله عنهم :

قال تعالى :  
 « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ<sup>(٢)</sup> » .

وقال تعالى :  
 « وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ<sup>(٣)</sup> » .

وفي هذه الآية نلاحظ أن الله أمر الملائكة بالسجود ، ومعنى ذلك أنهم موجودون ، لأن الأمر لا يوجه إلا لشيء موجود والتنفيذ لا يتم إلا من شيء موجود<sup>(٤)</sup> .

٢ - الإيمان بما علمنا اسمه منهم :

كجبريل وميكائيل ، واسرافيل ، وعزرائيل ، وغيرهم عليهم السلام أجمعين ، وكذلك الإيمان بمن لم نعلم اسمه ، فأننا نؤمن بهم إجمالاً<sup>(٥)</sup> .

٣ - الإيمان بما علمنا من صفاتهم :

كعظيم خلقهم وتفاوتهم فيه<sup>(٦)</sup> ، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل على هيئته التي خلق عليها ، وله ستمائة جناح وقد سد الأفق<sup>(٧)</sup> . وهناك من الملائكة من له جناحان ، ومنهم من له ثلاث ، ومنهم من له أربعة أجنحة .

(١) محمد بن صالح بن عثيمين : رسائل العقيدة ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٣٤ .

(٤) أبو بكر الجزائري : عقيدة المؤمن ، مرجع سابق ، ص ١٩١ .

(٥) محمد بن صالح بن عثيمين : المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٦) أبو بكر جابر الجزائري : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

(٧) أنظر ، صحيح البخاري : باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى :  
 ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي سُمْ  
 أَجْنِحَةٍ مِّثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ ﴾ (١)

وكفد رتبهم على التحول بأمر الله إلى هيئة رجل ، وكطاعتهم المطلقة لله سبحانه  
 وتعالى . ومن صفاتهم التي نوء من بها أيضا أنهم يستحون ، ويتأذون ، وأنهم  
 منزهون عن الأعراض البشرية كالجوع والمرض والتعب ، والأكل والشرب والنوم ، وأنهم  
 يحبون من أحبه الله . (٢)

٤ - الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى .

فجبريل عليه السلام هو الأمين على وحى الله ، يرسله الله به إلى الأنبياء  
 والرسل . وميكائيل وظيفته التي وكله الله بها هي المطر والنبات . وإسرافيل  
 وظيفته التي وكل بها هي النفخ في الصور يوم القيامة . وعزرائيل وظيفته التي  
 وكل بها هي قبض الأرواح عند الموت . هذا الى غير ذلك من الأعمال التي  
 يقوم بها الملائكة . (٣)

#### الاساس الثالث : الإيمان بالكتب .

الإيمان بالكتب هو " التصديق الجازم بما أوحى الله تعالى من كلامه  
 الخاص إلى من اصطفى من رسله عليهم السلام ، فجمع ودون فكان صحفا مطهرة ،  
 وكتبا قيمة . فما عرف منها آمن به المؤمن تفصيلا ، وما لم يعرف آمن به إجمالا (٤) .  
 " والكتب : جمع كتاب بمعنى مكتوب (٥) ، والصحف أوراق حوت كلام الله عز وجل  
 الذى أوحاه إلى رسله ولم تجمع فى كتاب (٦) .

(١) سورة فاطر ، آية : ١ .

(٢) أبو بكر جابر الجزائري : عقيدة المؤمن ، مرجع سابق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٧ .

(٣) لمزيد من الاطلاع أنظر : أبو بكر الجزائري : المرجع السابق ، ص ١٨٦ - ٢٠٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

(٥) محمد بن صالح بن عثيمين : رسائل فى العقيدة ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(٦) أبو بكر جابر الجزائري ، المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

والمراد بالكتب هنا الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسوله رحمة للخلق  
وهداية لهم ليصلوا بها الى سعادة الدنيا والآخرة . ( ١ )

قال تعالى :  
« لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ  
النَّاسُ بِالْقِسْطِ » ( ٢ ) .

والمؤمن بالله سبحانه وتعالى يؤمن بالكتب التي أنزلها الله على الرسل  
عليهم الصلاة والسلام ، والتي أخبر الله بها سماها بأسمائها ، وأما التي لم تعلم  
أسماءها فانه يؤمن بها اجمالاً . ( ٣ )

فهو يؤمن بالقرآن الكريم وأنه أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

ويؤمن بالتورات التي أنزلها الله على موسى عليه السلام .

ويؤمن بالزبور المنزل على نبي الله داود عليه السلام .

ويؤمن بالإنجيل المنزل على عبد الله رسوله عيسى عليه السلام .

ويؤمن بصحف ابراهيم وموسى \* .

قال تعالى :  
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ  
عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ » ( ٤ ) .

وقال تعالى :  
« اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا  
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ  
الْفُرْقَانَ » ( ٥ ) .

( ١ ) محمد بن صالح بن عثيمين : رسائل في العقيدة ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

( ٢ ) سورة الحديد ، آية : ٢٥ .

( ٣ ) محمد بن صالح بن عثيمين ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

( ٤ ) سورة النساء ، آية : ١٣٦ .

( ٥ ) سورة آل عمران ، آية : ٢ ، ٣ ، ٤ .

\* جميع الكتب السماوية حرفت ما عدا القرآن الكريم لأن الله تعهد بحفظه .



وقال تعالى :

«وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَيْنًا» (١)

وقال تعالى :

«إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى» (٢)

فالمؤمن بالله سبحانه وتعالى لا يؤمن ببعض الكتب ويكفر ببعض الكتب تعصبا وضلالا ، كما هو حال اليهود والنصارى الذين آمنوا بالتوراة المحرفة والأنجيل المبدل المغير ، وكفروا بالقرآن المحفوظ . (٣)

#### الأساس الرابع : الايمان بالرسول :

الايمان بالرسول هو :

"التصديق الجازم بأن لله رسلا أرسلهم لا رشاد الخلق ففى معاشهم ومعادهم ، اقتضت حكمة اللطيف الخبير أن لا يهمل خلقه بل أرسل اليهم رسلا مبشرين ومنذرين ، فيجب علينا الايمان بمن سمي الله منهم فى كتابه على التفصيل ، والايمان جملة بأن لله رسلا غيرهم وأنبياء لا يحصى عددهم الا الله ، ولا يعلم أسماؤهم الا هو جل وعلا " . (٤)

"والرسول جمع رسول بمعنى مرسل أى مبعوث بابلاغ شئ" (٥) والرسول هو "من أوحى اليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه" (٦) والرسول بشر مخلوقين ، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شئ" (٧) بل يجرى عليهم الكثير من الأعراض البشرية

( ١ ) سورة النساء ، آية : ١٦٣ .

( ٢ ) سورة الأعلى ، آية : ١٨ - ١٩ .

( ٣ ) أبو بكر جابر الجزائري : عقيدة المؤمن ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

( ٤ ) عبد العزيز محمد السلطان : الأسئلة والأجوبة الأصولية ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

( ٥ ) محمد بن صالح بن عثيمين : رسائل فى العقيدة ، مرجع سابق ، ص ٢٥ .

( ٦ ) المرجع السابق ، نفس المكان .

( ٧ ) المرجع السابق ، نفس المكان .

فهم يأكلون ويشربون ، ويمرضون ويصحون ، وينسون ويذكرون ، ويتناكحون ويتناسلون ،  
ولكن بالرغم من هذا كله فهم أكمل خلق الله على الإطلاق وأفضلهم بلا إستثناء .<sup>(٢)</sup>

ولم تخل أمة من الأمم إلا وبعث فيها رسول . قال تعالى :

« وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ »<sup>(٣)</sup>

وقال تعالى :

« وَلَوْ مِن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ »<sup>(٤)</sup>

والأنبياء والرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن عدد هم خمسة وعشرون نبيا  
رسولا وهم : آدم ونوح ، إدريس ، هود ، صالح ، إبراهيم ، لوط ، إسماعيل ،  
اسحاق ، يعقوب ، يوسف ، شعيب ، أيوب ، نوالكفل ، موسى ، هارون ، داود ،  
سليمان ، إلياس ، اليسع ، يونس ، زكريا ، يحيى ، عيسى ، محمد صلوات الله  
وسلامه عليهم أجمعين .

قال تعالى :

« وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ  
إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا  
هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ  
وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ  
مِّنَ الصَّالِحِينَ ، وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا  
عَلَى الْعَالَمِينَ »<sup>(٥)</sup>

وقال تعالى :

« وَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ »<sup>(٦)</sup>

( ١ ) أبو بكر جابر الجزائري : منهاج المسلم ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

( ٢ ) المرجع السابق ، نفس المكان .

( ٣ ) سورة النحل ، آية : ٣٦ .

( ٤ ) سورة فاطر ، آية : ٢٤ .

( ٥ ) سورة الأنعام ، آية : ٨٣ - ٨٦ .

( ٦ ) سورة آل عمران ، آية : ٣٣ .

وقال تعالى :

« وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ <sup>(١)</sup> » .

وقال تعالى :

« وَأَنذِرُوا إِنَّا جَاعِلُكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَابِدٍ وَبَوَّأَكُم بِأَرْضٍ <sup>(٢)</sup> » .

وقال تعالى :

« وَأَنذِرْ فِي الْكِتَابِ إِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّكَ قَدْ جَاءَ نَبِيًّا <sup>(٣)</sup> » .

وقال تعالى :

« وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ <sup>(٤)</sup> » .

وقال تعالى :

« وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَإِبْرَاهِيمَ وَآدَمَ الْكَافِلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ <sup>(٥)</sup> » .

وقال تعالى :

« مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا <sup>(٦)</sup> » .

فالمؤمن بالله سبحانه وتعالى يؤمن بهؤلاء واحدا واحدا على التفصيل ،

ولا يكفربواحد منهم ، وإن الكفربواحد من هؤلاء الأنبياء والمرسلين يعتبر كفرا بهم جميعا <sup>(٧)</sup> .

أما الأنبياء والرسل الذين لم يذكرهم الله في القرآن ، فقد أمر المؤمنين

أن يؤمن بهم إجمالا ، قال تعالى :

« آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا » .

( ١ ) سورة الأعراف ، آية : ٨٥ . ( ٢ ) سورة الأعراف ، آية : ٧٤ .

( ٣ ) سورة مريم ، آية : ٥٦ . ( ٤ ) سورة هود ، آية : ٥٠ .

( ٥ ) سورة الأنبياء ، آية : ٨٥ . ( ٦ ) سورة الأحزاب ، آية : ٤٠ .

( ٧ ) أبو بكر جابر الجزائري : عقيدة المؤمن ، مرجع سابق ، ص ٢٨٠ .

غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (١) .

### الأساس الخامس : الايمان باليوم الآخر :

الايمان باليوم الآخر هو التصديق الجازم بأن هناك يوماً آخراً يبعث الله فيه الخلائق بعد موتهم، ثم يحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم التي عملوها في الدنيا، ومن ثم يجازى الأبرار بالنعيم المقيم في الجنة، ويجازى الفجار بالعذاب المهين في النار (٢) . وسمى اليوم الآخر بذلك لأنه لا يوم بعده (٣) .

والإيمان باليوم الآخر يقتضى الإيمان بالبعث، ويقتضى الإيمان بالحساب والجزاء، ويقتضى الإيمان بالجنة والنار وأنهما المآل الأبدي للخلق (٤) .

### ١ - الإيمان بالبعث :

والإيمان بالبعث معناه التصديق بأن الله سبحانه وتعالى يعيد أبنـدان الأموات ويدخل فيها أرواحهم، فيخرجون من القبور أحياء كأنهم جراد منتشر (٥) .

قال تعالى :  
﴿ وَنَسُفُ أَبْصَارِهِمْ يُخْرَجُونَ مِنَ الْقُبُورِ أَحْيَاءَ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾ (٦)

وقال تعالى :  
﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ، قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُ نَاقِلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٧) .

- 
- (١) سورة البقرة، آية : ٢٨٥ .
  - (٢) أبو جابر الجزائري : منهاج المسلم، مرجع سابق، ص ٣٩ .
  - (٣) محمد صالح بن عثيمين : رسائل في العقيدة، مرجع سابق، ص ٢٩ - ٣٠ .
  - (٤) المرجع السابق، نفس المكان .
  - (٥) عبدالعزيز محمد السلطان : الكواشف الجليلة، مرجع سابق، ص ٧٨-٧٩ .
  - (٦) سورة القمر، آية : ٧ .
  - (٧) سورة الاسراء، آية : ٤٩ - ٥١ .

وقال تعالى :

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (١)

فالبعث حق ثابت دل عليه القرآن الكريم والسنة المشرفة، واجماع المسلمين .

قال تعالى :

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (٢)

وأجمع المسلمون على ثبوت البعث، حيث أنه مقتضى الحكمة الالهية، التي تقتضى أن يجعل الله سبحانه وتعالى لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على جميع ما كلفهم به على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام (٣) .

## ٢ - الإيمان بالحساب والجزاء .

والإيمان بالحساب والجزاء معناه : التصديق الجازم بأن الله سبحانه وتعالى سوف يحاسب جميع العباد على أعمالهم التي عملوها في الدنيا ثم يعد ذلك يجازيهم عليها . وقد دل على ذلك القرآن الكريم، والسنة المشرفة، وإجماع المسلمين .

قال تعالى :

﴿ وَإِنَّا لَإِيَّاكُمْ لَمَّا عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ (٤)

وقال تعالى :

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٥)

وقال تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴾ (٦)

- 
- ( ١ ) سورة المؤمنون، آية : ١٦ . ( ٢ ) سورة الأنبياء، آية : ١٠٤ .  
 ( ٣ ) محمد صالح بن عثيمين : رسائل في العقيدة، مرجع سابق، ص ٢٩ .  
 ( ٤ ) سورة الغاشية، آية : ٢٦ .  
 ( ٥ ) سورة الأنبياء، آية : ٤٧ .  
 ( ٦ ) سورة الأنشاق، آية : ٧ - ١٢ .

وقال صلى الله عليه وسلم :

( إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كفه ويستره فيقول أتعرف ذنبك  
كذا أتعرف ذنبك كذا فيقول نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه  
ورأى أنه قد هلك قال سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك  
اليوم فيعطى كتاب حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم  
على رؤوس الخلائق ) (١) .

وقال تعالى :

(( هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ )) (٢) .

وقد أجمع علماء المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال السيئة  
يعملها العباد ، وهو مقتضى الحكمة ، فإن الله سبحانه وتعالى أنزل الكتاب  
وأرسل الرسل وفرض على العباد قبول ما جاءوا به والعمل بما يجب العمل به منه ،  
ولو لم يكن هناك حساب ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الله سبحانه  
وتعالى عنه . (٣) قال تعالى :

(( فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ فَلَنَقْضَنَّهُ عَلَيْهِمْ  
بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ )) (٤) .

### ٣ - الإيمان بالجنة والنار :

والإيمان بالجنة والنار فمعناه " الاعتقاد الجازم بأن الجنة والنار مخلوقتان  
لا تغنيان ، وأن الجنة دار أولياؤه أعداها الله وما فيها من النعيم المقيم لهم  
والنار دار لأعدائه أعداها الله وما فيها من أنواع العذاب لهم " (٥) .

( ١ ) متفق عليه .

( ٢ ) سورة هود ، آية : ١٨ .

( ٣ ) محمد صالح بن عثيمين : رسائل في العقيدة ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

( ٤ ) سورة الأعراف ، آية : ٦ ، ٧ .

( ٥ ) عبد العزيز محمد السلطان : الاسئلة والأجوبة الاصولية ، مرجع سابق ،

قال تعالى :  
 « وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا » (١)

وقال تعالى :  
 « جَنَّاتٍ عِدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا » (٢)

وقال تعالى :  
 « فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ » (٣)

الأساس السادس: الايمان بالقدر خيره وشره :

الايمان بالقدر معناه :

" التصديق الجازم بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره وأنه  
 الفعال لما يريد ، لا يكون شيء إلا بإرادته ولا يخرج عن مشيئته ،  
 وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره ،  
 ولا محيد لأحد عن القدر ولا يتجاوز ما خط في اللوح المحفوظ ،  
 وأنه خالق أفعال العباد من الطاعات والمعاصي ومع ذلك فقد  
 أمر العباد ونهاهم وجعلهم مختارين لأفعالهم غير مجبورين عليها ،  
 بل هي واقعة بحسب قدرتهم وإرادتهم ، يهدي من يشاء برحمته  
 ويضل من يشاء بحكمته ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " (٤)

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة :

قال تعالى : « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ » (٥)

وقال تعالى :  
 « وَلَوْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ » (٦)

( ١ ) سورة هود ، آية : ١٠٨ .

( ٢ ) سورة مريم ، آية : ٦١ .

( ٣ ) سورة هود ، آية : ١٠٦ .

( ٤ ) عبد العزيز محمد السلطان : الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية ،

مرجع سابق ، ص ٨٤ .

( ٥ ) سورة القمر ، آية : ٤٩ . ( ٦ ) سورة الحجر ، آية : ٢١ .

وقال تعالى :  
 « مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنْ نَزَّلَكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ » (١)

وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس :  
 ( يا غلام إني أعلمك كلمات أحفظ الله يحفظك أحفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم :  
 ( احتج آدم وموسى ، قال موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة . فقال آدم : أنت موسى اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك التوراة بيده ، تلومني على أمر قد ره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين عاما فحج آدم موسى ) \* (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم :  
 ( كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ) (٤)  
والإيمان بالقدر يتضمن ثلاثة أمور : (٥)

١ - الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلا أزلا وأبدا سواء كان ذلك فيما يتعلق بأفعاله أو بأفعال العباد ، وأنه كتب ذلك ففى

( ١ ) سورة الحديد ، آية : ٢٢ .

( ٢ ) رواه الترمذى وصححه .

( ٣ ) رواه مسلم .

( ٤ ) رواه مسلم .

( ٥ ) محمد صالح بن عثيمين : رسائل فى العقيدة ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

\* أنظر : سوء مفهوم القضاء والقدر فى الفصل الرابع من هذا البحث .



اللوح المحفوظ ، قال تعالى :  
 « أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ  
 إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ » (١) .

٢ - الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى سواء

كانت مما يتعلق بفعله أم بفعل المخلوقين ، قال تعالى فيما يتعلق بفعله :  
 « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ » (٢) . وقال « وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ » (٣) .  
 وقال : « هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ » (٤) .  
 وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين :

« وَلَوْ شَاءَ لَسَلَطْنَاهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ » (٥) .

٣ - الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالق جميع الكائنات بذواتها وصفاتها

وحرركاتها ، قال تعالى :  
 « اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ » (٦) .  
 وقال : « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا » (٧) .

### أثر العقيدة الإسلامية في تربية العقل

١ - تعريف العقل في اللغة ، وعند بعض علماء المسلمين :

العقل في اللغة " مأخوذ من عقل البعير ، يمنع ذوى العقول من العدول عن  
 سواء السبيل " (٨) ، وسمى " عقل الانسان - وهو تميزه الذي به فارق جميع الحيوان -

( ١ ) سورة الحج ، آية : ٧٠ . ( ٢ ) سورة القصص ، آية : ٦٨ .

( ٣ ) سورة ابراهيم ، آية : ٢٧ .

( ٤ ) سورة آل عمران ، آية : ٦ .

( ٥ ) سورة النساء ، آية : ٩٠ .

( ٦ ) سورة الزمر ، آية : ٦٢ .

( ٧ ) سورة الفرقان ، آية : ٢ .

( ٨ ) على بن محمد بن علي الجرجاني : التعريفات ، مرجع سابق ، ص ١٣٣ .

عقلا لأنه يعقله ، أى يمنعه من التورط فى الهلكة ، كما يعقل العقال البعير عن ركوب رأسه " (١) .

أما فى اصطلاح علماء المسلمين ، فقد وردت للعقل عدة تعريفات ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى :

فقد عرفه الفزالى بأنه تلك الملكة الفطرية فى الانسان التى يستطيع بها أن يرتب محصول الحواس ، وأن يدرك ما وراءها من المعانى المجردة ، وأن يميز بطرق ومناهج معينة بين ما هو حق وما هو باطل ، وأن يستنبط المصالح والأغراض (٢) . وعرفه ابن الجوزى بقوله : " العقل غريزة ، كأنها نور يقذف فى القلب ، فيستعد لا دراك الأشياء فيتعلم جواز الجائزات ، واستحالة المستحيلات ، ويتلمح عواقب الأمور (٣) . وقد أجمل الدكتور مقدار ياجن النصوص الاسلامية المتعددة التى وردت فى تعريف العقل وخرج بقوله :

" ان العقل قوة مدركة فى الانسان خلقها الله فيه ليكون مسئولا عن أعماله ، على أساس قدرته للادراك والتمييز بين الحق والباطل والخير والشر والحسن والقبح ، ثم تكليفه بناءً على ذلك أن يتبع طريق الحق والخير والحسن ، وأن يتجنب طريق الباطل والشر والقبح والضلال والانحراف . وعلى الانسان بناءً على هذا وذاك أن يستخدم هذه القدرة ويعمل بها كما أرشده خالقه ، والا كانت عاقبته الخسران والهلاك فى الدنيا والآخرة " (٤) .

( ١ ) محمد بن أحمد الزهرى : تهذيب اللغة ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ،

د . م ، المؤسسة المصرية العامة ، ١٣٨٤ هـ ، ج ١ ص ٢٤٠ .

( ٢ ) أبو حامد الفزالى : معيار العلم ، تحقيق سليمان دنيا ، مصر ، دار المعارف ،

١٩٦١ م ، د . ط ، ص ٢٨٦ .

( ٣ ) عبد الرحمن بن الجوزى : ذم الهوى ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مراجعة

محمد الفزالى ، د . م ، د . ن ، ١٣٨١ هـ ، ص ٥ .

( ٤ ) مقدار يلجن : جوانب التربية الاسلامية الأساسية ، مرجع سابق ، ص ٨٧-٨٨ .

والعقل والفكر واللب تأتي بمعنى واحد في التعابير القرآنية، حيث إن هذه الألفاظ الثلاثة " تشترك في التعبير عن القضايا العقلية بحيث لو رفعنا لفظاً ووضعنا مكانه لفظاً آخر لآدى الى نفس المعنى مع فرق طفيف يوحي به اللفظ نفسه، أو توحي به المعاني التي وردت قبله أو بعده " (١).

## ٢ - أهمية العقل :

ان الشيء الذي يتميز به الانسان عن غيره من المخلوقات هو " العقل " وبه كرم الله سبحانه وتعالى الانسان ، حيث أنه وهبه هذه النعمة دون غيره من المخلوقات ومن أجل العقل فضل الله سبحانه وتعالى الانسان على كل المخلوقات ، والعقل هو أدوات الفهم للتكاليف الشرعية ، ان بدون العقل لا يستطيع الانسان أن يقوم بأداء التكاليف الشرعية ، ولا تقبل التكاليف الشرعية الا من انسان مسلم عاقل بالغ ، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

( رفع القلم عن ثلاثة : النائم حتى يستقيظ ، والمجنون حتى يفيق ، والصغير حتى يكبر ) . ( ٢ )

والعقل هو وسيلة العلماء في تحصيل العلم ، وهو الجوهر الأساسي في عملية التفكير . ( ٣ )

ويوضح أبو بكر الرازي أهمية العقل بقوله :

" ... إن الباري عز اسمه انما أعطانا العقل وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة غاية ما في جوهر مثلنا نيله وبلوغه . وأنه أعظم نعم الله عندنا وأنفع الأشياء لنا وأجداها علينا ... ،

( ١ ) محمد علي الجوزو : مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ، بيروت ، دار

العلم للملايين ، ٩٨٣ م ، ط ٢ ، ص ١٢٢ .

( ٢ ) رواه البخاري .

( ٣ ) محمد علي الجوزو ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ ، ١٣١ .

فبالعقل فضلنا على الحيوان غير الناطق حتى ملكناها وسسناها  
 ودللناها وصرفناها في الوجوه العائدة منافعها علينا وعليها .  
 وبالعقل أدركنا جميع ما يرفعنا ، ويحسن ويطيب به عيشنا ، ونصل  
 به الى بغيتنا ومرادنا ، فانا بالعقل أدركنا صناعة السفن واستعمالها  
 حتى وصلنا بها الى ما قطع رجال البحر وننا ودونه . وبه نلنا  
 صناعة الطب الذي فيه الكثير من مصالح أجسادنا ، وسائر الصناعات  
 العائدة علينا النافعة لنا . وبه أدركنا الأمور الغامضة البعيدة منا  
 المستورة عنا ، وبه عرفنا شكل الأرض والفلك وعظم الشمس والقمر  
 وسائر الكواكب وأبعادها وحركاتها . وبه وصلنا الى معرفة الباري  
 عز وجل الذي هو أعظم ما استدركنا وأنفع ما أصبنا . وبالجملـة  
 فانه الشيء الذي لولاه كانت حالتنا حالة البهائم والاطفال  
 والمجانين ، والذي به نتصور أفعالنا العقلية قبل ظهورها للحس  
 فنراها كأن قد أحسناها ، ثم نتمثل بأفعالنا الحسية صورها  
 فتظهر مطابقة لما تمثلناه وتخيلناه منها ... " ( ١ ) .

وقد أوضح الامام ابن القيم ثمرة العقل بقوله :

هو " ... الذي به عرف الله سبحانه وتعالى واسماؤه وصفات كماله  
 ونعوت جلاله ، وبه آمن المؤمنون بكتبه ورسله ولقائه وملائكته ،  
 وبه عرفت آيات ربوبيته وأدلة وحدانيته ومعجزات رسله ، وبه امتثلت  
 أوامره واجتنبت نواهية ، وهو الذي تلمح العواقب فراقبها ، وعمل  
 بمقتضى مصالحها ، وقاوم الهوى فردّ جيشه مغلولاً ، وساعد الصبر  
 حتى ظفر به بعد أن كان بسهامه مقتولاً ، وحثّ على الفضائل ،  
 ونهى عن الرذائل ، وفق المعاني وأدرك الغوامض ، وشدّ أزرّ العزم  
 فاستوى على سوقه ، وقوى أزرّ الحزم حتى حظى من الله بتوفيقيه ،  
 فاستجلب ما يزين ونفى ما يشين " ( ٢ ) .

( ١ ) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي : الطب الروحاني ، نقلا عن : سعيد اسماعيل

على : دراسات في التربية الاسلامية ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٢ م ، ط ١ ،  
 ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

( ٢ ) محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية : روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، مكة

المكرمة ، دار الباز للطباعة والنشر ، د . ت . د . ط ، ص ٧ .

وقالت عائشة رضي الله عنها : " قد أفلح من جعل الله له عقلاً " (١) .  
وقال يوسف بن أسباط : " العقل سراج مابطن ، وزينة مظهر ، وسائن الجسد ،  
وملاك أمر العبد ، ولا تصلح الحياة إلا به ، ولا تدور الأمور إلا عليه " (٢) .

### ٣ - بيان أثر العقيدة الإسلامية في تربية العقل :

العقل عنصر أساسي من عناصر تكوين أي اعتقاد ، والعقيدة الإسلامية لا تكسر  
الناس على اعتناقها ، قال تعالى :

(( لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ )) (٣)

وقال تعالى :

(( فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ )) (٤)

بل دعت كل من يرغب في اعتناقها أن يستخدم عقله - أو الحجة العقلية - لكي  
يعتنقها عن اقتناع منطقي ، وفي ذلك يقول محمود شلتوت :

" وفي سبيل الحجة العقلية - طلبت العقيدة الإسلامية -  
معتنقيها أن ينظروا و يتفكروا في هذا الكون - في أرضه وسمائه ،  
وما أودع فيه من أسرار ، وبني عليه من نظام وإحكام ، وأفرغ عليه من  
وحدة جعلته متماسك الحلقات .. الأمر الذي يحيل في نظر  
العقل صدور الكون عن نفسه ، أو عن قوى متضادة متعارضة ،  
- وتوجب - في الوقت نفسه الاعتراف القلبي بأنه لا بد لهذا الكون  
- البديع المتسق المترابط السائر بحكم نظام واحد لا يلحقه خلل  
ولا انتكاس - من مصدر خالق مدبر له ، مهيم عليه ، متصرف فيه  
عن طريق العلم الشامل ، والقدرة النافذة والحكمة البالغة ، وأن

(١) ابن قيم الجوزية : روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، مرجع سابق ، ص ٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٥٦ .

(٤) سورة الكهف ، آية : ٢٩ .

هذا الكون سائر بتدبير هذا الخالق الى الغاية التي حدد لها  
له بعلمه وحكمته (١) .

وقد نعت العقيدة الاسلامية على الذين لا يستخدمون عقولهم ، ووصفتهم  
بالدواب والأنعام ، قال تعالى :

« إِن شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ » (٢)

وقال تعالى :

« أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ  
بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا » (٣) .

وتدم العقيدة الاسلامية الذين يتبعون الآباء والأجداد ، وتنهى عن التقليد  
والخضوع الأعمى للسلادة والكبراء . قال تعالى :

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ  
آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ » (٤) .

ولقد تأثرت العقلية الاسلامية بالعقيدة الاسلامية تأثرا قويا منذ الوهلة الأولى  
لنزول الوحي ، بحيث أصبح العقل المسلم من أرقى العقول ، وذلك لأن العقيدة  
الاسلامية أوضحت له الحقائق التي يحتاج الى معرفتها ، والتي من أهمها  
حقيقة الكون والانسان والحياة . هذه الحقائق التي تاهت في معرفتها كثير  
من الفلاسفة والمعتقدات المحرفة ، كما أن للعقيدة الاسلامية الأثر الواضح في  
تربية العقل المسلم حيث أنها قد :

٩ - أثارت الحواس في الانسان باعتبارها نوافذ للعقل (٥) .

(١) محمود شلتوت : الاسلام عقيدة وشرعية ، مرجع سابق ، ص ٢١ .

(٢) سورة الأنفال ، آية : ٢٢ .

(٣) سورة الفرقان ، آية : ٤٤ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ١٧٠ .

(٥) محمود عبد الوهاب فايد : التربية في كتاب الله ، د . م ، دار الاعتصام ،

ب - وحددت للعقل المجال الذي يحق له أن يفكر فيه ، أو أن يستخدم عقله فيه .<sup>(١)</sup>

ج - وجهت العقل الى التأمل في الكون .<sup>(١)</sup>

د - وجهت العقل الى النظر في سنن الله في الأرض وأحوال الأمم والشعوب على مدار التاريخ .<sup>(١)</sup>

هـ - وجهت العقل الى النظر في حكمة التشريع .<sup>(١)</sup>

وفيما يلي توضيح للنقاط السابقة :

أ - العقيدة الإسلامية أثارت الحواس في الانسان باعتبارها نوافذ للعقل . نحن كما نعلم أن الحواس وحدها لا تتم بها المعرفة ، إنما تتم المعرفة اذا انتقلت محصولات الحواس الى العقل ، حيث يقوم هو بدوره بترتيب هذه محصولات ترتيباً جيداً ، ومن ثم تتم نتيجة هذا الترتيب المعرفة ، وكذلك فان العقل وحده لا تتم له المعرفة الا عن طريق الحواس ، حيث إن الحواس تعتبر نوافذ للعقل ، اذا تعطل العقل تعطلت الحواس ، واذا تعطلت الحواس تعطل العقل .<sup>(٢)</sup> والعلم يعتمد على السمع والبصر والعقل وعلى رأس هذه كلها الوحي ، ولقد منح الله الانسان هذه الحواس ، قال تعالى :

« وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »<sup>(٣)</sup>

وقال تعالى :  
« قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ »<sup>(٤)</sup>

( ١ ) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ ،

ط ٢ ، ص ٧٥ - ٩٧ .

( ٢ ) محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ، مرجع سابق ،

ص ١٣٠ .

( ٣ ) سورة النحل ، آية : ٧٨ . ( ٤ ) سورة الملك ، آية : ٢٣ .

ففى الآية الأولى والثانية نلاحظ ان الله سبحانه وتعالى قدم السمع والأبصار على الأفتدة، وذلك لأن هاتين الحاستين تعتبران مصدر الاشارات الفكرية، ومنفذ المعلومات العقلية<sup>(١)</sup>.

ويقول أبو السعود فى تفسير الآية الأولى :

”إن الله سبحانه وتعالى جعل لكم هذه الأشياء السمع والأبصار والأفتدة آلات تحصلوا بها العلم، بأن تحسوا بمشاعركم جزئيات الأشياء، وتدركوها بأفتدكم وتنتبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس فيحصل لكم علوم بد يهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية“<sup>(٢)</sup>.

ويقول فى تفسير الآية الثانية :

”إن الله جعل لكم (السمع) لتسمعوا آيات الله وتمثلوا بما فيها من الأوامر والنواهي، وتتعضوا بمواعضها، وجعل لكم (الأبصار) لتنظروا الى آيات الله التكوينية الشاهدة بشئون الله عز وجل، وجعل لكم (الأفتدة) لتتفكروا بها فيما تسمعون وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية، وترتقوا فى معارج الايمان والطاعة“<sup>(٣)</sup>.

والقرآن الكريم يعبر بالقلب ويعبر بالفؤاد عن مجموع مدارك الانسان الواعية، وهى تشمل ما أصطلح على أنه العقل<sup>(٤)</sup>.

ولقد حثت العقيدة الاسلامية معتنقيها على استخدام الحواس التى منحهم الله اياها، باعتبار أن معطياتها تشكل الركيزة الأساسية فى بناء المعرفة

(١) محمود عبد الوهاب فايد : التربية فى كتاب الله، مرجع سابق، ص ١٤ .

(٢) الامام أبى السعود محمد بن محمد الغمادى (ت ٩٥١ هـ) : تفسير أبسى السعود . المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، بيروت، دار احياء التراث العربى، د.ت، د.ط، ج ٥ ص ١٣١-١٣٢ .

(٣) المرجع السابق، ج ٩ ص ٩ .

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٢ هـ،

ط ١٠، المجلد الرابع، ص ٢١٨٦ .



الانسانية ، وباعتبار أنها أول طريق العلم <sup>(١)</sup> . قال تعالى :

« أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » <sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى : « قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ » <sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى : « قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » <sup>(٤)</sup> .

ومما يؤكد أيضا على أن العقيدة الاسلامية حثت معتنقيها على استخدام الحواس ، أن الفعل ( سمع ) ومشتقاته قد ورد في القرآن الكريم في تسعة وسبعين موضعا <sup>(٥)</sup> . وهذا يدل على أهمية هذه الحاسة ، باعتبار أنها من أجود الوسائل في مجال الاستيعاب العلمي <sup>(٦)</sup> ، لأنه عن طريق السمع ادخال المعلومات للنفس ، ومن ثم يمكنها أن تربط المعارف المختلفة بعضها ببعض <sup>(٧)</sup> . وأن الأفعال ( عاين ، ونظر ، ورأى ) ومشتقاتها قد وردت في القرآن الكريم حوالي " الف ومئتين وثمانين كلمة " <sup>(٨)</sup> وهذا ان دل على شيء أيضا فانما يدل على أهمية هذه الحاسة ، لأن كل ما يراه الانسان عن طريق حاسة البصر يقع في جوهر نفسه ، فيبدأ بمعرفة كنه الأشياء وتراكيبها ، وبذلك تتحقق المعرفة

( ١ ) حسن ابراهيم عبدالعال : مقدمة في فلسفة التربية الاسلامية ، الرياض ،

عالم الكتب ، ١٤٠٥ هـ ، د . ط ، ص ١٦٧ .

( ٢ ) سورة الحج ، آية : ٤٦ .

( ٣ ) سورة العنكبوت ، آية : ٢٠ .

( ٤ ) سورة يونس ، آية : ١٠١ .

( ٥ ) شاكر عبدالجبار : المنهج العلمي للاعتقاد ، بغداد ، مكتبة القدس ، ١٩٨٤ هـ ،

ص ٣٧ .

( ٦ ) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

( ٧ ) سعد الدين الجيزاوي : فصول في تربية الشخصية الاسلامية ، نقلا عن :

عبدالحكيم قاسم : الايديولوجية والتربية بين المسيحية والاسلام ، د . م ، دار

الفكر العربي ، د . ت ، د . ط ، ص ١١٢ .

( ٨ ) شاكر عبدالجبار : المنهج العلمي للاعتقاد ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

وبانتفاء حاسة البصر لا يمكن للإنسان أن يتعرف على الكون . (١)

واحتراما لسلطان الحواس أجاب الله سيدنا ابراهيم عليه السلام - حين

قال : (٢)

« رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنِ ؟ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيُطَمِّئَنَّ قَلْبِي ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ، ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (٣)

ب - العقيدة الاسلامية حددت للعقل المجال الذي يحق أن يفكر فيه :

لقد حددت العقيدة الاسلامية مجال النظر العقلي ، وذلك صيانة للطاقة العقلية من أن تتبدد في البحث وراء الفيينات التي لا سبيل للعقل البشري أن يحكم فيها . (٤) وقد جعلت العقيدة الاسلامية مجال النظر العقلي محدودا بكل ما يدرك بالعقل ويشاهد بالحواس ، فهي قد حثت معتنقيها على أن يتأملوا في الكون ، وينظروا في سنن الله في الأرض ، وينظروا في حكمة التشريع ، ولكنها في نفس الوقت نهتهم عن التفكير في ذات الله سبحانه وتعالى . وفي ذلك يقول محمد قطب :

« ان الله لم يكلف الناس أن يبحثوا في ذاته سبحانه ، لم يكلفهم الجهد الذي يعلم - سبحانه - أنهم لن يقدروا عليه قط ، وأن قصارى ما يحدث لهم حين يحاولونه أن تنفجر طاقتهم وتتبدد . كما تنفجر طاقة الذرة التي انحرفت عن مسارها ، فتتخطم وتحطم ماتلقاه في الطريق » (٥)

(١) سعد الدين الجيزاوي : فصول في تربية الشخصية الاسلامية ، نقلا عن

عبد الحكيم قاسم : الايد يولوجية والتربية ، مرجع سابق ، ص ١١٢ .

(٢) محمود عبد الوهاب فايد : التربية في كتاب الله ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٦٠ .

(٤) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ج ١ ص ٧٧ .

(٥) محمد قطب : قبسات من الرسول ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٤ هـ ، ط ٩ ،

كما نهتهم عن البحث والتفكير فى كيفية عرش الله على الماء، وعن البحث والتفكير فى كيفية الاستواء، وعن البحث والتفكير فى الروح، وعن البحث والتفكير فى المعجزات، وعن البحث والتفكير فى الغيبيات، وعن البحث والتفكير فى الكشف عن القانون التشريعى والقانون الأخلاقى<sup>(١)</sup>. ولكن حين نهت العقيدة الإسلامية الاسلامية أتباعها عن البحث والتفكير فى هذه المسائل لم تكن "تحجر" على تفكيرهم أو تضع عليه القيود، كلا إنما كانت توفر جهودهم للنافع من الأعمال، وكانت تصون هذا الجهد أن يتبدد سدى، ويؤدى الى الضلال. كانت تريد للناس أن ينفقوا طاقتهم - بعد أن يقضوا حظهم من تدبر آيات الله فى الكون والاهتداء اليه - فى تعمير الأرض وزيادة الانتاج<sup>(٢)</sup>.

ولكن بالرغم من هذا النهى فإن العقيدة الإسلامية قد وجهت العقل وهدت به فى المسائل التالية :

- ١ - فى ما وراء الطبيعة : أى فى الأمور المتعلقة بالله سبحانه وتعالى، وبالرسل، وباليوم الآخر وبالغيب الإلهى على وجه العموم .
- ٢ - فى مسائل الأخلاق : أى فيما يتعلق بالخير والفضيلة، وما ينبغى أن يكون عليه السلوك الإنسانى ليكون الشخص صالحا .
- ٣ - فى مسائل التشريع الذى ينتظم به المجتمع وتسعد به الإنسانية<sup>(٣)</sup>.

من ذلك نلاحظ أن العقيدة الإسلامية جاءت هادية للعقل فى هذه المسائل بالذات، لأن العقل لو خاض وبحث فى هذه المسائل مستقلا بنفسه فإنه لن يصل

---

( ١ ) عماد الدين خليل : معاول فى جدار العلمانية، مقال فى مجلة الوعي

الاسلامى، العدد ٥٥، ١٣٨٩ هـ، ص ٥١ .

( ٢ ) محمد قطب : قبسات من الرسول، مرجع سابق، ص ٧٤ .

( ٣ ) بشير حاج التوم : محاضرة فى مادة فلسفة التربية، جامعة أم القرى

الفصل الدراسى الأول، ١٤٠٥ هـ .

الى نتيجة يتفق عليها الجميع، أى أنه لو ترك الناس وعقولهم فى هذه المسائل فانهم يختلفون ويتفرقون فرقا عديدة، ويتنازعون، ولا ينتهى الأمر بهم الى الوحدة والانسجام، ولا الى الهدوء والطمأنينة. لذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى كشف للإنسان عن الغيبات، وعن مسائل الأخلاق، وعن مسائل التشريع، أما فى مجال العلوم الطبيعية فانه سبحانه وتعالى لحكمة تربية ...

" لم يكشف للإنسان عن قوانينها، لأنه لو كشف له عن قوانينها فهذا يعنى اهمالا لطاقت الانسان - الفعالة - وقد رتها على الكشف والابتكار، ولو حدث وأن وجد الانسان نفسه فجأة أمام القوانين الطبيعية على حقيقتها لألغيت اذن ... كل قدراته ومحاولاته ولأسلم نفسه لكسل فكرى واتكالية لم يرد الله للإنسان أن يقع فى اسارها ". (١)

أيضا نلاحظ أن العقيدة الاسلامية تعترف بقيمة العقل وتكرمه، ولكنهم لا تورطه ولا تتركه يفرق فى التيه الذى غرقت فيه الفلسفة من قبل من الجرى وراء الأمور الغيبية التى لم تصل نتيجة البحث فيها الى شئ حقيقى يستحق ما بذل فيه من جهد .

ما سبق نؤكد أن الفكر الاسلامى - المتأثر بالعقيدة الاسلامية -

" لم يكن ( عاطلا ) ولا محجورا عليه - انما كان - فيما عدا القلة الشاذة التى انحرفت بتأثير الفلسفة الاغريقية بعض الانحراف لا كله - يتجه الى خير الناس فى الأرض . ويسعى الى سعادتهم بكل وسائل السعى . ويرى أنه حين يبحث فى العلوم - البحتة أو التطبيقية - وحين يتعمق فى الفقه الذى يشمل سياسة الحكم وسياسة الاقتصاد، وموقف الفرد وموقف الدولة، وموقف المجتمع، وعلاقات بعضهم ببعض فى كل صغيرة وكبيرة من شئون الحياة اليومية والحياة العامة، كما يشمل العبادات بكل تفرعاتها،

(١) عماد الدين خليل : معاول فى جدار العلمانية، مقال فى مجلة الوعي

وحين يعمل في ميدان الجمال الفني في صوره التي كانت ميسرة لهم من رسم وزخرفة وعمارة وشعر ونثر.. الخ . يكون قد قام بواجبه الأمثل وحقق وجوده الكامل ، وأنه ترجم التدبر في آيات الله الى فكر نافع وعمل نافع وقيم حية متحركة في واقع الأرض لا في الابراج العاجية ، ولا في عالم المثاليات ... وكان ناجحا في رسالته التي استمد ها من كتاب الله وسنة رسوله (١) .

ج - العقيدة الاسلامية وجهت العقل المسلم الى التأمل في الكون :  
 " الكون هو كل ما عدا الله سبحانه وتعالى ، من أفلاك وسماوات وأراضين ، وكواكب ، ونجوم ، وجبال ، وسهول وأنهار ووديان ، ونبات وحيوان وانسان ..... ، ومخلوقات مادية وغير مادية (٢) .

والعقيدة الاسلامية تدفع الطاقات العقلية لدى معتنقيها الى التأمل والتفكير والامعان في اسرار هذا الكون ، ليخلص الانسان بذلك الى الايمان بالله (٣) .  
 حيث إن الغاية من التأمل في الكون هي اصلاح القلب البشري ، واقامة الحياة الانسانية على أسس من الحق والعدل الأزليين الكائنين في بنية الكون وبنية الحياة (٤) . لذلك نجد أن العقيدة الاسلامية تهتم اهتماما بالغا بلفت الحس البشري الى التأمل في الكون ، والتأمل في الكائنات الأرضية بكل ما تشمله من جمادات ونباتات وحيوانات ، والتأمل في الانسان وأحواله وأطواره المختلفة ونفسه (٥) .

- 
- ( ١ ) محمد قطب : قبسات من الرسول ، مرجع سابق ، ص ٧٥ - ٧٦ .  
 ( ٢ ) عمر محمد التومي الشيباني : فلسفة التربية الاسلامية ، طرابلس ، المنشأة العامة للنشر ، ١٩٨٦ م ، ط ٦ ، ص ٣٩ .  
 ( ٣ ) باقر شريف القرشي : النظام التربوي في الاسلام ، بيروت ، دار المعارف ، ١٤٠٣ هـ ، د . ط ، ص ٢٠٨ .  
 ( ٤ ) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ج ١ ص ٨٠ .  
 ( ٥ ) حسن ابراهيم عبدالعال : مقدمة في فلسفة التربية ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

فالتأمل في الكون وأسراره بعمق وصدق يملأ القلب اشراقاً وإيماناً ووثوقاً بالله

سبحانه وتعالى<sup>(۱)</sup> قال تعالى :

« أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْجِدٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَ بَنِي آدَمَ بُلُودَ بَينَهُمْ وَمَجَالِيَ عَمَلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يُذَكَّرُونَ ۝ (٢٠) زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ »

وقال تعالى :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ، رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرِسْمِهِ فَمِنَّا مَنْ آمَنَ رَبَّنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُم مَّن ذَكَرَ أَوْ أُنْشِيَ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي وَلَا تُلْحِقُوا الْفِتْنَةَ بِفِتْنِي وَلَا تُخَلِّسُوا أَمْوَالَكُم مِّنْ أَمْوَالِكُمْ أَصْحَابُ الْأَمْوَالِ لْيَرْزُقُوا أَهْلَهُمْ مِّنْ ثَمَرِهَا وَلَا يُسْرِفُوا فِيهَا إِنَّهُ لَا يُسْرِفُ الْعَامِلُونَ﴾ (٣)

وفي هذه الآيات يقول محمد قطب :

فألوا الألباب هم الذين يستخدمون قواهم العقلية في تدبر وتأمل آيات

الله في الكون، ولكنهم لا يتأملون تأملا مجردا ناهلا عن الواقع المحسوس، ولا يتأملون بمعزل عن الله، فيضلوا، انما يتأملون وهم يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم. (٤)

- ( ١ ) باقر شريف القرشى : النظام التربوى فى الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧ .
- ( ٢ ) سورة ق ، آية : ٦-٧ .
- ( ٣ ) سورة آل عمران ، آية : ١٩٠ - ١٩٥ .
- ( ٤ ) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ج ١ ص ٨٢ .

وهذه هى روح المؤمن الذى يتفكر فى خلق السموات والأرض، ويصل نتيجة تفكره  
ذلك الى اكتشاف قوانين ونظريات وحقائق وتطبيقات، تفيده فى تعمير الأرض وهو  
يمشى فى مناكبها<sup>(١)</sup>.

ويقول أيضا :

إن هذه الآيات هى المنهج الكامل للتأمل الاسلامى فى ملكوت الله وهى  
التوجيه الذى يوجه العقل فى أول مهمة من مهامه : مهمة تدبر آيات الله فى  
الكون، إنها تبدأ بالتفكر وتنتهى بالعمل<sup>(٢)</sup>.

أما التأمل فى الكائنات الأرضية بكل ما تشمله من جمادات ونباتات وحيوانات،  
فانه يبعث على الايمان بالله سبحانه وتعالى، ويوصل النفس من الأهام والشكوك<sup>(٣)</sup>  
ولقد دعا القرآن الى التأمل فى الكائنات الأرضية .

قال تعالى :

« أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى  
الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ »<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى :

« فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَاهُ  
الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعَبْنَا وَقَضَبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ  
غُلْبًا وَفَلَكَهًا وَآبَسًا »<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى :

« هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ  
تَسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ  
الشَّجَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »<sup>(٦)</sup>.

- 
- ( ١ ) محمد قطب : قبسات من الرسول ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .  
( ٢ ) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ج ١ ص ٨٣ .  
( ٣ ) باقر شريف القرشى : النظام التربوى فى الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٢١٢ .  
( ٤ ) سورة الغاشية ، آية : ١٧ - ٢٠ . ( ٥ ) سورة عبس ، آية : ٣٤ - ٣١ .  
( ٦ ) سورة النحل ، آية : ١٠ - ١١ .

وقال تعالى :  
 « وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (١) .

كما أن التأمل في الانسان وأحواله وأطواره المختلفة ونفسه ، يجعل الانسان يستشعر في نفسه عظمة الله وقدرته ، ويبعث أيضا على الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

قال تعالى :  
 « وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » (٢) .

وقال تعالى :  
 « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفًا فَرَّاسًا ، ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » (٣) .

ولوتأملنا في الكون أيضا أكثر فأكثر لرأينا في كل شيء ....  
 " كبير أو صغير .... جليل أو ضئيل .... آثار القدرة والنظام ..  
 نرى القصد المتيقن .... والإرادة الكاملة .... والإحكام المطلق  
 .... والدقة البالغة .... تشمل كل شيء .... حتى الخليقة  
 .... وحتى الذرة البالغة الضآلة .... ففيها ، أحكام ودقة ونظام  
 كنظام وإحكام ودقة المجرى (٤) .

وحين يقيس الانسان المنصف هذا اللون من التوجيه الاسلامي للطاقة العقلية  
 - في التأمل في الكون - بالفلسفات قد يمها وحديثها والمعاضلات الذهنية

( ١ ) سورة الرعد ، آية : ٣ .

( ٢ ) سورة الذاريات ، آية : ٢٠ - ٢١ .

( ٣ ) سورة المؤمنون ، آية : ١٢ - ١٤ .

( ٤ ) عبد الجواد رجب : الايمان بالبرهان ، د . م ، دار التراث العربي ، د . ت ،



المنبثة في تضاعفها يدرك في الحال عظم الفرق وعظمة المنهج الاسلامي فـسـى  
تربية العقل البشري . (١)

د - العقيدة الاسلامية وجهت العقل الى النظر في سنن الله في الارض، وأحوال  
الأمم والشعوب على مدار التاريخ :

قال تعالى :

« قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
الْمُكَذِّبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ » (٢)

وقال تعالى :

« أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ سَكَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ  
لَهُمْ ، وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ  
تَحْتِهِمْ ، فَأَهْلَكْنَا هُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ » (٣)

وقال تعالى :

« قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ » (٤)

وقال تعالى :

« وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (٥)

وقال تعالى :

« أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ  
قَبْلِهِمْ ، كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنْفَارًا فِي الْأَرْضِ ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ  
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ » (٦)

( ١ ) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ج ١ ص ٨٤ .

( ٢ ) سورة آل عمران ، آية : ١٣٧-١٣٨ .

( ٣ ) سورة الانعام ، آية : ٦ .

( ٤ ) سورة الانعام ، آية : ١٦ .

( ٥ ) سورة الاعراف ، آية : ٩٦ .

( ٦ ) سورة غافر ، آية : ٢١ .

ان هذه الدعوة المتكررة - من الله سبحانه وتعالى - التي يدعوفيهما الناس أن ينظروا في تاريخ من قبلهم من الأمم والشعوب، تدل على أن الله سبحانه وتعالى، يلفت الأنظار لدراسة عوامل الفناء والبقاء ( السنن ) في المجتمعات، وذلك لغرض النظر والاعتبار، وللإستفادة من تجارب الأمم والشعوب السابقين (١) . قال تعالى :

« فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا » (٢)

والسنة (القانون) هي التي على أساسها تنمو وتزدهر المجتمعات أو تنخفض وتباد، وعلى أساسها أيضا يكافئ الله ويعاقب (٣) .

والعقيدة الإسلامية توجه معتنقيها أن يتفهموا السنن ويدركوها، لكي يستطيعوا أن يسيروا على هدى وبصيرة ولكي تتحقق فيهم سنة الله الخالدة، وهى سنة التمكين اذا هم آمنوا بالله الايمان الحق، "لأن رأس سنن الله أن يطاع، وأن من لا يطيع - الله - يهلك، وسنن الله لا تتخلف" (٤) .

وتعتبر سنة الماضين حسب منهج القرآن دعماً للبشر، ومساعداً لهم فى الابتعاد عن الوقوع فى الخطأ مرة أخرى . وكل التجارب البشرية العريقة فى القدم، والموزعة على أقطار البسيطة، تراث من العبر لكل الناس إذا أرادوا أن ينظروا اليها . وكل الذين لا يتذكرون ما وقع فيه الماضون من أخطاء، يكونون معرضين لاعادة دفع ثمن جهلهم اجتماعيا فى حياتهم الدنيا، كما هم معرضون لخسارة النفس فى الآخرة حين يقولون : (٥)

( ١ ) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية، مرجع سابق ، ج ١ ص ٩٤ .

( ٢ ) سورة فاطر، آية : ٤٣ .

( ٣ ) جودت سعيد : حتى يغيروا ما بأنفسهم، دمشق، دار الثقافة للجميع ، ١٣٩٥هـ، ط ٢، ص ١٢٩ .

( ٤ ) محمد أحمد الغمراوي : الاسلام فى عصر العلم، د . م ، دار الكتب الحديثة ، ١٣٩٣هـ ، د . ط، ص ٩٥ .

( ٥ ) جودت سعيد ، المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

قال تعالى :  
 (( وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ))<sup>(١)</sup>  
 " وقد بين القرآن العظيم أن من سنن الله تعالى التي أجرى  
 نظام المجتمع في ظل سلطانها ، أنه اذا اعتصم المجتمع - أى مجتمع  
 - بحبل الله ، واستمسك بالتقوى ، واستقام فى منهج حياته على  
 طريق الخير والحق تنزلت عليه بركات الله ورحماته وإنعاماته من  
 السماء ، وتفتحت له الأرض عن خيراتها وكنوزها . قال تعالى :  
 (( وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ  
 وَالْأَرْضِ ))<sup>(٢)</sup> . أما اذا أملت بهم شهواتهم عن مهيبة الإيمان  
 والاستقامة فان الله - سبحانه وتعالى - يأخذهم بذنوبهم  
 ويُفسد هم فى الأرض ))<sup>(٣)</sup> .

قال تعالى :  
 (( وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ))<sup>(٤)</sup> .

والعقيدة الإسلامية توجه العقل المسلم أن ينظر فى عوامل التطور الحقيقية  
 فى المجتمعات ، ويستخدم طاقته الواعية فى تدبرها والبحث فى أسبابها  
 ونتائجها . بما تعرض عليه من الأمثلة التاريخية المتعددة التى تحققت فيها سنة  
 الله الخالدة<sup>(٥)</sup> .

" سنة التمكين للمؤمنين - حين يؤمنون بالإيمان الحقيق -  
 والتد مير على الكافرين ولو استكبروا بباطلهم بعض الوقت  
 وعثوا فى الأرض مفسدين . سنة دائمة لا تتغير . النصر للإيمان  
 والخذلان للكفر<sup>(٦)</sup> .

- 
- ( ١ ) سورة الملوك ، آية : ١٠ . ( ٢ ) سورة الأعراف ، آية : ٩٦ .  
 ( ٣ ) محمد الصادق عرجون : سنن الله فى المجتمع من خلال القرآن ، ج ١ ، جدة ،  
 الدار السعودية ، ٤٠٤ هـ ، ط ٣ ، ص ٤١ .  
 ( ٤ ) سورة الأعراف ، آية : ٩٦ .  
 ( ٥ ) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٩٦ .  
 ( ٦ ) المرجع السابق ، نفس المكان .

هـ - العقيدة الاسلامية وجهت العقل الى النظر في حكمة التشريع:

نحن عند ما نقرأ بعض آيات الأحكام الشرعية، نلاحظ أنها غالباً ما تنتهي بكلمة " تعلمون " و " تتفكرون " و " تعقلون " .

قال تعالى :  
« وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » (١)

وقال تعالى :  
« يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ . قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ ، وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ » (٢)

وقال تعالى :  
« وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » (٣)

وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى - منزل العقيدة الاسلامية - يطالبنا بأن نفهم الحكمة من هذه الأحكام الشرعية، لأن عدم معرفة الحكمة من التشريع تجعلنا لا نطبق الأحكام الشرعية التطبيق الأمثل . وفي ذلك يقول الأستاذ محمد قطب : " إن الانسان إذا لم يكن فاهماً للحكمة الكامنة وراء التشريعات وفاهماً لترابط التشريعات في مجموعها ، فلن يتمكن من تطبيقها في تلك الحالات المختلفة التي تعرض للبشر في حياتهم الواقعية " (٤) .  
ولذلك فإن العقيدة الاسلامية وجهت عقول معتنقيها إلى النظر والتدبر في معرفة الحكمة من التشريع، ولم تطالبهم بأن يعملوا عقولهم لوضع قوانين تشريعية ، لأنها تعلم بأن ذلك فوق طاقة عقولهم البشرية .

( ١ ) سورة البقرة ، آية : ١٨٤ .

( ٢ ) سورة البقرة ، آية : ٢١٩ .

( ٣ ) سورة البقرة ، آية : ٢٤٢ ، ٢٤١ .

( ٤ ) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ج ١ ص ٨٧ .

وفيما يلي سوف أستعرض بعض آيات الأحكام الشرعية ، ثم بعد ذلك أقوم  
بإيضاح الحكمة من تلك التشريعات . قال تعالى :

« يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَا . ( ١ ) »

وقال تعالى :

« الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ  
وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ  
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ  
مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ  
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ( ٢ ) »

ففي الآية الأولى ، وهى تختص بأحكام الموارث ، نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى  
جعل نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى ، ونحن المسلمين مطالبين بتطبيق هذا  
الحكم الشرعى فى قضايا الموارث ، ومطالبين أيضا بأعمال عقولنا لمعرفة الحكمة  
من هذا الحكم الشرعى . فما هى الحكمة اذن من هذا الحكم الشرعى الذى جعل  
نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى ؟

يقول على أحمد الجرجاوى :

” والحكمة فى أن نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى . أن الذكر  
يكسب ويكدح فى طلب الرزق على بيته وأولاده ومن تجب عليه نفقته  
شرعا ... بخلاف الأنثى التى هى دائما متوارية بالحجاب ، لا عمل  
لها الا تدبير شئون المنزل الداخلية ، وهى التى ينفق عليها  
زوجها ، ويكلف بذلك شرعا ولو كانت فى سعة من المال وصالح الحال ” ( ٣ )

وكذلك لأن الرجل اذا أراد أن يتزوج نلاحظ أن الشرع يطالبه بدفع صداق للمرأة ،

( ١ ) سورة النساء ، آية : ١١ .

( ٢ ) سورة المائدة ، آية : ٥ .

( ٣ ) على احمد الجرجاوى : حكمة التشريع وفلسفته ، د . م . د . ن . ، ٢٨١ هـ ،

ط ٥ ، ج ٢ ص ٤٠٣ .

ويطالبه أيضا بالنفقة عليها ، أما المرأة فلم يطالبها بأن تدفع شيئا للرجل . وبذلك نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى عندما جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل ففى قضايا المواريث ، فانه قد جعل لها أبواب أخرى تدخل لها المال مثل باب الصداق وباب النفقة .

وفى الآية الثانية نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى أباح للمسلم أن يتكـح المرأة المحصنة من أهل الكتاب\* ، وحرّم عليه فى موضع آخر من القرآن نكاح المرأة المشركة . قال تعالى : « وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَنَّ » ( ١ ) .

فما هى الحكمة من اباحة نكاح المرأة الكتابية ؟ وماهى الحكمة أيضا من عدم اباحة نكاح المرأة المشركة ؟ .

أما الحكمة من اباحة نكاح المرأة الكتابية فهى أن أهل الكتاب أقرب الناس الى الهدى اذا سطع لهم البرهان - لأنهم مؤمنين بالله ومصدقين بالرسال - ولما علم الله سبحانه وتعالى ذلك أباح للمسلم أن ينكح الكتابية ( ٢ ) ، وكذلك هناك حكمة أخرى وهى " أن المرأة الكتابية اذا عاشت زوجها المسلم تجد عدل الاسلام يبدوا أمامها كل يوم ويزداد فى عينها فربما تسرب نور الاسلام الى قلبها فتعتنق الدين الحنيف وتهدى بهديه ( ٣ ) . والحكمة من عدم اباحة نكاح المرأة المشركة هى أن المرأة المشركة لا تؤمن بالله واحد يُعبد ، ولا تؤمن بكتاب أصلا ، فكانت العداءة متأصلة فى نفسها ضد الاسلام ، فلو تزوج المسلم بمشركة مع قيام العداءة الدينية فانه لا يحصل السكن والمودة بينهما وهما قوام مقاصد النكاح فى الاسلام ( ٤ ) .

( ١ ) سورة البقرة ، آية : ٢٢١ .

( ٢ ) على أحمد الجرجاوى : حكمة التشريع وفلسفته ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ٣٤ .

( ٣ ) المرجع السابق ، نفس المكان .

( ٤ ) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

\* أهل الكتاب هم الذين يدينون بدين وكتاب سماوى - غير محرف - منزل من عند الله سبحانه وتعالى .

لذلك فان الله سبحانه وتعالى لم يبيح للمسلم أن ينكح المرأة المشركــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــة .

### أثر العقيدة الاسلامية فى تربية الخلق

#### ١ - أهمية الأخلاق :

تختل الأخلاق فى الإسلام مكانة عليا شامخة لا مثيل لها فى غيره من الأديان والشرائع، ولا فى الفلسفات والنظريات قديمها وحديثها . وتعتبر محاسن الأخلاق النفسية ثمرة من ثمار العقيدة الاسلامية الصحيحة، والعبودية الخالصة لله تعالى وحده، قال صلى الله عليه وسلم :

( الإِيمان بضع وسبعون شعبة، والحياة من الإِيمان (١) .

كما يعتبر السلوك الأخلاقى - القولى والعملى - أيضا ثمرة من ثمار العقيدة الإسلامية، عن أبى شريح الدعوى قال : سمعت أذناى وأبصرت عيناى حين تكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته، قال : وما جائزته يــــا رسول الله ؟ قال : يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو يصمت ) (٢) .

وأثنى الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بحسن خلقه

فقال : (( وَإِنَّكَ لَمَلَكٌ خُلِقَ عَظِيمٌ (٣) .

وأمره بمحاسن الأخلاق فقال :

(( ادْفَعِ بِالتِّي هِىَ أَحْسَنُ، فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ (٤) .

( ٢ ) متفق عليه .

( ١ ) رواه مسلم .

( ٤ ) سورة فصلت، آية : ٣٤ .

( ٣ ) سورة القلم، آية : ٤ .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الأخلاق الفاضلة سببا تنال به الجنة (١) .

قال تعالى :

« وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » (٢) .

وكذلك فان النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد بين أهمية محاسن الأخلاق

وفضلها ، فقال :

( ان من أحبكم إلى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ) (٣) .

وقال : ( ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وان الله ليقض الفاحش البذي ) (٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

( البر حسن الخلق ) (٥)

وتنبع أهمية الأخلاق في الاسلام لكون القيم الأخلاقية تستمد من القرآن والسنة، فهما مصدرا القيم الأخلاقية الاسلامية، والمسلمون مطالبون بأن يأخذوا قيمهم الخلقية من هذين المصدرين . وقد ورد في القرآن الكريم " الف وخمسمائة وأربع آيات تتصل بالأخلاق " (٦) .

( ١ ) أبو بكر جابر الجزائري : منهاج المسلم ، مرجع سابق ، ص ١٣٤ .

( ٢ ) سورة آل عمران ، آية : ١٣٣ - ١٣٤ .

( ٣ ) رواه البخاري .

( ٤ ) رواه أحمد وأبو داود .

( ٥ ) رواه البخاري .

( ٦ ) عمر محمد التومي الشيباني : فلسفة التربية الاسلامية ، مرجع سابق ،



وتتضح أهمية الأخلاق أيضا في كونها تحقق للانسان نموا اجتماعيا ونموا حضاريا<sup>(١)</sup>، فاذا ما تمسك كل فرد في المجتمع بالقيم الأخلاقية الحسنة - من صدق، وأمانة، وعدل، وعدم أكل أموال الغير بالباطل، وعدم النجوى، وعدم الجهر بالسوء، وعدم التعاون على الشر، وعدم فعل الفاحشة، والمخادنة، وعدم الفخر والرياء، وعدم البخل والحسد - أثناء تعامله مع أفراد مجتمعه، فان ذلك سوف ينعكس ايجابيا على المجتمع، لأن المجتمع ما هو الا مجموعة من الأفراد، فاذا تمسك كل فرد من أفراد المجتمع بالقيم الأخلاقية الحسنة، فان المجتمع يصبح مترابطا ترابطا أخلاقيا، وفي هذا يقول الدكتور مقداد يالجن :

"إن الأخلاق هي الرابطة بين لبنات البناء - الاجتماعي - اذا شبهنا المجتمع بالبناء والأفراد باللبنات، فاذا زالت الأخلاق انفصمت هذه الرابطة وانقطعت الصلات، ومن ثم أدى الأمر الى.. انهدام البناء الاجتماعي . وكل عمل غير أخلاقي يصدر عن الفرد يضعف هذه الرابطة بينه وبين غيره، إذ أن ذلك العمل يعد بمثابة ضربة توجه الى لبنات هذا البناء ... وكلما زادت الأعمال غير الأخلاقية أوهنت أو أضعفت البناء الاجتماعي الى أن ينهدم ويصبح خاويا على عرشه "<sup>(٢)</sup>.

ونتيجة لهذا الترابط الأخلاقي الناتج عن الالتزام بالقيم الأخلاقية الحسنة من قبل أفراد المجتمع فانه سوف يتحقق في المجتمع الأمن والاستقرار وهما مطلبان أساسيان لكل نمو اجتماعي<sup>(٣)</sup>، وكما أن الأمن والاستقرار مطلبان أساسيان لكل نمو اجتماعي، فانهما بالاضافة الى المجتمع يشكلون عناصر رئيسية لأي نمو حضاري<sup>(٤)</sup>،

- 
- (١) أبو اليزيد أبو زيد العجمي : السلوك الخلقى للمسلم، ملحق مجلة الجندى المسلم، المملكة العربية السعودية، وزارة الدفاع والطيران، العدد - ٣٩، ص ١٣.
- (٢) مقداد يالجن : التربية الأخلاقية الاسلامية، مرجع سابق، ص ١٣٦.
- (٣) أبو اليزيد أبو زيد العجمي، المرجع السابق، ص ١٣.
- (٤) محمد قطب : واقعنا المعاصر، جدة، مؤسسة المدينة للصحافة، ١٤٠٧هـ، ص ٨٧.

حيث إنه لا يحدث أى نمو حضارى اذا فقد الأمن والاستقرار فى أى مجتمع . وفى ذلك يقول ابن خلدون :

" إعلم أن العدوان على الناس فى أموالهم ناهب بأموالهم فى تحصيلها واكتسابها ، لما يرونها حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم ، وإذا ذهبت أموالهم فى اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعى فى ذلك ، وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعى فى الاكتساب ، فإذا كان الاعتداء كثيراً عاماً فى جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك ، لذهابه بالأمال جملة بدخوله من جميع أبوابها ، وإن كان الاعتداء يسيراً كان الانقباض عن الكسب على نسبته ، والعمران ووفوره ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال ... فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب - بسبب العدوان والظلم - كسدت أسواق العمران وانتقصت الأحوال وانذعر الناس فى الآفاق ... فى طلب الرزق ... فخف ساكن القطر وخلت دياره .. واختل باختلاله حال الدولة ... لما أنها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورة (١) .

وأعظم من ذلك فى الظلم والفساد العمران والدولة التسلط على أموال الناس بشراء ما بين أيديهم بأبخس الأثمان ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه الغصب والاكراه فى الشراء والبيع " (٢) .

فابن خلدون أوضح أن فقدان القيم الأخلاقية الحسنة ، وانتشار القيم الأخلاقية السيئة - فى أى مجتمع أو دولة - كالجور والظلم ، يطيح بأمال الناس ويفرقهم فى الآفاق ، لطلب الرزق فى أقطار أكثر أمناً وعدلاً ، مما ينتج عن هذا العمل قلة السكان فى المكان الذى ينتشر فيه الظلم ، وينتج عنه أيضاً كساد فى

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، بيروت ، دار القلم ،

١٩٨١م ، ط٤ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

الأسواق ، وانهارا للدولة . ويحدث عكس ذلك اذا انتشرت القيم الأخلاقية الحسنة بين أفراد أى مجتمع أو دولة ، حيث يؤدي انتشار القيم الأخلاقية الحسنة الى حفظ المجتمع من الدمار ، كما يؤدي الى حفظ الدولة من الانهيار ، ويؤدي أيضا الى التقدم والنمو الحضارى .<sup>(١)</sup>

## ٢ - تعريف الخلق فى اللغة :

"الخلق " بسكون اللام وضمها السجية .<sup>(٢)</sup>

## ٣ - تعريف الخلق لدى بعض قدماء العلماء المسلمين :

أ - يعرف ابن مسكويه الخلق على أنه " حال للنفس داعية لها الى أفعالها من غير فكر ولا روية " .<sup>(٣)</sup>

ب - أما الامام الغزالى فيعرفه بأنه عبارة عن :

"هيئة فى النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر ورؤية ، فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا ، سميت تلك الهيئة خلقا حسنا ، وان كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا " .<sup>(٤)</sup>

## ٤ - تعريف الخلق لدى بعض علماء المسلمين المحدثين :

أ - يعرف سيد قطب - يرحمه الله - الخلق بأنه : " فطرة فى الفرد ... ووظيفة

( ١ ) مقدار يالجن : التربية الأخلاقية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

( ٢ ) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ١٨٧ .

( ٣ ) أحمد بن محمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق فى التربية ، بيروت ، دار

الكتب العلمية ، ١٤٠١ هـ ، ص ٢٥ .

( ٤ ) أبو حامد محمد بن محمد الغزالى : احياء علوم الدين ، بيروت ، دار

المعرفة ، د . ت . د . ط ، ج ٣ ، ص ٥٣ .

الدين هي مجرد تنظيم هذا العنصر الفطرى وتوجيهه ، ووضع المعايير  
الثابتة له (١) .

ب - أما أحمد أمين فيقول : "الخلق صفة نفسية لاشيئ خارجى ، أما المظهر  
الخارجى للخلق فيسمى (سلوكا ) أو معاملة ، والسلوك دليل الخلق ومظهره" (٢) .

ج - ويعرف الشيخ أبو بكر الجزائري الخلق بأنه :

"هيئة راسخة فى النفس، تصدر عنها الأفعال الإرادية الاختيارية  
من حسنة وسيئة، جميلة وقبيحة، وهى قابلة بطبعها لتأثير التربية  
الحسنة والسيئة فيها ، فإذا ماريت هذه الهيئة على إثارة الفضيلة  
والحق ، وحب المعروف ، والرغبة فى الخير، وروضة على حب الجميل  
وكراهية القبيح ، وأصبح ذلك طبعاً لها تصدر عنه الأفعال الجميلة  
بسهولة دون تكلف قيل فيه خلق حسن" (٣) .

د - ويعرفه عبد الرحمن حسن حينكة الميداني بأنه : "صفة مستقرة فى النفس  
فطرية أو مكتسبة ، ذات آثار فى السلوك محمودة أو مذمومة" (٤) .

مما سبق نلاحظ أن الخلق - لدى بعض قدماء العلماء المسلمين ، وبعض

العلماء المسلمين المحدثين - جاء بعدة مفاهيم هي :

١ - أن الخلق صفة طبيعية فى خلقه الانسان الفطرية .

ب - أن الخلق يطلق أحيانا على الصفة المكتسبة ، والتي أصبحت عادة فى السلوك .

(١) سيد قطب: دراسات اسلامية، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٣٩٣هـ ،

د . ط ، ص ٥١ .

(٢) أحمد أمين : كتاب الاخلاق ، بيروت، دار الكتاب العربى ، ١٩٧٤م ، د . ط ،

ص ٦٣ .

(٣) أبو بكر جابر الجزائري : منهاج المسلم ، د . م ، دار الفكر ، ١٣٩٦ ، ط ٨ ،

ص ١٣٤ .

(٤) عبد الرحمن حسن حينكة الميداني : أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها ،

دمشق ، بيروت ، دار القلم ، ١٤٠٠هـ ، ط ٢ ، ص ٦٣ .

- ج - أن الخلق له جانبان ، جانب نفسي باطنى ، وجانب سلوكي ظاهري<sup>(١)</sup> .
- د - أن الخلق يطلق على السلوك الحسن ، والسلوك السيئ ، فان كان السلوك الصادر عن الخلق حسنا سمي هذا السلوك خلقا حسنا ، وان كان السلوك الصادر عن الخلق سيئا سمي هذا السلوك خلقا سيئا .

#### ٥ - تعريف الأخلاق فى الاسلام :

"هى عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الانسانى ، التى يحدد بها الوحي لتنظيم حياة الانسان ، وتحديد علاقته  
بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده فى هذا العالم على  
اكمل وجهه"<sup>(٢)</sup> .

#### ٦ - مفهوم الأخلاق فى الاسلام :

إن مفهوم الأخلاق فى الاسلام يختلف اختلافا جذريا عن مفهومه فى الأديان  
والفلسفات الأخرى ، حيث إن الأخلاق فى مفهوم الاسلام "قاسم مشترك على  
المجتمع ، والقانون ، والسياسة ، والاقتصاد ، والأدب ، والتربية ، لا سبيل الى عزله  
عن هذه المقومات"<sup>(٣)</sup> وفى ذلك يقول سيد قطب يرحمه الله :

"ان العنصر الأخلاقى أصيل وعميق فى كيان التصور الإسلامى  
وفى كيان المجتمع المسلم ، بحيث لا يخلو منه جانب من جوانب  
الحياة ونشاطها كله ... - لأن المجتمع الإسلامى - مجتمع يقوم  
على العبودية لله وحده ، فهو مجتمع متحرر اذن من كل عبودية  
للعبيد ، فى أية صورة من صور العبودية ، المتحققة فى كل نظام على  
وجه الأرض ، ماعدا النظام الإسلامى ، الذى تتوحد فيه الألوهية

(١) مقدار يالجن : التربية الأخلاقية الإسلامية ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ١٣٩٧هـ ، ص ٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٣) أنور الجندى : قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الاسلام ، بيروت ،

مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ ، ص ١١٣ .

وتتمحضر لله ، فلا تخلع خاصية من خواصها على أحد من عباده ، ولا يدين بها الناس لأحد من عبيده ... ومن هذه الحريصة تنطلق الفضائل كلها ، وتنطلق الأخلاقيات كلها ، لأن مرجعها جميعا الى ابتغاء رضوان الله ، ومرتقاها تمتد الى التحلى بأخلاق الله ، وهى مبرأة اذن من النفاق والرياء ، والتطلع الى غير وجه الله ... وهذا هو الأصل الكبير فى أخلاقية الاسلام ، وفى فضائل المجتمع المسلم <sup>(١)</sup> .

وفى الأخلاق الاسلامية يتكامل الجانب النظرى مع الجانب العملى ، ويتكامل الجانب الظاهرى مع الجانب الباطنى من حيث القيمة والمفهوم " ذلك أن قيمة العمل الأخلاقى تظهر بصورة متكاملة عندما يجتمع النظر الأخلاقى مع العمل الأخلاقى ، وتتقرن صورة العمل مع باطن الذات الفاعلة <sup>(٢)</sup> أى أنه لكى يكون العمل حسنا لا بد أن تكون النية والارادة والغاية حسنة .

وقد نظر المسلمون الى الأخلاق على أنها منهاج - سلوكى - عملى غايتها

التعاون فى الحياة على البر والتقوى ، قال تعالى :

(( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ )) <sup>(٣)</sup>

بحيث تتمثل التقوى فى هذا المنهاج الأخلاقى عملا وسلوكا ولا تقف عند الجوانب النظرية وحدها <sup>(٤)</sup> . والأخلاق الاسلامية أخلاق تقوى ، حيث انها تجعل أداء العمل الطيب واجبا حتميا يقوم بعمله المسلم ، كما تجعل تجنب العمل الضار واجبا حتميا يقوم باجتنابه المسلم ، وتجعل الخوف من الله أقوى من الخوف من القوانين

( ١ ) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الاول ، ص ٥٦٩ - ٥٧٠ .

( ٢ ) مقدار يالجن : التربية الاخلاقية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .

( ٣ ) سورة المائدة ، آية : ٢ .

( ٤ ) أنور الجندى : الشبهات والأخطاء الشائعة فى الفكر الاسلامى ، د . م ، دار

الاعتصام ، د . ت ، د . ط ، ص ٢٣ .

والعقوبات الوضعية<sup>(١)</sup>. وبهذه النظرة للأخلاق من قِبَل المسلمين نجد أن الأخلاق إنما هي "سلوك تتفاعل في صنعه العقيدة والعقل والعاطفة...".<sup>(٢)</sup>

ولقد وسع الاسلام نطاق تطبيق الأخلاق عمليا حين أخضع جميع جوانب حياة الانسان الى نظريته الأخلاقية، ولروح الأخلاق بصفة عامة<sup>(٣)</sup>. فقد أخضع الاسلام علاقة الانسان بالله للأخلاق، وأخضع علاقة الانسان بأخيه الانسان في جميع النواحي للأخلاق، وأخضع علاقة الانسان بالحيوان للأخلاق<sup>(٤)</sup>.

وتستمد القيم الأخلاقية في الاسلام من المصدرين الأساسيين للدين وهما القرآن الكريم، والسنة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام كما أن القيم الأخلاقية الاسلامية في الاسلام ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان والأشخاص، لأنها ثابتة المصدر والهدف والغاية<sup>(٥)</sup>.

ومجمل القول أن الأخلاق في مفهوم الاسلام

"تقوم على رقابة الله وتقواه في مختلف التصرفات، وتدخل كعنصر أساسي في المجتمع والاقتصاد والسياسة والتربية ولا تتفصل عنها، وتستمد كيانها من التوحيد أساسا، فلا تنعزل عن الاسلام بل ترتبط به، وهي أخلاق تقوى... تحمل طابع الايثار والتضحية بمصلحة الفرد لمصلحة المجتمع، وهي أخلاق قوة وعمل مع المحافظة على رقابة الله، واعلاء الخير والبر والوفاء"<sup>(٦)</sup>.

(١) أنور الجندی : مفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع في ضوء الاسلام، د.م،

دار الاعتصام، د.ت، د.ط، ص ٢٢ .

(٢) عبد الحميد الصيد الزنتاني : أسس التربية الاسلامية في السنة النبوية،

ليبيا - تونس، الدار العربية للكتاب، د.ت، د.ط، ص ٦٥١ .

(٣) مقداد يالجن : التربية الأخلاقية الاسلامية، مرجع سابق، ص ٧٦ .

(٤) المرجع السابق، ص ٧٩، ٨١ .

(٥) أنظر خاصية الثبات في خصائص العقيدة الاسلامية .

(٦) أنور الجندی : الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الاسلامي، مرجع

سابق، ص ٢٤ .

## ٧ - بيان أثر العقيدة الإسلامية في تربية الخلق :

إن العقيدة الإسلامية هي الدافع للتخلق بالأخلاق الربانية التي ينبغي أن يكون عليها الشخص المسلم<sup>(١)</sup>. فالإيمان بالعقيدة الإسلامية لا يكون تاماً ، ولا يكون معتدلاً به إلا إذا بلغ مكانة في النفس ، بحيث يصير دافعا الى السلوك<sup>(٢)</sup> ، وقد بين القرآن هذه الحقيقة عندما يربط دائما بين الإيمان والعمل الصالح . قال تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ  
لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ »<sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ »<sup>(٤)</sup> .

وترتبط الأخلاق في الإسلام بالعقيدة الإسلامية ارتباطاً الجزئياً بالكل<sup>(٥)</sup> .

فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال - للرجل الذي قال له قل لي قسى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك : ( قل آمنت بالله ثم استقم )<sup>(٦)</sup> .

فمن هذا القول الجامع نجد أن الاستقامة لا تتم ولا تحدث بدون إيمان ، لأن الاستقامة هنا تعنى فعل الأوامر التي أمر الله بها واجتناب النواهي التي نهى الله عنها ، ولا بد أن لحدوث الاستقامة بمعناها الإسلامي من الإيمان ، أن الإيمان متى ترسخ في نفس الإنسان ، فإنه يدفعه الى الاستقامة في جميع جوانب

( ١ ) محمد قطب : دراسات قرآنية ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ ، ط ٤ ، ص ٢٦٩ .

( ٢ ) عبد المجيد النجار : العقل والسلوك في البنية الإسلامية ، مدين ، مطبعة

الجنوب ، د . ت . د . ط ، ص ١٥٠ .

( ٣ ) سورة البقرة ، آية : ٢٧٧ .

( ٤ ) سورة التوبة ، آية : ١١٩ .

( ٥ ) أنور الجندی : تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة ، د . م . د . ت ،

د . ط ، ص ٤٥٦ .

( ٦ ) رواه مسلم .



الحياة المختلفة ، وبذلك يتضح أن الايمان بمعناه الاصطلاحي يتضمن كل الأعمال الصالحة الناتجة عن الاعتقاد والقول .

وفى ذلك يقول ابن خلدون :

” ... ان الايمان الذى هو أصل التكليف وينبوعها ... ذو مراتب أولها التصديق القلبي ... وأعلاها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي وما يتبعه من العمل مسئولية على القلب فيستتبع الجوارح وتندرج فى طاعتها جميع التصرفات حتى تنخرط الأفعال كلها فى طاعة ذلك التصديق الايماني ” (١) .

وأى سلوك لا يكون دافعه الايمان ، فانه لا يعتبر سلوكا مقبولا من الوجهة الاسلامية ، وإن كان هذا السلوك فى ظاهره يلائم الأوامر التى أمر الله بهـــــــــــــــــا والنواهي التى نها الله عنها (٢) . قال تعالى :

(( وَقَدْ مَنَّا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا )) (٣) .

وقال تعالى :

(( وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ )) (٤) .

ويتضح ذلك أيضا من قوله صلى الله عليه وسلم للأعرابي - عندما سأله عن الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، من الذى فى سبيل الله - ( من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله ) (٥) .

لذلك نجد أن العقيدة الاسلامية الصحيحة متى رسخت فى قلب الفرد استقام سلوكه وحسن خلقه . ” وقد دلت التجارب أن صلاح سلوك الفرد يتناسب طرديا مع

( ١ ) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٤١١ .

( ٢ ) عبد المجيد النجار : العقل والسلوك فى البنية الاسلامية ، مرجع سابق ،

ص ١٥١ .

( ٣ ) سورة الفرقان ، آية ٢٣ . ( ٤ ) سورة النور ، آية : ٣٩ .

( ٥ ) متفق عليه .

مدى سلامة أفكاره ومعتقداته ، وأن فساد سلوك الفرد يتناسب عكسا مع مدى تضاؤل العقائد السليمة في كيانه الفكرى واحتلال العقائد الفاسدة محلها " (١) .

وترتبط الاخلاق في الاسلام بالعقيدة الاسلامية ارتباطا وثيقا ، حيث  
إن الاخلاق في مفهوم الاسلام ثمرة من ثمرات الايمان والعبادة (٢) ، فالإيمان بالله سبحانه وتعالى يعنى الاعتراف بالحقيقة الالهية ، والاعتراف بالحقيقة الالهية فضيلة ... كما أنه اعتراف بانعام المنعم سبحانه وتعالى ، والاعتراف بانعام المنعم يستوجب الشكر ، وعدم الاعتراف بالحقيقة الالهية مكابرة وجحود ، وخروج على الخلق الحسن (٣) . كما أن الايمان بالله سبحانه وتعالى من شأنه أن يربى في النفس ملكة المراقبة ، وكذلك من شأنه أن يباعد بين الانسان وبين الرديئ من الأعمال (٤) .  
والايمان بالملائكة يدعو الانسان الى التشبه بهم في عدم معصية الله ، وفي التعاون على الحق والخير والوعى الكامل واليقظة التامة ، بحيث لا يصدر منه الا ما هو خير ولا يتصرف الا لهدف اسمى .

والايمان بالكتب ، يدعو الانسان الى العرفان لله سبحانه وتعالى بالمنهج الرشيد المتكامل الذى رسمه للانسان كي يصل بالسير عليه الى كماله المادى والأدبى .

والايمان بالرسول ، من شأنه أن يجعل الانسان يترسم خطاهم ، ويتخلق بأخلاقهم والتأسي بهم ، باعتبار أنهم يمثلون القيم الصالحة ، والحياة الطاهرة التى أرادها الله لبنى البشر .

- 
- ( ١ ) محمود أحمد خفاجى : فى العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ، تحليل ونقد مرجع سابق ، د . م . د . ن . ١٣٩٩ هـ ، ج ١ ص ١٣ .  
( ٢ ) عمر محمد التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٢٢ .  
( ٣ ) مقدار يالجن : التربية الاخلاقية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٨١ - ٨٢ .  
( ٤ ) محمد أبو الفيط الفرت ، محمد رؤاس قلعة جى : العقيدة الاسلامية فى مواجهة المذاهب الهدامة ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٢ .

والإيمان باليوم الآخر هو أقوى باعث للإنسان على فعل الخير وترك الشر .  
والإيمان بقضاء الله وقدره من شأنه أن يزود الإنسان بقوى وطاقات تتحدى  
كل العقبات والصعاب، وتصفر دونهما الأحداث الجسام (١) .

أما العبادة فلها ثمار أخلاقية كثيرة . فالصلاة اعتراف عملي بالوهمية اللـه  
سبحانه وتعالى وعبودية الإنسان (٢) فإذا أتى بها الإنسان كاملة، فإنه يتحقق  
الهدف منها، وهو عدم عمل الفواحش والمنكرات، قال تعالى :

«إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» (٣) .

والزكاة من شأنها أن تطهر نفوس الأفراد من الذنوب والآثام، ومن أرجاس  
البخل والدناءة والطمع وغير ذلك من الرذائل الاجتماعية، فهي بذلك تتركز في  
النفوس وتعليقها وتخليصها من الشح (٤) .

والصيام الخالص لله سبحانه وتعالى يعوّد الشخص الصبر والكرم، كما أن الله  
سبحانه وتعالى حدد الغاية من الصوم، فقال :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن  
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (٥) .

\* أى تتخذوا الصيام وقاية تحول بينكم وبين الميل المفرط والمنكرات (٦) .

(١) محمد أبو الغيط الفرت، محمد رؤاس قلعة جى : العقيدة الإسلامية فى

مواجهة المذاهب الهدامة، مرجع سابق، ص ١٢ .

(٢) أبو اليزيد أبو زيد العجمي : السلوك الخلقى للمسلم، مرجع سابق، ص ٢٠ .

(٣) سورة العنكبوت، آية ٤٥ .

(٤) عفيف عبدالفتاح طيارة : روح الدين الإسلامى، بيروت، دار العلم

للملايين، ١٩٨٥م، ط ٢٥، ص ٣٤٣ .

(٥) محمد عبدالعزيز الخولى : الأدب النبوى، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٥هـ،

د . ط، ص ١٢٧ .

(٦) سورة البقرة، آية : ١٨٣ .

(٧) عفيف عبدالفتاح طيارة : روح الدين الإسلامى، مرجع سابق، ص ٢٥٤ .

والحج المبرور من شأنه أن ينمى خلق الصبر، وحسن العشرة، والتعاون<sup>(١)</sup> .  
ويجب أن نلاحظ هنا أن برهان الصدق في العبادات والاخلاص فيها "كرم  
الأخلاق" وآية التقصير في العبادات "سوء الأخلاق"<sup>(٢)</sup> .

---

(١) محمد عبد العزيز الخولي : الأدب النبوي ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

## الفصل الثاني

### أهم آثار الالتزام بالعقيدة الإسلامية في المجال العلمي

- مفهوم العلم في الإسلام .
- أهمية العلم في الإسلام .

أولا : أثر الالتزام بالعقيدة الإسلامية في حياة الإمام أحمد بن حنبل وإنتاجه العلمي.

ثانيا : آثار عامة في المجال العلمي :

- ١ : ظهور علوم جديدة .
- ٢ : نشاط حركة الترجمة .
- ٣ : إنشاء المدارس العلمية .
- ٤ : إنشاء المكتبات .
- ٥ : ابتكار المنهج العلمي التجريبي .

تمهيد :

بعد أن أوضح الباحث الأساس العقائدي الاسلامي في الفصل الأول ، وأوضح أثر هذا الأساس في تربية العقل والخلق ، سوف يتناول الباحث الحديث عن أهم آثار الالتزام بالعقيدة الاسلامية في المجال العلمي . وقيل إبراز أهم آثار الالتزام بالعقيدة الاسلامية في المجال العلمي سوف يتحدث عن مفهوم العلم في الاسلام ، وأهمية العلم في الاسلام ، ثم يتحدث بعد ذلك عن سيرة شخصية إسلامية التزمت بالعقيدة الاسلامية لإيضاح مدى تأثير هذه الشخصية بالعقيدة الاسلامية وذلك من خلال مواقفها في الحياة ومؤلفاتها العلمية .

مفهوم العلم في الاسلام .تعريف العلم :

" العلم نقيض الجهل <sup>(١)</sup> " وهو " إدراك نسبة مجزوم بها وبوقوعها مع وجود دليل عليها <sup>(٢)</sup> . أما إذا كانت هناك نسبة مجزوم بها وهي واقعة ولكن لا نستطيع أن ندلل عليها فذلك هو التقليد <sup>(٣)</sup> . ولن كان الإدراك غير مطابق للواقع المرئى أو الصورة الخارجية فهو الجهل <sup>(٤)</sup> . وأما إن كان " العلم غير جازم المطابقة فإنه إما أن يستوى طرفاه وهو الشك ، ولما أن يرجح أحدهما الآخر ، فالراجح هو الظن والمرجوح هو الوهم <sup>(٥)</sup> .

( ١ ) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٣١١ .

( ٢ ) محمد متولى الشعراوى : منهج التربية في الاسلام ، د . م . ، دار المسلم ، د . ت . ، د . ط . ، ص ٢٩ .

( ٣ ) المرجع السابق ، نفس المكان .

( ٤ ) أبو بكر الجزائري : العلم والعلماء ، القاهرة ، دار الكتب السلفية ، د . ت . ، د . ط . ، ص ١٢ .

( ٥ ) أبو بكر الجزائري : العلم والعلماء ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

وقيل ان العلم هو " معرفة المعلوم من الذوات والصفات والمعاني على ما هو عليه في الواقع <sup>(١)</sup> . وقيل أيضا هو " ادراك الشيء على ما هو عليه في الواقع سواء كان ذلك الشيء من المحسوسات أو المفاهيم <sup>(٢)</sup> .

ولهذا فان جميع الظنون والنظريات والفرضيات لا تعتبر علما مجزوما به ، وانما تعتبر جميعها طريقا الى العلم لم يتم بعد ، ولا بد من اجتيازها لكي يتحقق العلم <sup>(٣)</sup> .  
وقسم علماء الاسلام العلم الى قسمين :

أ - ضروري . ب - مكتسب <sup>(٤)</sup> .

أولا : الضروري : وهو " مالا يمكن للعالم أن يشكك فيه نفسه ولا يدخل فيه على نفسه شبهة ، ويقع له العلم بذلك قبل الفكرة والنظر ، ويدرك ذلك من جهة الحس والعقل ، كالعلم باستحالة كون الشيء متحركا ساكنا ، أو قائما قاعدا ، أو مريضا صحيحا في حال واحدة ، ومن الضروري أيضا وجه آخر يحصل بسبب من جهة الحواس الخمس ، كذوق الشيء يعلم به المرارة والحلاوة ضرورة اذا سلمت الجارحة من آفة " <sup>(٥)</sup> .

ثانيا : المكتسب : وهو " ما كان طريقه الاستدلال والنظر ، ومنه الخفي والجلي ، فما قرب من العلوم الضرورية كان أجلى ، وما بعد منها كان أخفى <sup>(٦)</sup> .  
وقيل هو : " ما يحتاج المرء فيه الى تأمل وأعمال فكر " <sup>(٧)</sup> .

- (١) أبو بكر الجزائري : العلم والعلماء ، مرجع سابق ، ص ١٢ .
- (٢) محمد سعيد رمضان البوطي : من أسرار المنهج الرباني ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ هـ ، ط ٢ ، ص ٢٠ .
- (٣) المرجع السابق ، نفس المكان .
- (٤) يوسف بن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ، د . م ، دار الفكر ، د . ت ، د . ط ، ج ٢ ، ص ٤٦ .
- (٥) المرجع السابق ، نفس المكان .
- (٦) المرجع السابق ، نفس المكان .
- (٧) أبو بكر الجزائري ، مرجع سابق ، ص ١١ .

وقيل أيضا هو : " الذى لا يحصل الا بالدليل العقلى " (١)

وهناك طريقان لمعرفة العلوم :

أ - طريق النقل . ب - طريق العقل .

فالعلوم التى تستند الى الخبر عن الواضع الشرعى ، ولا مجال فيها للعقل تسمى علوم نقلية ، أما العلوم التى يمكن أن يقف عليها الانسان بعقله ويهتدى الى موضوعاتها ومساثلها وبراهينها بمداركة البشرية فتسمى العلوم العقلية . وهذا ما بينه ابن خلدون حين قال :

" اعلم أن العلوم التى يخوض فيها البشر ويتداولونها فى الأمصار تحصيلًا وتعلیمًا هى على صنفين :

١ - صنف طبيعى للانسان يهتدى اليه بفكره .

٢ - صنف نقلى يأخذه عن وضعه .

والأول هى العلوم الحِكْمِيَّةُ ... وهى التى يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة فكرة ويهتدى بمداركة البشرية الى موضوعاتها ومساثلها وأنحاء براهينها ووجوه تعلیمها حتى يقفه نظره ويحدثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو انسان ذو فكر . والثانى هى العلوم النقلية الوضعية وهى كلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعى ولا مجال فيها للعقل الا فى الحاق الفروع من مساثلها بالأصول " (٢) .

ويختلف مفهوم العلم فى الاسلام عن غيره فى المذاهب الفكرية ، فالاسلام

لا يفصل بين الدين والعلم ، بل ان العلم فى مفهوم الاسلام جزء من الدين (٣) .

ولم يحدث فى الاسلام ذلك الصراع البغيض الذى حدث فى أوروبا بين الكنيسة

( ١ ) على الطنطاوى : تعريف عام بدين الاسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،

١٤٠١ هـ ، ط ١١ ، ص ٤١ .

( ٢ ) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

( ٣ ) محمد أحمد الغمراوى : الاسلام فى عصر العلم ، د . م ، دار الكتب الحديثة ،

د . ت ، د . ط ، ص ٥٧ .



والعلم، لأن الاسلام لم يكن فى يوم من الأيام عقبة كؤودا فى سبيل التقدم العلمى ، بل ان الاسلام بتعاليمه هو الذى حث المسلمين على طلب العلم ، وهذا بعكس الدين الذى قاومه أوروبا فى عصر النهضة ، فالدين الذى قاومه أوروبا - ليس الدين الحق بمفهومه الجامع - كان دينا كهنوتيا يقوم على تفسيرات مشوهة ، أعاققت التقدم العلمى والحضارى .<sup>(١)</sup> " فالعلم على اطلاقه لم يكبر فى دين من الأديان كما كبر فى الاسلام ، وان دينا لم يلزم أهله بالعلم كما ألزم الاسلام المسلمين .<sup>(٢)</sup> والاسلام كذلك " لا يفصل العلم عن بقية حياة الانسان ، ولا يجعله شيئا قائما بذاته ولا يرفع شعار العلم للعلم<sup>(٣)</sup> ، انما يجعل العلم هو أساس الأعمال والأقوال ، فهو يحث المسلم على أن تكون جميع أعماله وأقواله نابعة عن علم لا عن تقليد أعمى ، لأن " العلم أداة ضرورية من أدوات عمارة الأرض والسعى وراء الرزق والقيام بدور الخلافة فى الأرض<sup>(٤)</sup> .

فالعلم فى الاسلام ليس هدفا فى حد ذاته انما هو وسيلة لخدمة أمور أمرنا بها ولا نستطيع القيام بها الا بالعلم ، وبذلك فان الانسان المسلم لا يستطيع أن يؤدى الدور الذى خلق من أجله الا بالعلم ، وبذلك أيضا يصبح العلم فى الاسلام موافقا للاتجاهات الفطرية ، وموافقا للحاجات النفسية والحيوية لدى الانسان وهذا يعكس ما حدث فى الكنيسة الأوروبية .

والعلم فى الاسلام عبادة يتقرب بها الانسان المسلم الى الله ، لأنه يعتبر نشاطا انسانيا . والعبادة بمفهومها الواسع تشمل كل نشاط خير للانسان على وجه الأرض . وتعلم العلوم النافعة يعتبر نشاطا انسانيا خيرا ، فهو بذلك عبادة يتقرب بها الى الله . والمسلمون الأوائل حينما تربوا على الاسلام أدركوا أن

( ١ ) أنور الجندى : تصحيح المفاهيم فى ضوء الكتاب والسنة ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ .

( ٢ ) محمد أحمد الغمراوى : الاسلام فى عصر العلم ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

( ٣ ) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

( ٤ ) المرجع السابق ، نفس المكان .

قضية الاهتمام بالناحية العلمية من قبل الاسلام هي قضية تعبدية بالدعوة الأولى ،  
وليس للاستعلاء والتسلط في هذه الدنيا (١) .

وكذلك فان علماء المسلمين الأوائل لم يفرقوا بين العلوم التجريبية والعلوم  
الشرعية ، بل كان الواحد منهم فلكيا ومفسرا وطبييا وفقهيا في آن واحد . وهذا  
مما يؤكد لنا أن علماء المسلمين لم يعتبروا طلب العلوم الشرعية فقط عبادة ، بل  
اعتبروا كل علم يساعد على تنفيذ أوامر الله عبادة . وفي هذا يقول محمد قطب :

” ولا يحسب أحد ( أن طلب العلم الشرعي فقط يعتبر عبادة يتقرب  
بها الانسان الى الله ) وان كان العلم الشرعي فريضة بديهية على  
كل مسلم ، ليعرف كيف يعبد الله العبادة الصحيحة ، ويعرف الحلال  
والحرام ، وما ينبغى عمله وما ينبغى الانتها عنه . انما ينطبق هذا  
الوصف على كل العلم ، مادام لا يخرج عن الحدود التي رسمها  
الله . والا فانظر معنى كيف ينفذ المسلمون هذا الأمر الرباني :  
» وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ  
اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ « (٣) .

هل يستطيعون ذلك بغير علم يشمل اليوم الفيزياء والكيمياء  
والرياضيات والميكانيكا ، وعشرات غيرها من العلوم —  
وكيف ينفذون أمره تعالى :

» هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ « (٤)  
هل يمشون بغير علم ؟ وهل يأكلون من رزقه بغير علم ؟ وانظر الى  
قوله تعالى :

» وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ « (٥)

(١) أنور الجندی : العودة الى منابع ، د . م ، دار الاعتصام ، د . ت ، د . ط ،

ص ٢٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ٦٠ .

(٤) سورة الملك ، آية : ١٥ .

(٥) سورة الجاثية ، آية : ١٣ .

هل يتحقق التسخير بغير علم ؟ هل يقول الانسان للشيء كُن  
فيكون ؟ !! أم يحتاج تحقيق التسخير الى جهد علمي ؟ !!  
وعشرات الأمور تقطع بأن العلم (الذي يتعبد به) ليس هو العلم  
الشرعي وحده ، انما هو كل علم نافع " (١) .

وتقوم نظرة الاسلام الى العلم على أساسين رئيسيين :

الأول : ايماني . والثاني : تجريبي .

فالاساس الايماني يتعلق بما أخبر به الله سبحانه وتعالى عن طريق الوحي ،  
وأما الأساس التجريبي فيتعلق بما لفت القرآن اليه أذهان الناس وحشهم على البحث  
فيه ، واخضاعه بالتجربة العلمية الموضوعية لمنافعهم " (٢) . " وكان من أثر هذه النظرة  
أن نقل الاسلام العلم من مرحلة النظر الى مرحلة العمل والتجربة ، فعرف العالم  
المناهج التجريبية وعرف النابغين من العلماء كالبيروني وابن الهيثم والرازي وغيرهم  
من كانوا أساتذة العالم في الطب والفلك والكيمياء " (٣) .

والعلم في الاسلام يعتمد على خمسة مصادر رئيسية هي :

الحس ، والعقل ، والحدس ، والالهام ، والوحي " (٤) .

والاسلام عندما يعترف بهذه المصادر جميعا فانه يقدر لكل مصدر منها أهميته في  
مجال العلم الذي يناسبه ، فأنسب المصادر لاكتساب العلوم الحسية هو الحس  
أو الادراك الحسي ، وأنسب المصادر للعلوم العقلية هو العقل ، وأنسب المصادر  
لاكتساب العلوم الذوقية والعاطفية هو الحدس والالهام ، وأنسب المصادر لاكتساب  
العلوم الدينية والخلقية والغيبية هو الوحي " (٥) .

" والاسلام وان اعترف بجميع مصادر (العلم) فانه لا يبالغ في

(١) محمد قطب: واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) مازن المبارك: مجلة الوعي الاسلامي ، السنة العاشرة ، العدد ١١٤ ، ص ٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٤) عمر محمد التومي الشيباني: فلسفة التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٩٤ .

(٥) المرجع السابق ، نفس المكان .

تأكيد أهميتها بالنسبة لجميع (العلوم) ... بل أعطى كلا منها حقه من الأهمية والتأكيد ، فأعلى من شأن الحس والعقل ( ولكن هذا الاعلاء للحس والعقل لا يجعلهما ) يصلان الى درجة الاكتفاء بهما هاديين في جميع الأمور وبدون هداية الدين وتوجيهه . فالسليم يملك أن يتلقى معارفه المتصلة بكافة العلوم الطبيعية ... من المصادر الحسية والعقلية ، ولكنه لا يملك ان يتلقى معارفه - المتعلقة بحقائق العقيدة أو بالتصور العام للوجود ، أو بالعبادة وأحكام الشريعة ، أو بالقيم الأخلاقية ، أو بالمبادئ والأصول العامة في النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي - الا من الدين أو الوحي ، ذلك المصدر الرباني الذي جاء يرشد الناس ويهديهم الى الصراط المستقيم " (١) .

لقد فهم المسلمون الأوائل هذا المفهوم الاسلامي للعلم ، والتزموا به خير التزام ، لذلك نجد أنه لم يحدث في العالم الاسلامي - على مرعدة قرون - ذلك العداء بين العلم والدين " أو بين العلم والعقيدة " لأن العلم والدين كلاهما نزعة فطرية في الانسان " فتوجه الفطرة لخالقها بالعبادة فطرة .. والرغبة في المعرفة والرغبة في التفاعل مع الكون المادي واستخدام ثمار المعرفة في تيسير الحياة وتحسينها وتجميلها فطرة كذلك " (٢) .

والاسلام يأخذ الانسان " على حقيقته الشاملة ، كلا مترابط الأجزاء متناسق النشاط يعمل بجميع نزعاته ومجالات نشاطه في اتجاه موحد ، لا تصطدم فيه نزعة بنزعة ، ولا يتعارض مجال للنشاط مع مجال آخر لأنها كلها متجهة الى عبادة الله بالمعنى الشامل الواسع " (٣) .

ولا يقول لمن أراد العلم عليك بترك الدين ، ولا لمن أراد الدين عليك بترك

( ١ ) عمر محمد التومى الشيباني : فلسفة التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٩٥ .

( ٢ ) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٩٤ .

( ٣ ) المرجع السابق ، ص ٩٦ .

العلم ، بل حث معتنقيه على طلب العلم ، واعتبره عبادة يتقرب بها الى الله ، لذلك نجد ان علماء المسلمين استطاعوا فك " القيود الروحية الجامدة التي عطلت حرية البحث العلمي خلال العصور القديمة والوسيطة ، - وهذا - على العكس من البلاد الغربية التي كانت تعذب العلماء وتقتل فيهم " (١) .

" فقد عوقب العالم ( جاليلو ) بالحبس والقتل لأنه اعتقد بدوران الأرض ، وسجن ( دى ملش ) فى روما حتى مات ، وبعد موته حكم على جثته وكتبه بالحرق ، لا لشيء الا أنه قال ان قوس قزح ليس قوساً مرسلًا من عند الله لعقاب عباده ، بل هو حقيقة علمية نتيجة لا انعكاس ضوء الشمس على نقاط الماء فى السماء . وحكم على ( غايتى ) فى تولوز - فى فرنسا - بالنار لأن آرائه العلمية خالفت تعاليم الكنيسة وقتئذ " (٢) .

وبينما كانت أوروبا على هذا النحو فى تلك العصور ، كان الخلفاء المسلمون يتفخرون بتقريب العلماء ، وبإنشاء المدارس الضخمة ، وينشر العلم فى جميع أنحاء الدولة الإسلامية (٣) .

والدين الإسلامى منهج كامل للحياة ، يسعى الى تنظيم علاقات الانسان بكل ماله علاقة به ، فهو يسعى الى تنظيم علاقة الانسان بالطبيعة والنفس والاسرة والمجتمع والأمة والشعوب وجميع الأشياء (٤) . والعلاقة بين هذه الأشياء قائمة على الايمان بالله سبحانه وتعالى ، والا لتزام بمنهجه ، " والعلم علاقة واحدة من مجموع علاقات جاء الاسلام لى ينظمها ضمن نظام كامل قوامه تصور كامل ( للانسان والكون والحياة ) ومن ثم فليس للعلم أن يكون منهجا أو دينًا للانسان ، لأن الجزء

( ١ ) على عبد الله الدفاع : لمحات من تاريخ الحضارة العربية والإسلامية ، القاهرة ،

الرياض ، الخانجي ، الرفاعي ، د . ت . د . ط ، ص ٥٧ .

( ٢ ) عز الدين فراخ : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ، د . م . دار

الفكر العربى ، ١٩٧٨ م ، د . ط ، ص ٦٥ .

( ٣ ) المرجع السابق ، ص ٦ .

( ٤ ) انور الجندى : قضايا العصر ومشكلات الفكر ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

(١) لا يستشرف الكل ، وأن علاقة واحدة لا تستطيع أن تحدد شكل ومضير علائق أخرى .  
 (٢) ولم يحدث في الاسلام أيضا أن استخدم العلم كوسيلة في افساد الأخلاق ،  
 كيف يتم ذلك ونبي الاسلام عليه الصلاة والسلام يقول ( انما بعثت لأتمم مكارم  
 الأخلاق ) ، ولو استخدم المسلمون العلم في افساد الأخلاق فهذا يعني أنهم  
 خرجوا عن مفهوم العلم على أنه عبادة يتقرب بها الى الله . وافساد الأخلاق عمل  
 لا يحبه الله ولا يرضاه ، وبذلك يكون بداهة أن العلم في المفهوم الاسلامي  
 لا يستخدم في افساد الأخلاق .

لكن الجاهلية المعاصرة استخدمت العلم كوسيلة في افساد الأخلاق ، ولعل  
 أوضح مثال على ذلك :

"تيسير استخدام موانع الحمل ، وانتاجها على نطاق واسع اكبر  
 بكثير جدا من حاجة البشرية الراشدة ، وتخفيض أسعارها حتى  
 تصبح في متناول أى فتاة تريد أن تحصل عليها ، واخراجها من  
 دائرة المراقبة الصحية التي ممكن للأطباء أن يمارسوها ، وذلك  
 ببيعها دون حاجة الى تذكرة الطبيب ، على الرغم مما يقوله الأطباء  
 أنفسهم من خطورة استخدامها بغير رقابة صحية .  
 والهدف من ذلك واضح ، فحين تأمن الفتاة نتائج اتصالاتها غير  
 المشروعة ، فما الذي يمنعها أن تفرق في هذه العلاقات الى آخر  
 المدى ، ويتحقق للشياطين ما يريدون من اشاعة الفاحشة على  
 أوسع نطاق " . (٣)

وهذا أمر طبيعي ، لأن العلم في الغرب لم تحده أخلاقيات ومثل ومعاليم  
 توجه العاملين في حقله ، وهذا يعكس الاسلام الذي يقوم فيه العلم " على أساس  
 الأخلاق والتقوى ، ولا ينفصل عنها ، ايماننا منه بأن العلم يصبح أداة شر اذا لم

( ١ ) انور الجندى : قضايا العصر ومشكلات الفكر ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

( ٢ ) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

( ٣ ) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

تَحِطُّهُ حَصَانَةُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ " (١)

ولم يحدث في الإسلام كذلك أن استخدم العلم كوسيلة للشر<sup>(٢)</sup>، لأن الإنسان المسلم علم أنه خلق لغاية كبرى هي العبادة، فجميع أعماله التي يقوم بها يتقرب بها إلى الله .

« قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَنُسَكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ » (٣)

والعلم جزء من الأعمال التي يقوم بها الإنسان المسلم، فهو بذلك عبادة، إذاً هناك " حاجز عقيدى وأخلاقي يمنع - المسلم - من استخدام ثمار العلم في الشر " (٤)

وهذا بعكس الجاهلية المعاصرة التي تستخدم ثمار العلم في أحداث ألوان من الشر يعجز الإنسان عن تصورها<sup>(٥)</sup>، والأمثلة على ذلك كثيرة، فقبلتي هيروشيما ونجازاكي اللتين القيتا على اليابان قد " محت كل منهما آثار الحياة كلها من نبات وحيوان وإنسان في دائرة واسعة حول المكان الذي ألقيت فيه " (٦)

والأسلحة النووية، والكيميائية، والجراثومية، التي تتسابق الدول الكبرى في إنتاج كميات كبيرة منها، تشكل مخاطر كبيرة على الحياة بصفة عامة، والحياة البشرية بصفة خاصة، ولا تتورع الدول الكبرى من استخدامها ضد الشعوب الضعيفة ولو لغرض التجربة .

وفي هذا العام - ١٩٨٨ م - قامت روسيا بزرع الغام كثيرة وبمختلف الأنواع في أفغانستان، والأدهى والأمر من هذه الأغام تلك الأغام التي صنعتها بصفة خاصة للأطفال، والتي على شكل فراشة ملونة، لتغرى بها أطفال المجاهدين

(١) أنور الجندى : سقوط العلمانية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٣٩٣ هـ ،

ص ١٨٩ .

(٢) محمد قطب: واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ٩٧ .

(٣) سورة الأنعام، آية : ١٦٢، ١٦٣ .

(٤) محمد قطب، المرجع السابق، ص ٩٨ .

(٥) المرجع السابق، نفس المكان .

(٦) المرجع السابق، نفس المكان .

( ١ )  
 الأفغان ، فيمجرد أن يلمس الطفل هذه الفراشة المزيفة فانها تنفجر فيسه .  
 والهدف من هذا العمل هو القضاء على اكبر عدد من أبناء المجاهدين  
 الأفغان ، وكذلك لكي ينشأ المجتمع الأفغاني مشوها وعاجزا عن مقاومة أى سلطة  
 تسيطر عليه فيما بعد .

وهكذا لاحظنا أن روسيا قد استخدمت ثمار العلم ابشع استخدام ، وذلك  
 لأنها دولة لا دينية ، وليس لديها أى مفهوم عن الأخلاق والرحمة .

### أهمية العلم فى الاسلام

ان الناظر والمتأمل فى بعض آيات القرآن الكريم وبعض أحاديث السنة  
 الشريفة ، يجد أن هناك كثيرا من هذه الآيات والاحاديث التى تمجد العلم  
 وتحث على طلبه والسعى اليه ، بل ان أول كلمة أنزلها الله على نبيه محمد صلى  
 الله عليه وسلم هى كلمة « اقرأ » ، ونحن كما نعلم أن القراءة هى مفتاح العلم ،  
 ان بدون القراءة لا يستطيع الانسان أن يلم بما هو مكتوب فى داخل الكتب من  
 علم ، وهذا ان دل على شئ فانما يدل على أهمية العلم فى الاسلام منذ الوهلة  
 الأولى . وتتضح لنا أهمية المعلم فى الاسلام اكثر عند استعراضنا لبعض الآيات  
 القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال بعض العلماء . قال تعالى :  
 « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ » ( ٢ )

ففى هذه الآية الكريمة استشهد الله فى البداية بنفسه وثنى بالملائكة عليهم  
 السلام وثالث بأولى العلم على أجل مشهود عليه وهو التوحيد ، وفى هذا دليل  
 على فضل العلم وشرف العلماء ، " ولو كان أحد اشرف من العلماء لقرنهم الله

( ١ ) مجلة الجهاد ، العدد الثامن والأربعون ، ربيع الأول ١٤٠٩ هـ ، ص ١٤ - ١٨ .

( ٢ ) سورة آل عمران ، آية : ١٨ .



باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء <sup>(١)</sup>.

وفي هذه الآية يقول الامام الغزالي : " فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه  
وشنى بالملائكة وثلت بأهل العلم وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً وجلاءً ونيلًا <sup>(٢)</sup> .  
وقال تعالى :

(( يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ )) <sup>(٣)</sup>

ذكر ابن مسعود رضى الله عنه أن الله سبحانه وتعالى مدح العلماء في هذه  
الآية وقال : " يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم فان الله يقول  
يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذى ليس بعالم درجات <sup>(٤)</sup> .

وقال ابن حجر في هذه الآية : " يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن  
غير العالم ، ورفعة الدرجات تدل على الفضل ، ان المراد به كثرة الثواب ، وبها  
ترتفع الدرجات ورفعتها تشمل المعنوية فى الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت ،  
والحسية فى الآخرة بعلو المنزلة من الجنة " <sup>(٥)</sup> .

ومما يوضح أهمية العلم فى الاسلام وفضله قول الله تعالى لنبيه محمد صلى  
الله عليه وسلم (( وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا )) \* فالله سبحانه وتعالى لم يأمر النبی محمد  
صلى الله عليه وسلم بطلب العلم الا زيدا من شئ الا من العلم <sup>(٦)</sup> . لذلك نجد أن النبی  
صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه :

( ١ ) محمد بن أحمد الانصارى القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ، دار  
الكتب المصرية ، ١٣٧٣ هـ ، ط ٢ ، ج ٤ ، ص ٤١ .

( ٢ ) الامام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى : احياء علوم الدين ، بيروت ،  
دار المعرفة ، د . ت ، د . ط ، ج ١ ، ص ٥ .

( ٣ ) المجادلة ، آية : ١١ .

( ٤ ) محمد على الصابونى : صفوة التفاسير ، بيروت ، دار القرآن الكريم ، ١٤٠٢ هـ ،  
ط ٤ ، ج ٣ ، ص ٣٤١ .

( ٥ ) أحمد بن على بن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح الامام  
البخارى ، رقم كنه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، اشرف على  
طبعه محب الدين الخطيب ، د . م ، المكتبة السلفية ، د . ت ، د . ط ، ج ١ ، ص ١٤١ .  
\* سورة طه ، آية : ١١٤ .

( اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما )

وقال صلى الله عليه وسلم :

( من سلك طريقا يبتغى فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة )  
وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع، وان العالم  
ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء،  
وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن  
العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينا ولا درهما ،  
انما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحفظ وافر ( ١ ) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

( ٢ )  
( فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي )

وفي هذا الحديث يقول الامام الغزالي :

" فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة  
العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لا يخلو عن علم  
بالعبادة التي يواظب عليها ولولا له لم تكن عبادة " ( ٣ ) .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فضل العلم :

" العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم  
حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق " ( ٤ ) .

وقال ابن عباس رضي الله عنه :

" خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك  
فاختار العلم فأعطى المال والملك معه " ( ٥ ) .

( ١ ) سليمان بن الأشعث : سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ص ١٥٣ .

( ٢ ) أخرجه الترمذي من حديث أبي أمامه وقال حسن صحيح .

( ٣ ) الامام الغزالي : احياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ج ١ ص ٦ .

( ٤ ) المرجع السابق ، ج ١ ص ٧ .

( ٥ ) المرجع السابق ، نفس المكان .

وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه :

" تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقه ، وبذله لأهله قرينة ، وهو الأنيس فى الوحدة ، والصاحب فى الخلوة ، والدليل على الدين ، والمصبر على السراء والضراء ، والوزير عند الأخلاء ، والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيل الجنة ، يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة ، يقتدى بهم ، أدلة على الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم ويأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى الحيتان فى البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها ، لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم ، وقوة الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ، ومدارسته بالقيام ، به يطاع الله عز وجل ، وبه يعبد وبه يوحد ، وبه يمجد ، وبه يتورع ، وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو امام والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الشقياء " (١)

وقال أبو الأسود :

" ليس شئ أعز من العلم ، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك " (٢)

ويقول الامام الغزالى :

" فأصل السعادة فى الدنيا والآخرة هو العلم ، فهو أفضل الاعمال ... وثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الاعلى ، هذا فى الآخرة ، وأما فى الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم " (٣)

هذا ولقد بلغ من اهتمام الاسلام بالعلم أن جعله سببا للإيمان بالله سبحانه

( ١ ) الامام الغزالى : احياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ج ١ ص ١١ .

( ٢ ) المرجع السابق ، ج ١ ص ٧ .

( ٣ ) المرجع السابق ، ج ١ ص ١٢ .

وتعالى ، لأن الايمان بالله لا بد أن يقوم على العلم لا على التسليم الأعمى .

قال تعالى :

﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ۖ (١) ﴾

﴿ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢) ﴾

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ حَلِيمٌ (٣) ۝

وفي هذا يقول يوسف القرضاوى :

" ان القرآن يعتبر العلم الحق داعية الى الايمان ودليلا عليه

- ويستشهد بقول الله تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۖ ﴾ (٤) ثم يقول - ان هذه

المعاني الثلاثة مترتب بعضها على بعض . فالعلم يتبعه الايمان

تبعية ترتيب بلا تعقيب ، ليعلموا فيؤمنوا . والايمان تتبعه حركة

القلوب من الاخبات والخشوع لله تعالى ، وهكذا يثمر العلم الايمان

ويثمر الايمان الاخبات والتواضع لله رب العالمين " (٥) .

وكما أن الاسلام جعل العلم وسيلة للايمان بالله سبحانه وتعالى ، جعله

أيضا شرطا لصحة الأقوال والأعمال . قال تعالى :

﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ۖ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِي ۖ ﴾ (٦)

قال ابن المنير توضيحا لقول الامام البخارى عند قول الله تعالى ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ

( ١ ) سورة محمد ، آية : ١٩ .

( ٢ ) سورة المائدة ، آية : ٩٨ .

( ٣ ) سورة البقرة ، آية : ٢٣٥ .

( ٤ ) سورة الحج ، آية : ٥٤ .

( ٥ ) يوسف القرضاوى : الرسول والعلم ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ هـ ،

ص ١٤ - ١٥ .

( ٦ ) سورة محمد ، آية : ١٩ .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ۖ )) باب العلم قبل القول والعمل :

” أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل ، فلا يعتبران إلا به فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل “ (١) .

وتتضح أهمية وقيمة العلم في الاسلام عندما نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى جعل صيد الكلب الجاهل ميتة يحرم أكلها وأباح صيد الكلب المعلم . وفي هذا يقول الامام ابن القيم :

” لا يباح الا صيد الكلب العالم ، وأما الكلب الجاهل فلا يحل

أكل صيده فدل على شرف العلم وفضله . - قال تعالى :

» يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ

الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ

وَأَنذَرُوكُمُ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢) »

ولولا مزية العلم والتعليم وشرفهما كان صيد الكلب المعلم والجاهل

سواء ” (٣) .

ونختم حديثنا عن أهمية العلم في الاسلام بهذا القول المأثور :

” من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم

ومن أرادهما معا فعليه بالعلم “ (٤) .

فمن هذا التنوية بشأن العلم وفضله وشرفه انبثق ذلك الحماس العلمي والتفاني في سبيل العلم وطلبه في تاريخ الأمة الاسلامية . وانطلقت الحركة

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١ ص ١٦٠ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٤ .

(٣) الامام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشتهر بابن قيم الجوزية :

مفتاح دار السعادة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت. د. ط. ، ج ١ ص ٥٥ .

(٤) نقلا عن : محمد نمر الخطيب : موقف الدين من العلم ، بيروت ، دار

العربية ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٨ .

العلمية الاسلامية العالمية الخالدة، التي مساحتها الزمنية من أكبر المساحات الزمنية ومساحتها المكانية من أكبر المساحات المكانية، ومساحتها المعنوية أوسع من كلتا المساحتين (١).

بعد أن تحدث الباحث عن مفهوم العلم في الاسلام، وعن أهمية العلم في الاسلام سوف يتحدث عن أهم آثار الالتزام بالعقيدة الاسلامية في المجال العلمي :

أولاً : أثر الالتزام بالعقيدة الاسلامية في حياة الامام أحمد بن حنبل وإنتاجه العلمي :

مولده ونسبه :

ولد الإمام أحمد ببغداد (٢) في شهر ربيع الأول من سنة ١٦٤ هـ (٣).

وأما نسبه فهو :

"أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ادريس بن عبد الله ابن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن زهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر وائل ابن قاسط بن وهب بن أقيس بن دعي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أد بن الميمس بن النبت بن قيثار بن اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم" (٤).

(١) أبو الحسن الندوي : الاسلام أثره في الحضارة وفضله على الانسانية،

القاهرة، دار الصحوة، ١٤٠٦ هـ، ص ٨٣.

(٢) أحمد بن صالح الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتب

العلمية، د. ت. د. ط، ج ٤ ص ٤١٢.

(٣) صالح بن أحمد بن حنبل : سيرة الامام أحمد بن حنبل، تحقيق فؤاد

عبد المنعم أحمد، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٤٠١ هـ، ص ٢٦.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٧.

حياته :

نشأ الامام أحمد يتيماً الأب ببغداد ، وتربى بها ، وقد وجهته أمه - التي كانت تتولى أمره بعد وفاة أبيه - منذ الصغر الى أن حفظ القرآن الكريم ، فحفظ القرآن في صباه ، وتعلم القراءة والكتابة أيضا ، وظهرت عليه آثار النبوغ والأمانة والتقوى منذ الصغر .. وبعد أن تم له حفظ القرآن ، وتعلم القراءة والكتابة ، وجهته أمه أيضا الى تعلم علوم الدين الاسلامي <sup>(١)</sup> . وكانت بغداد في أيامه تزخر بأنواع العلوم ، فكان فيها القراء والمحدثون ، والمتصوفة ، وعلماء اللغة ، والفقهاء ، والفلاسفة <sup>(٢)</sup> . فاتجه الى تعلم علوم الدين ، وهذا التوجه الى علوم الدين عائد الى ميوله النفسية ، والى ما كان قد وجه اليه منذ الصغر عن طريق والدته ، فتعلم علوم اللغة العربية في البداية باعتبارها طريق علوم الدين <sup>(٣)</sup> . ثم بعد ذلك بدأ في طلب الحديث وهو ابن ستة عشر سنة <sup>(٤)</sup> .

وكان يتلقى الحديث على يد شيخه هُشَيْم بن بشير <sup>(٥)</sup> ، وكان هُشَيْم <sup>(٦)</sup> أعظم من أثر فيه من شيوخه في الحديث ، وقد قال عنه أحمد : "لزمْتُ هُشَيْمًا أربع سنين ماسأَلته عن شيء إلا مرتين هَيَّيَ له ، وكان كثير التسبيح ... " <sup>(٧)</sup> .

- 
- (١) محمد أبو زهرة : ابن حنبل حياته وعصره - آراءه وفقهه ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د . ت . د . ط ، ص ٢٢ .
- (٢) المرجع السابق ، ص ٢٠-٢١ .
- (٣) المرجع السابق ، ص ٢٢ .
- (٤) صالح بن أحمد بن حنبل : سيرة الامام أحمد بن حنبل ، مرجع سابق ، ص ٢٨ .
- (٥) المرجع السابق ، ص ٢٨ .
- (٦) هو هُشَيْم بن بشير بن أبي خازم ، ولد سنة أربع ومائة ، من كبار الحفاظ والمحدثين ، توفي في شعبان سنة ١٨٣ هـ .
- انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي ، ج ١ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
- (٧) شمس الدين الذهبي : تذكرة الحفاظ للذهبي ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، د . ت . د . ط ، ج ١ ص ٢٤٩ .

ولم يكتفى الامام أحمد بشيخه هُشيم في دراسة الحديث، بل كان في بعض الأحيان يتلقى من غيره .<sup>(١)</sup>

وفي أثناء طلبه للحديث كان يطلب علم الفقه والاستنباط، وقد تلقى ذلك عن الشافعي وغيره<sup>(٢)</sup> وفي المقابل فان الامام الشافعي تعلم من الامام أحمد أشياء من علم الحديث، وكان يعتمد عليه في تصحيح الأحاديث فيقول له مثلاً :

” حديث كذا وكذا قوى الاسناد محفوظ ؟ فاذا قال أحمد نعم جعله أصلاً وبني عليه ”<sup>(٤)</sup>.

ولم يطلب غير الحديث، والفقه، وعلوم اللغة العربية، لأنه كان يرى أن علم الكلام، والفلسفة ليست جديرة بالعناية<sup>(٥)</sup> وكان أثناء طلبه للعلم مثال الجد والحرص والنشاط، حتى إنه برع في فهم الحديث الصحيح من الحديث السقيم<sup>(٦)</sup>.

( ١ ) عبد الغنى الدقر: احمد بن حنبل امام أهل السنة، دمشق - بيروت ، دار القلم ، ١٣٩٩ هـ ، ص ٩٧ .

( ٢ ) هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع، ولد سنة خمسين ومائة ونشأ بمكة، وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر، وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة، توفي بمصر في آخر رجب من سنة أربع ومائتين، وكان عمره حين وفاته أربع وخمسين سنة .

انظر: ابن كثير: البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٢٥١، تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٣٦١ .

( ٣ ) محمد ابو زهرة: ابن حنبل حياته وعصره ..، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

( ٤ ) عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد الرازي: كتاب الجرح والتعديل، بيروت ، دار الكتب العلمية، عن الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ، الهند ، ١٢٧١ هـ ، ج ١ ص ٣٠٢ .

( ٥ ) محمد أبو زهرة : المرجع السابق ، ص ٣٣ .

( ٦ ) عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد الرازي : المرجع السابق ، ج ١ ص ٣٠٢ .



رحلاته :

وقد رحل عدة رحلات علمية لطلب الحديث، لأن المحدثين كانوا منتشرين فى معظم بقاع الدولة الإسلامية، وأول رحلة له كانت الى الكوفة، ثم بعد ذلك رحل الى البصرة، والحجاز، واليمن<sup>(١)</sup>، واستمر على الجد والطلب حتى بلغ مبلغ الإمامة فى الحديث، وعند ما بلغ سن الأربعين بدأ بالتحدث والفتوى .<sup>(٢)</sup>

محتنته :

وفى عام ٢١٨ هـ، أصدر المأمون أمره الى نائبه ببغداد أن يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن<sup>(٣)</sup>، وكان الإمام أحمد من الذين امتحنوا بالقول بخلق القرآن، لكنه أمتنع من القول بخلق القرآن ونتيجة لموقفه هذا الذى يدل على فهمه الصحيح لعقيدته الإسلامية التى يعتنقها، وعلى شجاعته وعناده فى الحق، فانه واجه حربا ضروسا من قبل الوزراء والفقهاء والمتكلمين الذين ساقطهم الدولة العباسية لذلك . ولكنه بالرغم من ذلك فانه تمسك بموقفه الصلب الذى يرفض فيه القول بأن القرآن مخلوق، لأنه كان يعرف الآثار المترتبة على القول بأن القرآن مخلوق، والتى منها أن الناس سوف يقتدون به ويقرون بالقول بخلق القرآن، وبذلك يسيطر التفكير الفلسفى على الأمة بكاملها، ومن ثم تنقطع صلتها تدريجيا عن منابع الدين الأولى، وتصبح الأمة بعد ذلك عرضة للآراء والقياسات، ومنها أيضا ضياع هبة الله من القلوب، وافتقار الخشية والخوف من كلام الله<sup>(٥)</sup>. وكان لموقف

(١) صالح بن أحمد بن حنبل : سيرة الامام أحمد بن حنبل، مرجع سابق، ص ٢٩ .

(٢) عبد الرحمن بن الجوزى : مناقب الامام أحمد بن حنبل، بيروت، خانجى وحمدان، د. ت، ط ٢، ص ١٨٨ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٢٧٢ .

(٤) المرجع السابق، ج ١٠، ص ٢٧٤ .

(٥) مصطفى حلمى : قواعد المنهج السلفى، الاسكندرية، دار الدعوة، ١٤٥٥ هـ،

ط ٢، ص ١٠٠ .

الامام أحمد الصلب في وجة القائلين بخلق القرآن أثر كبير في استمرار السنة وبقائها نقية صافية ، ولهذا قيل :

” أبو بكر يوم الردة ، وأحمد بن حنبل يوم المحنة ”<sup>(١)</sup>

شماثله :

وكان الامام أحمد بن حنبل كثير الزهد والورع، من العلماء العاملين حيث كان يقول : ” صاحب الحديث عندنا من يعمل بسـ ”<sup>(٢)</sup>

وكان شديد التمسك بالسنة ، حيث يعمل ما كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم يعمل ، ولا يعمل ما لم يعمل ، وهو في ذلك يقول : ” ما حدث حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم الا وقد عملت به ، حتى مرّ بي أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم فأعطى أباطيصة ديناراً فأعطيت الحمام ديناراً حين احتجمت ”<sup>(٣)</sup> .

وهذا بالطبع ناتج عن تمسكة بعقيدته الاسلامية التي تحثه على العمل ، والتي لا يظهر لها أثر في نفس الفرد والمجتمع ان لم يعمل بتعاليمها وتمارس في عالم الواقع . ( ولكن شرط الأعمال أن تكون موافقه لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ) .

عقيدته :

عقيدة الامام أحمد هي عقيدة أهل السنة والجماعة ، وهو يوضح لنا هذه العقيدة

بقوله : ” صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأقر بجميع ما أتت الانبياء والرسول وعقد قلبه على ما ظهر من لسانه ، ولم يشك في ايمانه ، ولم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنوب ، وأرجأ ما غاب عنه من الأمور الى الله ، وفوض أمره الى الله ، وفوض الأمور الى الله ، ولم يقطع الذنوب ، العصمة من عند الله ، وعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره الخـير

( ١ ) أحمد بن علي الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٤١٨ .

( ٢ ) عبد الحليم الجندی : أحمد بن حنبل امام أهل السنة ، العراق ، لجنّة

التعريف بالاسلام ، الكتاب الخامس والستون ، ١٣٩٠ هـ ، د . ط ، ص ١١٩ .

( ٣ ) عبد الرحمن بن الجوزي : مناقب الامام أحمد بن حنبل ، مرجع سابق ، ص ١٧٩ .

والشر جميعا ، ورجا لمحسن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ،  
وتخوف على مسيئهم ، ولم ينزل أحدا من أمة محمد الجنة بالا حسان ،  
ولا النار بذنب اكتسبه ، حتى يكون الله الذى ينزل خلقه حيث يشاء ،  
وعرف حق السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ،  
وقدم أبو بكر وعمر وعثمان ، وعرف حق على بن أبى طالب ، وترحم على  
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم صغيرهم وكبيرهم ، وحادث  
بغضائهم ، وأمسك عن ماشجر بينهم ... ، والقرآن كلام الله وتنزيله  
ليس بمخلوق ، والايمان قول وعمل يزيد وينقص ، والجهاد ماضى منذ  
بعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - الى آخر عصابة يقاتلون  
الدجال ، لا يضرهم جور جائر .

... والايمان بعدذاب القبر والايمان بمنكر ونكير والايمان بالحوض  
والشفاعة ، والايمان أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى ،  
وأن الموحدين يخرجون من النار بعدما أمتحنوا كما جاءت الأحاديث  
فى هذه الأشياء عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا نضرب لها  
الأمثال . هذا ما اجتمع عليه العلماء فى الاتفاق <sup>(١)</sup> .

#### ثناء العلماء عليه :

قال عنه الامام الشافعى :

" خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أتقى ولا أروع ولا أفقه ..  
ولا أعلم من أحمد بن حنبل <sup>(٢)</sup> .

وقال عنه أيضا :

" أحمد امام فى ثمان خصال : امام فى الحديث ، امام فى الفقه ،  
امام فى اللغة ، امام فى القرآن ، امام فى الفقر ، امام فى الزهد ،

( ١ ) عبد الرحمن بن الجوزى ، مناقب الامام أحمد بن حنبل ، مرجع سابق ،

ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

( ٢ ) أحمد بن على الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤١٩ .

وانظر أيضا : تذكرة الحفاظ للذهبي ، ج ٢ ، ص ٤٣٢ .

امام في الورع ، امام في السننـــــــــــــــــة " ( ١ ) .

وقال عنه أحمد بن سعيد الدارمي ( ٢ ) :

" ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه

وسلم ولا أعلم بفقهه ومعانيه ، من أبي عبد الله أحمد بن حنبل " ( ٣ ) .

وقال عنه أبو زرعة الرازي ( ٤ ) :

" كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث ! ! ( ٥ ) .

بعض مؤلفاته :

- ١ - كتاب العلل . ٢ - كتاب التفسير . ٣ - كتاب الناسخ والمنسوخ .
- ٤ - كتاب الزهد . ٥ - كتاب المسائل . ٦ - كتاب الفضائل .
- ٧ - كتاب الفرائض . ٨ - كتاب المناسك . ٩ - كتاب الايمان .
- ١٠ - كتاب الاشربة . ١١ - كتاب طاعة الرسول . ١٢ - كتاب الرد على الجهمية .
- ١٣ - كتاب المسند ، وهو يحتوى على نيف وأربعين ألف حديث ( ٦ ) .

( ١ ) محمد بن أبي يعلى ؛ طبقات الحنابلة ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧١ هـ ، د . ط ، ج ١ ص ٥ .

( ٢ ) هو أحمد بن سعيد بن صخر بن سليمان بن سعيد بن قيس ، أبو جعفر الدارمي ، وكان من حفاظ الحديث ، توفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

انظر : تاريخ بغداد ، ج ٤ ص ١٦٧ - ١٦٩ .

( ٣ ) أحمد بن علي الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، مرجع سابق ، ج ٤ ص ١٩٠ .

( ٤ ) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي مولا هم الرازي ، كان

من أفراد الدهر حفظاً وذكاءً وديناً وإخلاصاً وعلماً وعملاً ، توفي في آخر يوم من سنة أربع وستين ومائتين .

انظر : تذكرة الحفاظ ، ج ٢ ص ٥٥٧ - ٥٥٨ .

( ٥ ) أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، المرجع السابق ، ج ٤ ص ١٩٠ .

( ٦ ) ابن النديم : الفهرست ، مرجع سابق ، ص ٣٢٠ .

ومن أشهر هذه المؤلفات ثلاث كتب هي :

- ١ - المسند . ٢ - الرد على الجهمية . ٣ - الزهد .

وقد أوضح الامام أحمد في هذه الكتب الثلاثة بصفة خاصة وجهة نظره - الناتجة عن تفهمه لتعاليم العقيدة الاسلامية - في المسائل التي طفت على ثقافة العصر - الذى عاش فيه - واتجاهاته المختلفة<sup>(١)</sup>، كما قام أيضا في هذه الكتب بتدعيم المنهج السلفى الذى يسير عليه بالحجج والأدلة النقلية والعقلية . واعتبرت هذه الكتب الثلاثة الوعاء الذى يحفظ نظريات السلف وآراءهم وسط التيارات المختلفة السائدة فى العالم الاسلامى حينذاك وحتى اليوم .

فكتاب " المسند " عنى بحفظ الحديث، وكتاب " الرد على الجهمية " يحتوى الردود التى رد بها على الجهمية والزنادقة، ويتضح فى هذا الكتاب حجاجه العقلى فى أجلى وأدق صورة تكشف عن الاستعداد العقلى الممتاز الذى تميز به رجـل العقيدة أحمد بن حنبل، وكتاب " الزهد " وضعه الامام أحمد كوشيقة يدافع بها على طريقة الاقتداء، وكأنه يعلن فى هذا الكتاب أن من أراد الزهد حقا فعليه باتباع السلف<sup>(٢)</sup> .

#### وفاة الامام أحمد :

توفى رحمه الله ، يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول مسـن سنة ( ٢٤١ هـ ) ، وكان عمره حين وفاته سبعة وسبعين سنة<sup>(٣)</sup> ، وقد شيع جنازته اكثر من ثمانمائة ألف رجل<sup>(٤)</sup> .

- 
- ( ١ ) مصطفى حلمي : قواعد المنهج السلفى، مرجع سابق ، ص ١٠٤ .  
 ( ٢ ) المرجع السابق ، نفس المكان .  
 ( ٣ ) صالح بن أحمد بن حنبل : سيرة الامام أحمد بن حنبل، مرجع سابق ، ص ٢٦ .  
 وانظر: ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١ . ص ٣٤٠ .  
 ( ٤ ) المرجع السابق ، نفس المكان .  
 ( ٥ ) أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار الثقافة، د . ت . د . ط ، ج ١ ص ٦٥ .  
 وانظر: ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١ . ص ٣٤١ .

## ثانيا : آثار عامة في المجال العلمى :

### ١ : ظهور علوم جديدة :

كما ذكرنا سابقا أن تعاليم العقيدة الإسلامية حثت معنقيها على العلم ، وفضّلت العلماء على الجهلاء ، مما كان له الأثر الكبير في دفع المسلمين على التسابق في طلب العلم والسعى إليه ، وكان أهم شيء يسعى إليه طلاب العلم الذين اعتنقوا العقيدة الإسلامية هو تعلم القرآن الكريم والحديث الشريف باعتبار أنهما أهم مصادر التشريع في الإسلام ، وكذلك لأن المسلم المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه ، وهذه الأحكام مأخوذة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بالنص أو بالاجماع .<sup>(١)</sup>

وقد قامت المساجد بأداء الأمر بمهمة تعليم القرآن الكريم والحديث الشريف خير قيام ، وهذا مما يجعلنا نؤكد أن الحركة العلمية الإسلامية استهدفت منذ البداية تعليم الناس القرآن الكريم والحديث الشريف .<sup>(٢)</sup> وتعليم القرآن الكريم والحديث الشريف يتطلب معرفة عدة علوم ، لذلك أصبح لزاما على العلماء المسلمين أن يضعوا عدة علوم جديدة فرضها عليهم واقعهم العلمى ، فوضعوا علم القراءات ، وعلم التفسير ، وعلم الحديث ، وغير ذلك من العلوم . ويوضح ذلك ابن خلدون حيث يقول إنه لا بد للمسلم أن يتأمل كتاب الله ،

" ببيان ألفاظه أولا وهذا علم التفسير ، ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبى صلى الله عليه وسلم الذى جاء به من عند الله ، واختلاف روايات القراء فى قراءته وهذا هو علم القراءات ، ثم بإسناد السنة إلى صاحبها والكلام فى الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم

( ١ ) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٤٣٥ .

( ٢ ) جلال مظهر : حضارة الإسلام وأثرها فى الترقى العلمى ، القاهرة ، مكتبة

الخانجى ، ١٩٧٤م ، د . ط ، ص ٢٤٠ .

وعد التهم ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم ما يجب العلم بمقتضاه من ذلك وهذه علوم الحديث، ثم لا بد من استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا - علم وأصول الفقه ، وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين وهذا هو الفقه ... " (١) .

ومن أهم العلوم التي ابتكرها المسلمون :

#### ٤ - علم القراءات :

وهو من العلوم التي لها صلة وثيقة بالمصدر الأساسي الذي يعتبر المنبع الذي لا ينضب، والذي يستقى منه المسلمون تعاليمهم وتوجيهاتهم الربانية في جميع شئون حياتهم العبادية والعملية، والمسلم مطالب بأن يعرف كتاب الله ويتلوه حق التلاوة . والقرآن الكريم هو : " كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف المنقولة إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس " (٢) .

والقرآن الكريم متواتر بين الأمة الإسلامية " إلا أن الصحابة رضوان الله عليهم رَوَوْه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها " (٣) وهذا هو السبب في جعل روايات قراء القرآن مختلفة (٤) ، وهذا هو السبب أيضا في وضع النواة الأولى لعلم القراءات .

وعلم القراءات هو :

" علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى ، من حيث وجوه

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

(٢) محمد علي الصابوني : التبيان في علوم القرآن ، طبع على نفقه حسن شربتلي ،

١٤٠٠ هـ ، ط ٢ ، ص ٦ .

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، المرجع السابق ، ص ٤٣٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

الاختلافات المتواترة ، وقد يبحث فيه أيضا عن صور نظم الكلام ،  
من حيث الاختلافات الغير متواترة الواصلة الى حد الشهرة " (١) .

وقيل هو :

" معرفة أوجه القراءات المختلفة الواردة في بعض الكلمات القرآنية ،  
ونسبة كل وجه الى من رواه وقرأ به من القراء ، وتوجيه كل قراءة حيث  
يتحدد المعنى المراد من الآية على كل القراءات ولا يختلف  
- عنها - " (٢) .

والغرض من ابتكار هذا العلم هو :

" تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة ، وصون كلام الله تعالى  
عن طريق التحريف والتغيير " (٣) .

ومن أشهر أئمة القراء من الصحابة : (٤)

ابو بكر الصديق (٥) ، وعمر بن الخطاب (٦) ، وعثمان بن عفان (٧) ،

(١) أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة

في موضوعات العلوم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ ، ج ٢ ص ٦ .

(٢) ابو بكر الجزائري : العلم والعلماء ، مرجع سابق ، ص ٦٨ .

(٣) أحمد بن مصطفى : مرجع سابق ، ج ٢ ص ٦ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٦ - ١٢ .

(٥) هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي ، ابو بكر

أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال ، وأول الخلفاء

الراشدين ، ولد بمكة سنة ٥١ ق هـ ، وكان عالما بأنساب القبائل ، توفى

سنة ١٣ هـ . الاعلام ١٠٢ / ٤ .

(٦) هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، صحابي جليل ، وهو ثاني

الخلفاء الراشدين ، ولد سنة ٤٠ ق هـ ، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين ،

قال عنه ابن مسعود : ما كنا نقدر نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، استشهد

سنة ٢٣ هـ . الاعلام ٤٥ / ٥ .

(٧) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ولد سنة ٤٧ ق هـ ، ندى النورين ،

وهو ثالث الخلفاء الراشدين ، كان غنيا ، ومن أعظم أعماله في الاسلام تجهيز =



على بن أبى طالب<sup>(١)</sup>، أبى بن كعب<sup>(٢)</sup>، وزيد بن ثابت<sup>(٣)</sup>،  
عبد الله بن مسعود<sup>(٤)</sup>، أبو الدرداء عويمر بن مالك<sup>(٥)</sup>، أبو موسى الأشعري<sup>(٦)</sup>.

= نصف جيش العسرة بماله ، وفى عهده تم جمع القرآن ، استشهد سنة ٣٥ هـ ،  
الاعلام ٤٥/٥ .

- ( ١ ) هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب ، ابن عم الرسول (ص) ولد سنة ٢٣ ق . هـ بمكة ، وهو أول من أسلم من الناس بعد اسلام خديجة ، وهو رابع الخلفاء الراشدين ، استشهد سنة ٤٥ هـ بالكوفة . الاعلام ٢٩٥/٤ .
- ( ٢ ) هو أبى بن كعب بن قيس بن عبيد ، من بنى النجار ، من الخزرج ، كان قبل الاسلام حبرا من أحنبار اليهود ، وعند ما أسلم كان من كتاب الوحى ، شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفى سنة ٢١ هـ بالمدينة المنورة . الاعلام ٨٢/١ .
- ( ٣ ) زيد بن ثابت بن الضحاك الانصارى الخزرجى ، من أكابر الصحابة ، وكان من كتاب الوحى ، وكان عالما متفقا فى الدين ، وكان من الذين كتبوا القرآن فى المصاحف فى عهد عثمان ، توفى سنة ٤٥ هـ . الاعلام ٥٧/٣ .
- ( ٤ ) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى ، صحابى جليل ، وهو أول من جهر بقراءة القرآن بمكة ، وكان خادما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب سره ، توفى بالمدينة سنة ٣٢ هـ . الاعلام ١٣٧/٤ .
- ( ٥ ) هو عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصارى الخزرجى ، أبو الدرداء صحابى جليل ، قال ابن الجزرى : كان من العلماء الحكماء ، مات بالشام سنة ٣٢ هـ . الاعلام ٩٨/٥ .
- ( ٦ ) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب ، أبو موسى ، من بني الأشعر من قحطان : صحابى من الشجعان الولاة الفاتحين ، توفى بالكوفة سنة ٤٤ هـ . الاعلام ١١٤/٤ .

أما من أخذ من الصحابة عن الصحابة فهم : (١)

عبد الله بن عباس ، (٢) أبو هريرة (٣) ، عبد الله بن السائب (٤) .

وقد ظهرت لقراءة القرآن سبع طرق ، كل طريقة منها تمثلها مدرسة معترف بها ، ترجع قراءتها الى امام ، وتستند في أحاديث موثوق بها ، وعليها يجب أن يقتصر في قراءة المصحف ، وأئمة القراءات السبع هم : (٥)

١ - نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي (٦) .

٢ - الامام أبو معبد المالكي الداري (٧) .

(١) أحمد بن مصطفى : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، مرجع سابق ، ج ٢ ،

ص ١٢-١٤ .

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، صحابي جليل ، قال عنه

ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس . سكن الطائف وتوفي بها

سنة ٦٨ هـ . الاعلام ٩٥ / ٤ .

(٣) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، صحابي جليل ، كان من أكثر الصحابة

حفظا للحديث ورواية له ، أسلم عام خيبر وشهدا مع النبي صلى الله عليه

وسلم ، توفي بالمدينة سنة ٥٩ هـ . الاعلام ٣٠٨ / ٣ .

(٤) عبد الله بن السائب بن أبي السائب بن صيفي بن عابد بن عمر بن مخزوم

قارئ أهل مكة ، له صحبة ، روى القراءة عرضا عن أبي بن كعب ، وعمر بن

الخطاب ، توفي في حدود سنة ٧٠ هـ .

طاش كبرى زادة : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، ج ٢ ، ص ١٤ .

(٥) أحمد بن مصطفى ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

(٦) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي ، أحد القراء السبعة المشهورين ،

كان حسن الخلق فيه دابة ، اشت بهر في المدينة وانتهت اليه رياسة

القراءة فيها ، وأقرأ الناس نيفا وسبعين سنة ، توفي بالمدينة سنة ١٦٩ هـ ،

الاعلام ٥ / ٨ .

(٧) هو عبد الله بن كثير ، كان مولى عمرو بن علقمة الكثاني ، ويقال له الداراني

لأنه كان عطارا ، توفي بمكة سنة ١٢٠ هـ . الفهرست ص ٤٢-٤٣ .

- ٣ - أبو عمرو بن العلاء . ( ١ )  
 ٤ - عبد الله بن عامر بن يزيد . ( ٢ )  
 ٥ - عاصم بن بهدلة أبي النجود . ( ٣ )  
 ٦ - حمزة بن حبيب بن عمار . ( ٤ )  
 ٧ - علي بن حمزة ، أبو الحسن الكسائي . ( ٥ )

### ب - علم التفسير :

من العلوم التي ابتكرها المسلمون علم التفسير، وهو "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه". (٦)

- ( ١ ) هو زبّان بن عمار التميمي المازني البصري، من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة، ولد بمكة سنة ٧٠ هـ، وتوفي بالكوفة سنة ١٥٤ هـ .  
 الاعلام ٤١ / ٣ .
- ( ٢ ) عبد الله بن عامر بن يزيد ، أبو عمران اليحصبي الشامي ، أحد القراء السبعة ، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك ، توفي بدمشق سنة ١١٨ هـ . الاعلام ٩٥ / ٤ .
- ( ٣ ) عاصم بن بهدلة ، وقيل عاصم بن أبي النجود ، أحد القراء السبعة ، كان ثقة في القراءات ، صدوقا في الحديث . قيل : اسم أبيه عبيد ، وبهدلة اسم أمه . توفي بالكوفة سنة ٢٧ هـ . الاعلام ٢٤٨ / ٣ .
- ( ٤ ) حمزة بن حبيب بن عامر ، وقيل ابن عمارة بن اسماعيل التميمي ، الزيات ، أحد القراء السبعة ، قال الثوري : ما قرأ حمزة حرفا من كتاب الله الا بأثره ، توفي بحلول سنة ١٥٦ هـ ، وقيل ١٥٨ هـ . الاعلام ٢٧٧ / ٢ .
- ( ٥ ) علي بن حمزة بن عبد الله ، أبو الحسن الكسائي ، إمام في اللغة والنحو والقراءة ، له عدة تصانيف منها : "معاني القرآن" و "المصادر" و "الحروف" و "القراءات" وغير ذلك ، توفي بالري سنة ١٨٩ هـ . الاعلام ٢٨٣ / ٤ .
- ( ٦ ) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ، بيروت ، دار الفكر ، د . ت ، د ط ، ج ٢ ، ص ١٧٤ .

وقيل هو :

" علم نزول الآيات وسورتها وأقاصيصها ، والإشارات النازلة فيها  
ثم ترتيب مكيتها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها  
ومنسوخها وخاصها وعامها ، ومطلقها ، ومقيدها ، ومجملها ومفسرها ،  
وعلم حلالها وحرامها ، ووعدها ووعيدها ، وأمرها ونهيها وعبرها  
وأمثالها ... " (١) .

وقيل أيضا هو :

" علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم على مراد الله تعالى  
بقدر الطاقة البشرية " (٢) .

وموضوع علم التفسير القرآن الكريم الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة (٣) .

وقد أيقن المسلمون بصدق الله سبحانه وتعالى حيث يصف القرآن فيقول :

((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)) (٤)

وأيقنوا أيضا بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حين يصف كتاب الله سبحانه  
وتعالى بقوله :

( فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ،  
ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في  
غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو  
الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به  
الأسنة ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي  
عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ((إِنَّا  
سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ)) (٥) من قال به صدق ، ومن عمل

(١) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد

أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، دار المعرفة ، د . ت . ط ٢ ، ج ٢ ص ١٤٨ .

(٢) محمد سلامة : منهج الفرقان ، ج ٢ ص ٦ ، نقلا عن أبو زيد شلبي : تاريخ

الحضارة الإسلامية ، ص ٢٠٠ .

(٣) جلال الدين السيوطي ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ١٧٥ .

(٤) سورة الاسراء ، آية : ٩ . (٥) سورة الجن ، آية : ٢ ، ١ .

به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم<sup>(١)</sup>.  
 وأيقنوا أنهم لا يصلون الى كمال غايتهم من السعادة في الدنيا والآخرة  
 الا بالعمل بتعاليم وتوجيهات القرآن الكريم، "لأن كل كمال ديني أو دنيوي  
 عاجلي أو آجلى مفتقر الى العلوم الشرعية... وهى متوقفة على العلم بكتاب الله  
 تعالى".<sup>(٢)</sup>

والعمل بتعاليم القرآن وتوجيهاته لا يتأتى الا بعد فهم القرآن وتدبره. قال  
 تعالى: «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ»<sup>(٣)</sup>  
 وقال تعالى «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»<sup>(٤)</sup>  
 والتفسير هو الذى عن طريقة يفهم كلام الله، وتعرف معانيه وأحكامه، والقرآن  
 الكريم انما نزل بلسان عربى، وكان المسلمون الأوائل "يعلمون ظواهره وأحكامه  
 أما دقائق باطنه فانما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سوء الفهم النبى صلى  
 الله عليه وسلم فى الاكثر كسوء الفهم لما نزل قوله تعالى «ولم يلبسوا ايمانهم بظلم»  
 فقالوا وأينا لم يظلم نفسه، ففسره النبى صلى الله عليه وسلم بالشرك، واستدل عليه  
 بقوله تعالى «ان الشرك لظلم عظيم»<sup>(٥)</sup>.

وكان النبى صلى الله عليه وسلم أيضا :

"يبين المجل ويميز الناسخ من المنسوخ، ويعرفه أصحابه، فعرفوه  
 وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولا عنه... ونقل  
 ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وتداول ذلك  
 التابعون من بعدهم، ونقل ذلك عنهم، ولم يزل متناقلا بين الصدر  
 الأول والسلف حتى... دونت الكتب، فكتب الكثير من ذلك ونقلت

(١) الترمذى، ج ٢ ص ١٤٩ .

(٢) جلال الدين السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن، مرجع سابق، ج ٢ ص ١٧٥ .

(٣) سورة ص، آية : ٢٩ .

(٤) سورة محمد، آية : ٢٤ .

(٥) جلال الدين السيوطى، المرجع السابق، ص ١٧٤ .

الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين ، وانتهى ذلك الى  
الطبرى والواقدي والتهالبي ... فكتبوا فيه ماشاء الله أن يكتبوه  
من الآثار " (١) .

والغرض من علم التفسير هو : " الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول الى السعادة  
الحقيقية التي لا تفنى " (٢) .

وينقسم علم التفسير الى ثلاثة أقسام (٣) :

#### - التفسير بالرواية :

ويسمى التفسير بالنقل أو التفسير بالمأثور . وهو ما جاء في القرآن الكريم ،  
أو السنة المشرفة ، أو كلام الصحابة رضوان الله عليهم ، بيانا لمراد الله تعالى ،  
فهو بذلك إما أن يكون تفسير القرآن بالقرآن ، أو تفسير القرآن بالسنة أو تفسير  
القرآن بالمأثور عن الصحابة رضوان الله عليهم . (٤)

#### - التفسير بالرأية :

ويسمى التفسير بالرأى . وهو " ما يعتمد فيه المفسر في بيان المعنى على فهمه  
الخاص واستنباطه بالرأى المجرد ، وليس منه الفهم الذي يتفق مع روح الشريعة ،  
ويستند الى نصوصها " (٥) .

وينقسم التفسير بالرأى الى قسمين (٦) :

- 
- ( ١ ) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٤٣٩ .
  - ( ٢ ) جلال الدين السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ، مرجع سابق ، ص ١٧٥ .
  - ( ٣ ) محمد علي الصابوني : التبيان في علوم القرآن ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .
  - ( ٤ ) المرجع السابق ، نفس المكان .
  - ( ٥ ) مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٠ هـ ، ط ٧ ، ص ٣٥١ .
  - ( ٦ ) محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

## ١ - التفسير المحمود :

" هو ما كان موافقا لغرض الشارع، بعيدا عن الجهالة والضلالة، متمشيا مع قواعد اللغة العربية معتمدا على أساليبها في فهم النصوص القرآنية الكريمة" (١).  
فمن يفسر القرآن الكريم برأيه وهو ملتزما بهذه الأسس، كان تفسيره جائزا وجديرا بأن يسمى التفسير المحمود (٢).

## ٢ - التفسير المذموم :

هو " أن يفسر القرآن بدون علم، أو يفسره حسب الهوى، مع الجهالة بقوانين اللغة أو الشريعة أو يحمل كلام الله على مذهبه الفاسد، ويدعته الضالة، أو يخوض فيما استأثر الله بعلمه" (٣).

٣ - التفسير بالإشارة :

وهو الذى يسميه العلماء بالتفسير الإشارى . وهو " تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة" (٤).

وهناك شروط يجب أن تتوفر لقبول التفسير الإشارى، وهذه الشروط هى :

١- أن لا يكون التفسير الإشارى منافيا للظاهر من النظم القرآنى الكريم .

٢- أن يكون له شاهد شرعى يؤيده .

٣- أن لا يكون له معارض شرعى أو عقلى .

٤- أن يدعى أن التفسير الإشارى هو المراد وحده دون الظاهر،

( ١ ) محمد على الصابونى : التبيان فى علوم القرآن ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

( ٢ ) المرجع السابق ، نفس المكان .

( ٣ ) المرجع السابق ، نفس المكان .

( ٤ ) محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون ، القاهرة ، دار الكتب الحديثية ،

بل لابد أن نعترف بالمعنى الظاهر أولاً ، إذ لا يطمع في الوصول  
الى الباطن قبل إحكام الظاهر" (١) .

ومعنى كون أن التفسير الإشارى مقبولا ، لا يعنى وجوب الأخذ به ، وإنما  
يعنى عدم رفضه ، "لأنه غير منافي للظاهر ولا بالبحر مبلغ التعسف وليس له ما ينافيه  
أو يعارضه من الأدلة الشرعية" (٢) ، وعدم وجوب الأخذ به "فلأنه من قبيل  
الوجدانيات ، والوجدانيات لا تقوم على دليل ولا تستند الى برهان ، وإنما هي أمر  
يجده الصوفي من نفسه ، وسر بينه وبين ربه ، فله أن يأخذ به ويعمل على مقتضاه ،  
دون أن يلزم به أحداً من الناس سواء" (٣) \* .

وقد اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة هم : (٤) أبو بكر الصديق ، وعمر بن  
الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن  
عباس ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير .  
كما ظهرت للتفسير عدة مدارس منها : (٥)

أ - مدرسة التفسير بمكة .

ب - مدرسة التفسير بالمدينة .

ج - مدرسة التفسير بالعراق .

ومن أهم كتب التفسير بالمأثور ما يلي : (٦)

أ - جامع البيان في تفسير القرآن للطبري .

ب - بحر العلوم للسمرقندي .

( ١ ) محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ٣٧٧ .

( ٢ ) المرجع السابق ، ص ٣٧٨ .

( ٣ ) المرجع السابق ، ص ٣٧٨ .

( ٤ ) جلال الدين السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ١٨٧ .

( ٥ ) محمد حسين الذهبي ، المرجع السابق ، ج ١ ص ١٠١-١١٨ .

( ٦ ) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

\* لمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع انظر : الذهبي : التفسير والمفسرون ،  
ج ٢ ص ٣٥٢ وما بعدها .



- ج - الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي .
- د - معالم التنزيل للبغوى .
- هـ - المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية .
- و - تفسير القرآن العظيم لابن كثير .
- ز - الجواهر الحسان فى تفسير القرآن للثعالبي .
- ح - الدر المنثور فى التفسير المأثور للسيوطي .

ومن أهم كتب التفسير بالرأى المحمود مايلي : (١)

- أ - مفاتيح الغيب للرازي .
- ب - أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى .
- ج - مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفى .
- د - لباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن .
- هـ - البحر المحيط لابن حيان .
- و - غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى .
- ز - تفسير الجلالين لجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطي .
- ح - السراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني .

- ط - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبى السعود .
- ي - روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسى .

ومن كتب التفسير بالرأى المذموم مايلي : (٢)

- أ - تنزية القرآن عن المطاعن للقاضى عبد الجبار .
- ب - أمالى الشريف المرتضى أو غرر الفوائد ودرر القلائد .
- ج - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشري .

( ١ ) محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ، مرجع سابق ، ج ١ ص ٢٨٨ .

( ٢ ) المرجع السابق ، ص ٣٨٢ .

ومن كتب التفسير الاشارى مايلى : (١)

- أ - تفسير القرآن العظيم للتستري .  
 ب - حقائق التفسير للمسلمى .  
 ج - عرائسى البيان فى حقائق القرآن لأبى محمد الشيرازى .

ح - علم الحديث : -----

ومن العلوم الجديدة التى ابتكرها المسلمون كذلك علم الحديث وهو : "علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول صلى الله عليه وسلم من حيث معرفة أحوال رواتها ، ضبطا وعدالة ، ومن حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا وغير ذلك" (٢) .  
 وقد اهتم المسلمون بهذا العلم ، لأن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تعتبر المصدر الثانى من مصادر التشريع لديهم بعد كتاب الله سبحانه وتعالى .  
 والمسلمون مطالبون بأن ينفذوا وأوامر نبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام ، وذلك بأمر الله لهم ، قال تعالى :

(( وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا )) (٣)

وقال : (( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ )) (٤)

كما أنهم مطالبون بأن يتمسكوا بسنة نبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام ، وذلك بأمره صلى الله عليه وسلم حيث قال : ( عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ ) (٥) . وقال أيضا : ( أيها الناس انى تركت فيكم

(١) محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ٣٧٩ .

(٢) جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، القاهرة ، دار الكتب

الحديثة ، ١٣٨٥ هـ ، ط ٢ ، ج ١ ص ٥-٦ .

(٣) سورة الحشر ، آية : ٧ .

(٤) سورة محمد ، آية : ٣٣ .

(٥) رواه أبو داود والترمذى .

ما إن تمسكتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي (١)

وقد حرص المسلمون منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم على حفظ السنة في صدورهم ، والعمل على تطبيقها ونشرها في مجتمعاتهم ، وروايتها عند الحكم على نوازلهم وأحداثهم . واستمر الوضع على هذه الحالة حتى عصر الخلفاء الراشدين وكبار التابعين ، وكان كل رواية الحديث من الصحابة العدول أو من التابعين الثقة ، وعند أوائل المائة الثانية وجد من الرواة من كثر خطؤه ، وكذلك ازدادت الأخطاء في رواية الحديث بعد الخمسين والمائة في عصر صفار التابعين وكبار أتباع التابعين ، ثم ظهرت الفرق السياسية ، وانتشرت النحل والعصبية ، وظهر من يعتمد الكذب ترويجا لمذهبه ونحلته ، فاضطر علماء المسلمين إلى النظر والإجتهاد في التفتيش عن الرواة ونقد الأسانيد (٢) .

وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهري ، بأمر من الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، ثم بعد ذلك كثر التدوين لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ثم التصنيف (٣) .

وموضوع علم الحديث هو السند والمتن والغاية منه هي معرفة الأحاديث الصحيحة من غيرها ، وكذلك الفوز بسعادة الدارين (٤) .

وينقسم علم الحديث إلى قسمين :

- علم الحديث الخاص بالرواية :

وهو " علم يشتمل على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله ، وروايتها ، وضبطها وتحريير الفاظها " (٥) .

(١) رواه الحاكم .

(٢) جلال الدين السيوطي : تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، مرجع سابق ، ص ٣-٤ .

(٣) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح الإمام

البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ص ٢٠٨ .

(٤) جلال الدين السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، مرجع سابق ، ج ١ ص ٤١ .

(٥) المرجع السابق ، ج ١ ص ٤٠ .

- علم الحديث الخاص بالدراية :

وهو " علم يعرف منه حقيقة الرواية ، وشروطها ، وأنواعها ، وأحكامها وحال الرواة ، وشروطهم وأصناف المرويات وما يتعلق بها " (١) .

فحقيقة الرواية يقصد منها معرفة نقل الأحاديث ونحوها ، وإسنادها الى من عزى إليه بتحديث أو إخبار أو غير ذلك ، أما شروطها فهي أن يتحمل الراوى ما يرويه بنوع من أنواع التحمل من سماع أو عرض أو إجازة ونحوها ، أما أنواعها فهي إما متصلة أو منقطعة أو غير ذلك من الأنواع ، وأحكامها هي القبول والرد ، أما معرفة حال الرواة وشروطهم فيعنى معرفتهم من حيث العدالة والجرح ، ومعرفة شروطهم فى التحمل والأداء ، وكذلك معرفة أصناف المرويات وما يتعلق بها من حيث معرفة المصنفات من المسانيد والمعاجم والأجزاء وغيرها من الأحاديث والآثار ، ومعرفة اصطلاح أهل كل نوع من أنواع المصنفات والمعاجم والأجزاء وما شابهها (٢) .

ومن أشهر الكتب المصنفة فى علم الحديث :

١ - صحيح البخارى (٣) .

٢ - صحيح مسلم (٤) .

(١) جلال الدين السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ، مرجع سابق ،

ج ١ ص ٤٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٣) هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخارى ، ولد فى بخارى

سنة ١٩٤ هـ ، وهو حير الاسلام ، والحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

له عدة مصنفات منها : " الجامع الصحيح " و " الضعفاء " و " خلق أفعال

العباد " و " والأدب المفرد " ، توفى سنة ٢٥٦ هـ . الاعلام ٣٤ / ٦ .

(٤) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى ، ولد بنيسابور سنة

٢٠٤ هـ ، وهو من أئمة المحدثين ، له عدة مصنفات منها " صحيح مسلم "

و " المسند الكبير " و " الأقران " و " مشايخ الثورى " و " تسمية شيوخ مالك

وسفيان وشعبة " و " كتاب أولاد الصحابة " و " أوهام المحدثين " ... الخ ،

توفى سنة ٢٦١ هـ . الاعلام ٢٢١ / ٧ .

٣ - سنن أبي داود . ( ١ )

٤ - سنن الترمذى . ( ٢ )

٥ - سنن النسائى . ( ٣ )

٦ - سنن ابن ماجه . ( ٤ )

### : نشاط حركة الترجمة :

كانت العناية فى صدر الاسلام من قبل المسلمين تقتصر على علوم الدين واللغة العربية، ونتيجة للفتوحات الإسلامية التى قام بها المسلمون حدث إحتكاك العرب المسلمين بغيرهم من شعوب البلاد المفتوحة، وبعد أن استقرت أمور الحكم فى أيدي المسلمين، وكثرت الأموال ونشطت التجارة، أخذ العرب المسلمون يتأملون

( ١ ) هو سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، ولد سنة ٢٠٢ هـ، وهو إمام أهل الحديث فى زمانه، له عدة مصنفات من أهمها : "السنن" و "المراسيل" و "كتاب الزهد" مخطوط، الخ، توفي بالبصرة سنة ٢٧٥ هـ . الاعلام ٣ / ١٢٢ .

( ٢ ) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمى البغوى الترمذى، ولد سنة ٢٠٩ هـ، وهو من أئمة علماء الحديث وحفاظه، تتلمذ للبخارى، وشاركه فى بعض شيوخه، وكان يضرب به المثل فى الحفظ، من تصانيفه "الجامع الكبير" المعروف بصحيح الترمذى، و "الشمايل النبوية" و "التاريخ" و "العلل" فى الحديث، توفي بترمذ سنة ٢٧٩ هـ . الاعلام ٦ / ٣٢٢ .

( ٣ ) هو أحمد بن على بن شعيب بن على بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائى القاضى الحافظ شيخ الاسلام، ولد سنة ٢١٥ هـ، من تصانيفه "السنن الكبرى" فى الحديث، و "المجتبى" و هو السنن الصغير، و "الضعفاء والمتروكون" فى رجال الحديث، و "خصائص على" و "مسند على" و "مسند مالك" وغير ذلك .. توفي سنة ٣٠٣ هـ . الاعلام ١ / ١٧١ .

( ٤ ) هو محمد بن يزيد الربعى القزوينى، أبو عبد الله، ابن ماجه، أحد الأئمة فى علم الحديث، له عدة مصنفات منها "سنن ابن ماجه" و "تفسير القرآن" و "تاريخ قزوين" . توفي سنة ٢٧٣ هـ . الاعلام ٧ / ١٤٤ .

فى ثقافات وحضارات الشعوب التى دانت لحكمهم من فرس وروم وأقباط وسريان<sup>(١)</sup> .  
 ونتيجة لهذا التأمل فان أول ما بدأ به العرب المسلمون هو نقل علوم السابقين ،  
 وذلك لشعورهم بأنهم فى حاجة ماسة إلى علومهم ، وخاصة العقلية ذات الأثر  
 المادى فى حياتهم كالطب والفلك والرياضة ، وهذا أمر مسلم به حيث إن العلوم  
 العقلية تحتاجها الشعوب فى بداية نهضتها ، لأن بناءها العلمى والحضارى  
 يتطلب هذا النوع من العلوم<sup>(٢)</sup> .

وبذلك فان النهضة العلمية التى احتضنها المسلمون ورعوها وطوروها تعتمد  
 جل الاعتماد على الدراسات التى قام بها غيرهم ، والتى قاموا بنقلها الى لغتهم  
 العربية<sup>(٣)</sup> ، بعد تنقيحها وترتيب علومها وشرحها والتعليق عليها ، وحذف ما  
 لا تستسيقه عقولهم لمخالفته عقيدتهم الإسلامية ، وإضافة ما توصلوا اليه من تجاربهم  
 وخبراتهم<sup>(٤)</sup> .

واعتبر المترجمون حلقة الإتصال بين العرب المسلمين وعلوم غيرهم من الشعوب ،  
 وبمساعدهم وعن طريقهم نقلت علوم اليونان والسرمان والقبط والفرس والهنود الى  
 اللغة العربية<sup>(٥)</sup> . وكانت عملية الترجمة تعتمد فى دقتها وأمانتها على تمكن  
 المترجمين من اللغة العربية واتقانهم للغات الأجنبية التى ينقلونها<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) أحمد فؤاد باشا : التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، القاهرة ، دار

المعارف ، ٤٠٣ هـ ، ص ٣٢ .

( ٢ ) محمد الصادق عفيفى : تطور الفكر العلمى عند المسلمين ، القاهرة ،

مكتبة الخانجى ، ٩٧٦ م ، ط ١ ، ص ٤٠ .

( ٣ ) أحمد شلبى : التربية الإسلامية - نظمها - فلسفتها - تاريخها ، القاهرة ،

مكتبة النهضة ، ٩٨٢ م ، ط ١ ، ص ١٦٢ .

( ٤ ) أحمد فؤاد باشا : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

( ٥ ) أحمد شلبى : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

( ٦ ) أحمد فؤاد باشا : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

ويعتبر خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥ هـ) <sup>(١)</sup> أول من ترجمت له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء <sup>(٢)</sup>. ولكن الترجمة وصلت قممها في بيت الحكمة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد <sup>(٣)</sup>، ومن بعده في عهد الخليفة المأمون <sup>(٤)</sup>، حيث إن الأول عين في بيت الحكمة طائفة كبيرة من المترجمين، وجلب اليها الكتب من بلاد الروم <sup>(٥)</sup>. ومن أشهر المترجمين في بيت الحكمة في عهد هارون الرشيد الفضل بن نوبخت <sup>(٦)</sup>، حيث إنه كان ينقل من الفارسي إلى العربي <sup>(٧)</sup>، ويوحنا بن ماسوية <sup>(٨)</sup> الذي قلده الرشيد

- 
- (١) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، حكيم قريش وعالمها في عصره، اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم، كان موصوفاً بالعلم والدين والعقل. توفي بدمشق سنة ٨٥ هـ وقيل سنة ٩٠ هـ. الاعلام ٢ / ٣٠٠.
- (٢) محمد بن اسحاق بن النديم: الفهرست، بيروت، دار المعرفة، د. ت. د. ط. ص ٤٩٧.
- (٢) هارون الرشيد، ابن محمد المهدي، ابن المنصور العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، ولد بالرّي عام ١٤٩ هـ، كان عالماً بالأدب، وأخبار العرب والحديث والفقه، توفي سنة ١٩٣ هـ. الاعلام ٨ / ٦٢.
- (٤) هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، وهو سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، ولي الخلافة بعد أخيه الأمين سنة ١٩٨ هـ، فتم ما بدأ به جده المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة، توفي سنة ٢١٨ هـ. الاعلام ٤ / ١٤٢.
- (٥) سعيد اسماعيل علي: معاهد التربية الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٦ م، د. ط. ص ٥٧.
- (٦) أبو سهل الفضل بن نوبخت، فارسي الأصل، كان يعمل في خزانة الحكمة لهارون الرشيد، له عدة مصنفات منها "كتاب الفأل النجومى" و "كتاب الموالييد" وغير ذلك. الفهرست ص ٣٨٢، ٣٨٣.
- (٧) محمد بن اسحاق بن النديم، مرجع سابق، ص ٣٨٢.
- (٨) يوحنا بن ماسوية، أبو زكريا: من علماء الأطباء، عهد إليه الرشيد مع غيره بترجمة ما وجد من كتب الطب القديمة، في انقرة وعمورية وغيرها من بلاد الروم، وجعله أميناً على الترجمة، توفي بسامرا سنة ٢٤٣ هـ.

ترجمة الكتب القديمة التي وجدت بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين فتحها المسلمون ، ووضعها أمينا على الترجمة .<sup>(١)</sup>

أما المأمون فقد كان عالما مثقفا ، فأولى النهضة العلمية عناية كبيرة ، حيث إنه سعى في الحصول على عدد ضخم من كتب القدماء ، فوفق في الحصول على مجموعات نادرة من هذه الكتب ، فقام بوضعها في بيت الحكمة وعين نخبة من خيرة المترجمين لينقلوها الى اللغة العربية<sup>(٢)</sup> ، منهم سلم<sup>(٣)</sup> ، اسحاق بن حنين<sup>(٤)</sup> ، وعمر بن الفريخان<sup>(٥)</sup> ، وحنين بن اسحاق<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د . ت . د . ط ، ص ٢٤٦ .

( ٢ ) أحمد شلبي : التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

( ٣ ) اشتهر بسلم صاحب بيت الحكمة ، كان يعمل مع سهل بن هارون في خزانة بيت الحكمة ، وله نقول من الفارسي الى العربي . الفهرست ص ١٧٤ .

( ٤ ) هو اسحاق بن حنين بن اسحاق العبادي ، طبيب مترجم ، أفاد العربية بما نقله اليها من كتب الحكمة وشروحها . ألف كتباً كثيرة من أهمها :

" الادوية المفردة " و " آداب الفلاسفة ونوادهم " و " تاريخ الأطباء " . وكان عارفاً باليونانية والسريانية ، فصيحا بالعربية ، توفي ببغداد سنة ٢٩٨ هـ . الاعلام ١ / ٢٩٤ .

( ٥ ) هو ابو حفص عمرو بن حفص ، المفسر لكتاب الأربعة لبطليموس ، وله من الكتب : كتاب المحاسن ، كتاب اتفاق الفلاسفة واختلافهم في خطوط الكواكب .

الفهرست ، ص ٣٨١ .

( ٦ ) حنين بن اسحاق العبادي ، أبو زيد : طبيب ، مؤرخ ، مترجم ، يجيد

اليونانية والسريانية والفارسية ، جعله المأمون رئيساً لديوان الترجمة ، وكان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله الى العربية من الكتب .

توفي ببغداد سنة ٢٦٠ هـ . الاعلام ٢ / ٢٨٧ .



ومن أشهر المترجمين الذين نقلوا الى العربية :

- ١ - ثابت بن قسرة (١)
- ٢ - قسطا بن لوقا البعلبكي (٢)
- ٣ - أبو زكريا يحيى بن عدي (٣)

ولم تقتصر عملية الترجمة على ما يذله الخلفاء عليها من أموال ، بل إن بعض الأفراد اهتموا بالترجمة إهتماما كبيرا ، ومن أمثال هؤلاء بنو شاذان (٤) فقد كان

( ١ ) ثابت بن قرة بن زهرون الحراني ، طبيب حاسب فيلسوف ، ولد ونشأ ببحران ( بين دجلة والفرات ) ، يجيد السريانية واكثر اللغات الشائعة في عصره ، له مصنفات كثيرة من أشهرها " الذخيرة في علم الطب " و " المباني الهندسية " و " طبائع الكواكب " و " علة الكسوف والخسوف " وغير ذلك ، توفي في بغداد سنة ٢٨٨ هـ . الأعلام ٩٨ / ٢ .

( ٢ ) قسطا بن لوقا البعلبكي : فيلسوف رياضي ، رومي الأصل ، كان فصيحاً باليونانية ، جيد العبارة بالعربية ، ترجم كثيرا من الكتب القديمة ، وله تصانيف كثيرة منها " الفلاحة اليونانية " و " الأوزان والمكاييل " و " تدبير الأبدان في السفر " و " البلغم وعلة " وغير ذلك . توفي في أرمينية سنة ٣٠٠ هـ تقريبا . الأعلام ١٩٦ / ٥ ، ١٩٧ .

( ٣ ) يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا ، أبو زكريا : فيلسوف حكيم ، انتهت اليه الرياسة في علم المنطق في عصره ، وترجم عن السريانية كثيرا الى العربية ، له مصنفات كثيرة منها " تهذيب الأخلاق " و " شرح مقالة الاسكندر " في الفرق بين الجنس والمادة ، ومما ترجمه عن السريانية الى العربية " النواميس " لأفلاطون ، و " مابعد الطبيعة " . توفي ببغداد سنة ٣٦٤ هـ ، الأعلام ١٥٦ / ٨ .

( ٤ ) وهم : محمد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاذان . هؤلاء الأبناء ممن تناهى في طلب العلوم القديمة ، وأتعبوا فيها نفوسهم ، وأنفذوا الى بلد الروم من أخرجهم اليهم ، فأحضروا النقلة من الأصقاع بالبذل السني ، فأظهروا عجائب الحكمة ، وكان الغالب عليهم من العلوم : الهندسة ، والحيـل والحركات والموسيقى والنجوم . الفهرست ، ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

لهم مترجمون ينقلون لهم ويلازمون العمل في مكتبتهم، ومنهم حبيش بن الحسن<sup>(١)</sup>، وثابت بن قرة<sup>(٢)</sup> . ويقول أبو معشر<sup>(٣)</sup> : " حذاق الترجمة في الاسلام أربعة ————— حسنين بن اسحاق ، ويعقوب بن اسحاق الكندي<sup>(٤)</sup> ، وثابت بن قرة ، وعمر بن الفرخان الطبري<sup>(٥)</sup> .

ويعتبر هذا النشاط الضخم في مجال الترجمة من قِبَل الخلفاء والأفراد الذي شهدته الأرض الإسلامية من العوامل الرئيسية التي بذرت بذور الابتكار والإبداع في المجالين الثقافي والعلمي لدى مفكرى المسلمين، وذلك بما قدمته لهم من معين هائل أتاح لهم فرصة الانطلاق في مجالات جديدة، وأيضا أتاح لهم تكلمة مابدأه المفكرون السابقون في مختلف العلوم<sup>(٦)</sup> .

- 
- ( ١ ) حبيش بن الحسن الدمشقي ، ويعرف بحبشيش الأعسم ، وهو ابن أخت حنين بن اسحاق ، ومنه تعلم صناعة الطب . قال عنه حنين بن اسحاق : ان حبشيشا زكى مطبوع على الفهم .. عيون الانباء ص ٢٧٦ .
- ( ٢ ) أحمد شلبي : التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ .
- ( ٣ ) هو جعفر بن محمد البلخي ، عالم فلكي مشهور ، كان أولا من أصحاب الحديث ، تعلم النجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره ، وكان اعلم الناس بتاريخ الفرس وأخبار سائر الأمم ، له تصانيف كثيرة منها " كتاب الطبائع " و " الدول والملل " و " الملاحم " وغير ذلك ، توفي بواسط سنة ٢٧٢ هـ .
- الفهرست ، ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ . الاعلام ١٢٧/٢ .
- ( ٤ ) يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندي ، يسمى فيلسوف العرب ، نشأ في البصرة . وانتقل الى بغداد ، فتعلم واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك . وألف وترجم وشرح كتب كثيرة ، يزيد عددها على ثلاثمائة . توفي نحو عام ٢٦٠ هـ .
- الفهرست ص ٣٥٧ ، عيون الانباء ص ٢٨٥ ، الاعلام ١٩٥/٨ .
- ( ٥ ) محمد بن اسحاق بن النديم : الفهرست ، مرجع سابق ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .
- ( ٦ ) سعيد اسماعيل على : معاهد التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥٤ .

كما أن حركة الترجمة مكنت المفكرين المسلمين أن يسدوا كثيرا من وجوه النقص الذى شعروا به أثناء قراءتهم للانتاج الفكرى المترجم ، ومكتسبهم أيضا من أن يقفوا بين نتائج وصل اليها السابقون ونتائج انتهى اليها المسلمون حسب عقيدتهم ، ونتيجة لهذا كله ازدهرت الحركة العلمية الاسلامية وانتقلت من طور الترجمة واستيعاب العلوم القديمة الى مرحلة التأليف العلمى والابتكار الاصيل (١) .

### ٣ : انشاء المدارس العلمية (٢) :

لم تظهر المدارس العلمية التى يتلقى فيها الطلاب العلوم بانتظام لدى المسلمين فى وقت مبكر، وهذا لا يعنى أن المسلمين لم يعرفوا العلم والتعليم إلا فى وقت متأخر، بل إن المسلمين عرفوا التعليم والمؤسسات التربوية منذ نزول الوحي على سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث تعتبر دار الأرقم بن أبى الأرقم أول مؤسسة تربوية فى الإسلام ، كما تعتبر هى والمسجد النواتان الأوليان للمدرسة فى الإسلام . وقبل انتشار المدارس العلمية كانت تعقد حلقات العلم فى أماكن مختلفة كالمساجد والكتاتيب وقصور الخلفاء والأمراء ، ومنازل العلماء والمكتبات ، ودكاكين الوراقين (٣) . وكانت المساجد تقوم بالدور الأكبر المنتظم فى نشر العلم ، حيث إن وظيفتها لم تقتصر على إقامة الصلاة فقط، وإنما امتدت لتشمل مهمة التربية ورسالة التعليم (٤) .

- 
- (١) سعيد اسماعيل على : معاهد التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥٤ .  
 (٢) يقصد بالمدارس فى التاريخ الاسلامى " تلك الدور المنتظمة التى يأوى اليها طلاب العلم ، وتدر عليهم فيها الأرزاق ، ويتولى التدريس لهم وتثقيفهم فئة صالحة من المدرسين والعلماء يوسع عليهم فى الرزق "  
 انظر: سعيد اسماعيل على: معاهد التعليم الاسلامى ، ص ١٢٩ .  
 (٣) أحمد شلبى : التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٤٩ - ١١٢ .  
 (٤) سعيد اسماعيل على : معاهد التعليم الاسلامى ، القاهرة ، دار الثقافة ،

وعندما ازداد الإقبال على حلقات العلم في المساجد ازداد عدد الحلقات في المسجد الواحد ، ونتيجة لهذا الإزداد ازدادت أصوات المدرسين والطلاب مما أدى إلى إحداث الضجيج في المساجد ، وبالتالي فإنه يوشعر على أداء الصلاة في المساجد على وجهها المطلوب <sup>(١)</sup> . ومن ثم ظهرت الحاجة إلى إنشاء أماكن أخرى للتدريس . وكذلك عندما ازداد الإفتاح العلمى لدى المسلمين على الثقافات الأجنبية ، تعرفوا على علوم لم تكن معروفة لديهم كالعلوم الطبيعية والكيميائية والرياضية وغيرها ، وأصبحت الحاجة لديهم ماسة لدراسة هذه العلوم ، وذلك بدافع من عقيدتهم الإسلامية ، ومثل هذه العلوم لا يمكن أن تدرس في المساجد لأنها تحتاج أثناء تدريسها إلى استخدام بعض الأجهزة والآلات وبالتالي كان لزاماً أن تخصص لها أماكن خاصة لمهمة التعليم فقط <sup>(٢)</sup> . فأنشئت المدارس العلمية التى تقوم بمهمة التعليم المنظم والمنظم ، وكان يدرس بهذه المدارس العلوم الدينية والعربية ، وكذلك مختلف العلوم .

وهذا لا يعنى أن المدارس لم تصبح بالصبغة الدينية المذهبية ، بل إن الزعامات السياسية - كالسلاجقة والأيوبيين - كانت تعتنى بنشر وتعليم مذاهب أهل السنة ، وذلك بدافع من عقيدتهم الإسلامية ، ليقاوموا المذاهب الأخرى المحرفة ، وجانب تعلم فقه المذاهب الأربعة كانت تدرس معظم أنواع العلوم والفنون ، وهذا مما يؤكد أن عناية المسلمين بالعلوم والمعارف المختلفة لا تقل عن عنايتهم بعلوم الدين واللغة ، وخير شاهد على هذا ما أقاموه من مراصد وما أجروه من تجارب علمية تطبيقية ، وما ألفوه من كتب علمية فى مختلف أنواع العلوم <sup>(٣)</sup> .

( ١ ) أحمد شلبى : التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١١٣ .

( ٢ ) سعيد اسماعيل على : معاهد التعليم الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ١٣١ .

( ٣ ) سعيد الديوه جى : التربية والتعليم فى الإسلام ، الموصل ، مكتب التراث

العربى ، د . ت . د . ط . ، ص ٨٣ .

وكانت بداية إنشاء المدارس العلمية المنظمة لدى المسلمين في القرن الرابع الهجري بخراسان ، ثم أسس الوزير نظام الملك<sup>(١)</sup> في بغداد المدرسة النظامية في منتصف القرن الخامس الهجري ، وبعد ذلك أسس لها فروعاً في نيسابور وبلخ وهراة وأصبهان والبصرة ، ثم إن الملكين نور الدين زنكي<sup>(٢)</sup> وصلاح الدين الأيوبي<sup>(٣)</sup> قد أقبلوا على تأسيس المدارس بالشام ومصر .<sup>(٤)</sup>

ومن أشهر المدارس التي أنشئت في العالم الاسلامي منذ بدء إنشاء المدارس ما يلي :

#### ( أ ) مدارس بغداد :

تحدث ابن جبير عن مدارس بغداد فقال : " والمدارس بها نحو الثلاثين ،

( ١ ) هو الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي ، ولد بطوس سنة ٤٠٨ هـ ، كان وزيراً للملك ألب أرسلان وولده ملكشاه ، واستمر في الوزارة تسعاً وعشرين سنة ، كان من خيار الوزراء ، بنى المدارس النظامية ببغداد ونيسابور وغيرها . اغتيل في العاشر من رمضان سنة ٤٨٥ هـ . ابن كثير ١٢ / ١٤٠ .

( ٢ ) هو نور الدين محمود بن الملك عماد الدين زنكي ، ولد بحلب عام ٥١١ هـ ، كان شهماً شجاعاً ذا همة عالية ، وقصد صالح ، بنى بدمشق مارستاناً لم يبن في الشام قبله مثله ، وأوقف أوقافاً كثيرة على من يعلم الأيتام القراءة والكتابة ، وجعل لهم نفقة وكسوة ، وعلى المجاورين بالحرمين . قال عنه ابن الأثير : لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز مثل الملك نور الدين ، ولا أكثر تحرياً للعدل والانصاف منه ، مات سنة ٥٦٩ هـ بدمشق . ابن كثير ١٢ / ٢٧٧ وما بعدها .

( ٣ ) هو يوسف بن أيوب بن شاذي ، أبو المظفر ، صلاح الدين الأيوبي ، ولد بتكريت سنة ٥٣٢ هـ ، كان رقيق النفس والقلب ، على شدة بطولته ، رجل سياسة وحرب بعيد النظر ، متواضعاً مع جنده وأمرائه جيشه ، استرد بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ ، توفي بدمشق سنة ٥٨٩ هـ .

ابن كثير ١٣ / ٢ وما بعدها . الاعلام ٨ / ٢٢٠ .

( ٤ ) محمد الصادق عفيفي : تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، مرجع سابق ،

وهي كلها بالشرقية ، وما فيها مدرسة إلا وهي يقصر القصر البديع عنها <sup>(١)</sup> .

ومن أشهر مدارس بغداد :

- المدرسة النظامية :

وهي التي أنشأها الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي ، وزير عضد الدولة ألب أرسلان محمد بن داود ، وقد كان وزير صدق يكرم العلماء والفقراء ، وقد شرع البناء فيها في ذي الحجة سنة ٤٥٧ هـ ، وأنتهى إعمارها في سنة ٤٥٩ هـ ، وبدأ التدريس فيها يوم السبت عاشر ذي القعدة <sup>(٢)</sup> .

- المدرسة الشرايية :

وتنسب هذه المدرسة إلى إقبال الشرايى ، وتقع بسوق العجم ببغداد ، وافتتحت هذه المدرسة في عام ٦٢٨ هـ ، وحضر إقبال الشرايى أول درس ألقى بها ، وقد حضر افتتاح هذه المدرسة جميع المدرسين والمفتيين ببغداد . وقد عين فى هذه المدرسة خمسة وعشرين فقيها <sup>(٣)</sup> .

- المدرسة المستنصرية :

أمر ببناء هذه المدرسة الخليفة المستنصر بالله العباسى - ت . ٦٤٠ هـ - أمير المؤمنين أبى جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد . وتعتبر هذه المدرسة من المدارس الضخمة ، حتى قيل إنه لم تبين مدرسة قبلها مثلها <sup>(٤)</sup> .

وقد اكتمل بناء هذه المدرسة سنة ٦٣١ هـ ، " ووقفت على المذاهب الأربعة من كل طائفة اثنان وستون فقيها ، وأربعة معيديين ، ومدرسين لكل مذهب ، وشيخ

( ١ ) محمد بن أحمد بن جبير ( ت ٦١٤ هـ ) : رحلة ابن جبير ، بيروت ، دار

صادر ، ١٤٠٠ هـ ، د . ط ، ص ٢٠٥ .

( ٢ ) اسماعيل بن عمر بن كثير ( ت ٧٧٤ هـ ) : البداية والنهاية ، بيروت ، مكتبة

المعارف ، ١٩٧٧ م ، ط ٢ ، ج ١٢ ، ص ٩٠ - ٩٥ .

( ٣ ) المرجع السابق ، ج ١٣ ، ص ١٢٩ .

( ٤ ) المرجع السابق ، ج ١٣ ، ص ١٣٩ .

حديث، وقارئان وعشرة مستمعين ، وشيخ طب ، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب ، ومكتب للأيتام <sup>(١)</sup> . وفي داخل المدرسة حمام للطلبة ودار للوضوء <sup>(٢)</sup> . وقد حضر افتتاح هذه المدرسة الخليفة المستنصر بالله في يوم الخميس خامس رجب سنة ٦٣١ هـ ، وحضر معه رجال دولته من الأمراء والوزراء والقضاة والفقهاء <sup>(٣)</sup> . وقد وقفت على هذه المدرسة خزائن كتب لم يسمع بمثلها من قبل في كثرتها وحسن نسخها وجودة الكتب الموقوفة فيها <sup>(٤)</sup> .

#### (ب) مدارس دمشق :

ذكر ابن جبير أن في دمشق " نحو عشرين مدرسة " <sup>(٥)</sup> ، وأن أشهر مدارسها مدرسة نور الدين - النورية الكبرى - حيث إنها تعتبر في ذلك الحين من أحسن مدارس الدنيا وقد وصفها ابن جبير بقوله : " وهي قصر من القصور الأنيقة ، ينصب فيها الماء في شانروان وسط نهر عظيم ، ثم يمتد الماء في ساقية مستطيلة إلى أن يقع في صهريج كبير وسط الدار ، فتحار الأبصار في حسن ذلك المنظر ، فكل من يبصره يجد الدعاء لنور الدين " <sup>(٦)</sup> . <sup>(٧)</sup>

#### ومن أشهر مدارس دمشق :

- المدرسة المعينية :

تقع المدرسة المعينية داخل باب الفرج بدمشق ، وقد أوقفها معين الدين بن

- 
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ١٣٩ .
  - (٢) محمد بن عبد الله اللواتي : رحلة ابن بطوطة ، تحقيق محمد عبد المنعم العريان ، بيروت ، دار احياء العلوم ، ١٤٠٧ هـ ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .
  - (٣) ابن كثير ، المرجع السابق ، ج ١٣ ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .
  - (٤) المرجع السابق ، ج ١٣ ، ص ١٤٠ .
  - (٥) محمد بن احمد بن جبير : رحلة ابن جبير ، مرجع سابق ، ص ٢٥٥ .
  - (٦) سبق ترجمته .
  - (٧) محمد بن احمد بن جبير ، المرجع السابق ، ص ٢٥٦ .

أتابك العساكر ( ت ٤٤ هـ ) وكان أحد ممالك طفتكين ، وهو والد السـتـ  
خاتون زوجة نور الدين . ( ١ )

- المدرسة الرواحية :

أنشأها بد مشق أبو القاسم هبة الله المعروف بابن رواحه ( ت ٦٢٣ هـ ) وكان  
من تجار دمشق ، وقد فوض تدريسها الى الشيخ تقى الدين بن الصلاح السهرزورى . ( ٢ )

- المدرسة الأتابكية :

أوقفها بالصالحية بجبل قاسيون بد مشق خاتون بنت عز الدين مسعود بن  
مودود بن زنكى أفسنقر الأتابكية ( ت ٦٤٠ هـ ) كانت زوجة السلطان الملك الأشرف  
رحمه الله . ( ٣ )

- المدرسة الصاحبية :

أنشأتها بسفح قاسيون بد مشق الخاتون ربيعة خاتون بنت أيوب أخت ست  
الشام ، وهى أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي ( ت ٦٤٣ هـ ) وعمرها أكثر من  
ثمانين سنة . ( ٤ )

- المدرسة الناصرية :

أوقفها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك  
الظاهر غياث الدين غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى فاتح  
بيت المقدس ، وتقع داخل باب الفراديس بد مشق ، وقد بدأ فيها التدريس سنة ٦٥٤ هـ .  
وقد حضر افتتاح هذه المدرسة واقفها ومعه أمراء الدولة والعلماء وجمهور من أهل  
الحل والعقد بد مشق . ( ٥ )

( ١ ) ابن كثير : البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ج ١٢ ص ٢٢٦ .

( ٢ ) المرجع السابق ، ج ١٣ ص ١١٦ .

( ٣ ) المرجع السابق ، ج ١٣ ص ١٦١-١٦٢ .

( ٤ ) المرجع السابق ، ج ١٢ ص ٣١٧ ، ج ١٣ ص ١٢٨-١٢٠ .

( ٥ ) المرجع السابق ، ج ١٣ ص ١٩٣ .



(ج) مدارس القاهرة :

يقول ابن بطوطة عن مدارس مصر: " وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحدها  
بحصرها لكثرتها<sup>(١)</sup>، وقد أورد المقرئ في كتابه الخطط أكثر من سبعين مدرسة<sup>(٢)</sup>.  
ومن أشهر مدارس القاهرة :

- المدرسة الناصرية :

أمر بإنشاء هذه المدرسة السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب حينما  
كان وزيرا على مصر في خلافة العاضد ، وتعتبر المدرسة الناصرية من أوائل المدارس  
التي عملت بديار مصر ، وتقع بجوار الجامع العتيق بمصر ، وقد بدأ العمل في انشائها  
في أول محرم سنة ٥٦٦ هـ .<sup>(٣)</sup>

- المدرسة القطبية :

أنشأها الأمير قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع الهدباني ، في سنة  
٥٧٠ هـ ، وهو أحد أمراء السلطان صلاح الدين بن يوسف .<sup>(٤)</sup>

- المدرسة السيوفية :

أنشأ هذه المدرسة الملك الناصر صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن أيوب ،  
سنة ٥٧٢ هـ . وسميت هذه المدرسة بالسيوفية لأن سوق السيوفيين كان حينئذ  
على بابها<sup>(٥)</sup> .

- المدرسة الفاضلية :

أمر ببناء هذه المدرسة القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيسانى بالقاهرة

- ( ١ ) محمد بن عبد الله اللواتى : رحلة ابن بطوطة ، مرجع سابق ، ج ١ ص ٥٦ .
- ( ٢ ) أحمد بن علي المقرئ : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . المعروف  
بالخطط المقرئية ، بيروت ، دار صادر ، د . ت . د . ط ، ج ٢ ص ٣٦٢ - ٤٠٣ .
- ( ٣ ) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٣٦٣ .
- ( ٤ ) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٣٦٥ .
- ( ٥ ) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٣٦٥ .

سنة ٨٠ هـ، وأوقف بهذه المدرسة مجموعة كبيرة من الكتب المفيدة في سائر العلوم ويقال أنها كانت مائة ألف مجلد (١) .

- المدرسة المحمودية :

أمر بإنشاء هذه المدرسة الأمير جمال الدين محمود بن علي الاستاد ارفسى سنة ٧٩٧ هـ، وتقع خارج باب زويلة، وقد عمل فيها خزانة كتب كبيرة، تضم معظم الكتب الإسلامية في مختلف الفنون، وتعتبر هذه المدرسة من أحسن مدارس القاهرة في ذلك الوقت (٢) .

#### ٤ : إنشاء المكتبات :

" في أقل من خمسين عاما منذ آخر الدولة الأموية إلى صدر الدولة العباسية كانت أغلب العلوم قد دونت ونظمت سواء في ذلك العلوم النقلية من علوم القرآن والحديث والفقه وأصوله، وعلوم اللغة والأدب على اختلافها، والعلوم العقلية من علوم الرياضيات والمنطق والفلسفة والكلام (٣) .

وكل هذا راجع إلى فهم تطبيق تعاليم العقيدة الإسلامية من قبل المسلمين في ذلك الوقت، لأن العقيدة الإسلامية قد حثت معتنقيها على طلب العلم ورغبتهم في السعى إليه، فأحب المسلمون العلم حبا شديدا وسعوا في طلبه . وقد أنتج هذا الحب الشديد للعلم - الناتج عن تعاليم العقيدة الإسلامية - ثمرات كثيرة لعل من أهمها تلك النهضة العلمية الضخمة التي تميز بها المسلمون في تلك العصور عن غيرهم .

(١) أحمد بن علي المقرئ : الخطط المقرئية ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ٣٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٣٩٥ .

(٣) أحمد أمين : ضحى الإسلام ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د . ت ، ط . ١ ،

والواقع أن النهضة العلمية التي بدأها الاسلام وتبناها المسلمون كانت هـى  
السبب الرئيسى فى اهتمام المسلمين بالكـتب والمكتبات (١) .

ولقد بلغ تقدير المسلمين وحبهم للكتاب مبلغا عظيما لدرجة أنه أصبح لديهم  
بمثابة سفير السلام أثناء الحروب والفتوحات التى كانوا يقومون بها ، والمعاهدات  
التي كانوا يبرمونـها بينهم وبين خصومهم ، واعتبر شرطا من شروط الصلح (٢) . ويتضح  
ذلك عندما انتصر الخليفة هارون الرشيد فى عمورية وأنقرة ، طالب القائمين على  
هذه الأماكن بتسليمه المخطوطات اليونانية الموجودة لديهم آنذاك .

وكذلك نجد الخليفة المأمون يطالب عقب انتصاره على البيزنطى ميخائيل  
الثالث بتسليم جميع المخطوطات اليونانية الخاصة بالفلسفة ، ولو لم تترجم بعد ،  
كتعويض للخسارة التى حدثت نتيجة هذه الحرب ، لأنها كما يقول بأنها  
- أى المخطوطات - الأسلحة العقلية التى يتسلح بها فى سبيل الأمن والسلام (٣) .  
وقد ظهرت المكتبة فى الاسلام ونمت وتطورت نتيجة عاملين أساسيين : (٤)

#### العامل الاول :

تفاعل المسلمين وتأثرهم بالحضارات السابقة لحضارتهم ، وبالتقاليد العلمية  
السائدة فى البلاد المفتوحة كبلاد الرافدين وسوريا ومصر ، وهذا أمر طبيعى ذلك  
أن المشرق يعتبر مركز الحضارات ، وقد بدأت به أعظم الحضارات الانسانية وأغرقها  
وفيه وجدت أقدم المكتبات فى العالم قبل وجودها فى الغرب بألوف السنين ،  
فمكتبات معابد مصر وبلاد الرافدين شهيرة ، ولعل أشهرها مكتبة آشور بانيبال

(١) محمد ماهر حمادة : المكتبات فى الاسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،

١٤٠٧ هـ ، ط ٥ ، ص ٢٧ .

(٢) سعيد اسماعيل على : معاهد التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٩٢ .

(٣) المرجع السابق ، نقلا عن عبد ربه محمد : مكانة الكتاب عند العرب ، ص ٤٥ .

(٤) محمد ماهر حمادة ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .

التي حوت ( ٦٠٠ ) ألف لوحة فخارية في نينوى عاصمة الامبراطورية (١) .

ويجب أن نوضح هنا أن المسلمين لم يكونوا مقلدين حرفيين لفنون وعلموم الحضارات السابقة لهم ، بل كانوا مبتدعين ومبدعين في اقتباسهم لفنون الحضارات السابقة لهم (٢) .

العامل الثانى :

وهو الأهم ، وهو عامل ذاتى منبعث من العقيدة الاسلامية ، وهو يتمثل فى موقف العقيدة الاسلامية من العلم ، (٣) حيث إن النهضة العلمية الشاملة التي حدثت فى العالم الاسلامى بمظاهرها المختلفة إنما نبعت وبالدرجة الأولى من حض العقيدة الاسلامية معتنقيها على العلم والتعلم ، وكانت هى السبب الرئيسى فى إهتمام المسلمين بالكتب والمكتبات (٤) .

وعندما تجمعت لدى الخلفاء المسلمين أعدادا كبيرة من الكتب التى ألفت والتي ترجمت من لغات مختلفة ، قرروا جمع هذه الكتب فى أماكن خاصة ، سميت (بيت الحكمة) أو ( دار الحكمة ) أو ( خزانة الحكمة ) وكلها بمعنى واحد يتراد بها المكان الذى توضع فيه الكتب العلمية المختلفة (٥) ، فعل الخلفاء هذا العمل حبا فى نشر العلم بين كافة الطبقات غنيها وفقيرها ليتيسر لكل فرد أن ينال قسطه من الثقافة . وذلك أن كتب الحكمة كانت عزيزة المنال ، لأنها غالية الثمن ، ولا يستطيع الفقير أن يحصل عليها ، فأودعواهم والعلماء ما اجتمع لديهم من كتب الحكمة فى الأماكن المخصصة لها ، وفتحوا أبوابها لكل قاصد ، ويسروا للناس أمر

(١) محمد ماهر حمادة : المكتبات فى الاسلام ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٥) أحمد على الملا : أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوربية ، دمشق ،

دار الفكر ، ١٤٠١ هـ ، ط ٢ ، هامش ص ٥٦ .

الترجمة والدرس والإستنساخ والمطالعة والنقد ، فعلوا هذا خدمة للعلم وحبا في نشره بدافع من عقيدتهم الاسلامية ، وذلك لكي يقف المسلمون على حقائق الأمور ونتاج أفكار الأمم التي سبقتهم في النواحي العلمية والحضارية (١) .

ولم يقتصر الإهتمام بالكتب من قبل الخلفاء فقط ، بل تعداه الى الأشخاص فقد " فضل الصاحب بن عباد أن يبقى بجانب كتبه على أن يتولى أعظم المناصب ففى بلاط نوح بن منصور الساماني ، ذلك أنه مولع بمكتبته ، فلا هو يستطيع الذهاب بدونها ولا هو يستطيع حملها معه فأثر أن يبقى بجانبها " (٢) .

بهذه الروح العلمية الناتجة عن التمسك بالعقيدة الاسلامية ، التي تحض معتنقيها على العلم شغف المسلمون بالكتب وجمعها ، حتى انهم كانوا يتنافسون في شراء المؤلفات العلمية من مؤلفيها عقب الإنتهاء من تأليفها . " وقد نشأ عن هذه الروح العلمية انتشار المكتبات في شتى أنحاء العالم الاسلامي فقلما كانت مدرسة ليس بجانبها مكتبة ، وقل أن تجد قرية صغيرة ليس فيها مكتبة ، أما العواصم والمدن فقد كانت تغص بدور الكتب بشكل لا مثيل له في تاريخ العصور الوسطى " (٣) .

ومن أشهر المكتبات التي كانت منتشرة في العالم الاسلامي :

#### \* بيت الحكمة :

وضع نواة بيت الحكمة في بغداد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ، ووسعه (٤)

(١) أحمد على الملا : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية ، مرجع سابق ، هامش ص ٥٧ .

(٢) مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا ، دمشق ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٢ هـ ، ط ٣ ، ص ١٥٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن علي بن العباس ، أبو جعفر المنصور : ثاني خلفاء بني العباس ، وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقصة والأدب ، محبا للعلماء ، توفي بمكة وهو محرم للحج سنة ١٥٨ هـ . الاعلام ١١٧/٤ .

الخليفة هارون الرشيد ، وعظم شأن بيت الحكمة في عهد الخليفة المأمون .<sup>(١)</sup>

وكان يضم بيت الحكمة معظم الكتب التي ألفها العلماء والأدباء في اللغة والتاريخ والفقه وعلم الكلام ، والملل والنحل ، وكان يضم أيضا عددا ضخما من الكتب التي ترجمت في مجالات الفلسفة والطب والرياضيات والعلوم الطبيعية والكيميائية .<sup>(٢)</sup>

ويعتبر بيت الحكمة من أعظم وأهم المعاهد العلمية التي ساهمت في إثراء الحركة العلمية الإسلامية ، حيث كانت مهمته في بداية الأمر النقل من اللغات الأخرى الى اللغة العربية ، ثم تطور بعد ذلك وأصبح مؤسسة علمية من الطراز الممتاز

همها ترقية البحث والتجديد للدراسات العليا .<sup>(٣)</sup>

وكان يجتمع في بيت الحكمة أجلة العلماء والمفكرين أمثال أبناء شاكـر (٤)  
والخوارزمي (٥) ، وعلان الشعوبي (٦) ، وسلم ، وسهل بن هـارون (٧) ،

- (١) سعيد الديوه جى : التربية والتعليم فى الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .
- (٢) سعيد اسماعيل على : معاهد التعليم الاسلامى ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢ .
- (٣) محمد ماهر حمادة : المكتبات فى الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٥٣ .
- (٤) سبق ترجمتهم .
- (٥) هو محمد بن موسى الخوارزمى ، رياضى فلكى مؤرخ ، عينه المأمون العباسى قيما على خزانة كتبه ، وعهد اليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها ، وله عدة مصنفات منها : كتاب " الجبر والمقابلة " و " التاريخ " و " صورة الأرض من المدن والجبال " .. الخ ، توفي بعد سنة ٢٣٢ هـ . الاعلام ١١٦/٧ .
- (٦) علان الشعوبى ، أصله من فارس ، كان عارفاً بالانساب ، والمثالب والمنافرات ، وكان ينسخ فى بيت الحكمة للرشد والمأمون .  
الفهرست ص ١٥٣ ، ١٥٤ .
- (٧) سهل بن هارون بن رامنوى الدستيمسانى ، فارسى الأصل ، كان حكيماً فصيحاً شاعراً . عينه المأمون رئيساً على خزانة الحكمة ، كان شعوبياً يتعصب للعجم على العرب ، له عدة تصانيف منها : كتاب " ثعلة وعقرا " على مثال كليلة ودمنة ، وكتاب " الهذلية والمخزومى " وغير ذلك ، توفي سنة ٢١٥ هـ .  
انظر الفهرست ص ١٧٤ . الاعلام ١٤٣/٣ .

وسعيد بن هارون<sup>(١)</sup>، وغيرهم<sup>(٢)</sup> . كما كان الناس يحضرون في بيت الحكمة للاستماع للمناظرات العلمية التي كانت تجرى بين العلماء في مختلف العلوم والفنون<sup>(٣)</sup> .

وقد بلغ بيت الحكمة ذروته في زمن المأمون ، وأصبح أكاديمية بالمعنى العلمي ، حيث إنه كان يحوى أماكن للتدريس وأماكن لخبز الكتب ، وأماكن للنقل ، وأماكن للتأليف ، وبالإضافة الى ذلك كان يحوى مرصدا فلكيا<sup>(٤)</sup> . وبيت الحكمة بصفة عامة " كان أول مكتبة عامة ... في العالم الاسلامي ، بل أنه أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ، ولجأ اليها الطلاب ، فكان بذلك أول مركز علمي يحقق للطلاب زادا علميا وفيرا ، ويخرج لهم من جهد القائمين عليه ثقافة مختلفة الاتجاه تشمل علوم الطب والفلسفة والحكمة وغيرها " <sup>(٥)</sup> .

\* مكتبة الحكم بالأندلس :

أنشأ هذه المكتبة الحكم الثاني - المستنصر بالله - ت ٣٦٦ هـ ، " وكان محبا للعلم مكرما لأهله ، جماعة للكتب في أنواعها مالم يجمعه أحد من الملوك قبله ...

( ١ ) سعيد بن هارون ، زميل سهل بن هارون في بيت الحكمة ، كان بليفا فصيحاً مترسلاً ، له عدة تصانيف منها : كتاب " الحكمة ومنافعها " وله عدة رسائل مجموعة . الفهرست ص ١٧٤ .

( ٢ ) محمد ماهر حمادة : المكتبات في الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

( ٣ ) سعيد اسماعيل علي : معاهد التعليم الاسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٠٣ .

( ٤ ) محمد ماهر حمادة ، المرجع السابق ، ص ٥٣ .

( ٥ ) أحمد شلبي : التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٨٤ .

( ٦ ) الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله ، المستنصر بالله : أحد خلفاء بني أمية في الأندلس ، تولى الخلافة بعد أبيه سنة ٣٥٠ هـ ، كان عالما بالدين ملما بالأدب والتاريخ ، ضليعا في معرفة الأنساب ، محبا للعلماء ، جماعا للكتب ، قيل أن مكتبته بلغت أربع مئة ألف مجلد . توفى بقرطبة سنة ٣٦٦ هـ . الاعلام ٢ / ٢٦٧ .

وكان يبعث في الكتب إلى الأمصار رجالا من التجار ويسرب إليهم الأموال لشراؤها حتى جلب منها إلى الأندلس مالم يعهدوه <sup>(١)</sup> .

وكان إذا سمع بأن أحد العلماء يؤلف كتابا مهما يرسل إلى مؤلفه من يحضره إليه ، فقد فعل ذلك عندهما وصل إلى علمه أن أبا الفرج الأصفهاني يؤلف كتاب الأغاني - وهو كتاب لم يسبق إليه - فأرسل إليه فيه بألف دينار من الذهب العيين ، فبعث إليه أبو الفرج بنسخة من الكتاب قبل أن يخرج في العراق إلى بني العباس <sup>(٢)</sup> .

ونتيجة لهذا الحب للعلم الناتج عن تعاليم العقيدة الإسلامية اجتمع لديه من الكتب مالم يسبق له مثيل في الإسلام . وقد جعل الحكم لهذه الكتب قاعة خاصة من قصر قرطبة ، وعين لها مديرا ومشرفا ، كما أمر القائمين عليها بأن يعملوا لهذه المكتبة فهارس خاصة لكل فرع من فروع العلوم <sup>(٣)</sup> . وقد اقتدى بالحكم رجال دولته ، فأنشأوا المكتبات في سائر بلاد الأندلس ، حتى قيل إن غرناطة وحدها كان فيها سبعون مكتبة من المكتبات العامة <sup>(٤)</sup> .

وهذا في نظري راجع إلى تمسك المسلمين في تلك المنطقة وفي تلك الفترة الزمنية بتعاليم العقيدة الإسلامية .

ولم يقتصر إنشاء المكتبات على الخلفاء ، بل إن كثيرا من العلماء والأدباء والوزراء والأغنياء اقتنوا مجموعات كبيرة من الكتب أنشأوا بها مكتبات خاصة بهم أمثال <sup>(٥)</sup> :

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : كتاب العبر ، ج ٤ ، ص ١٤٦ .

(٢) محمد ماهر حمادة : المكتبات في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ ، نقلًا عن نفح الطيب للمقرئ ج ١ ص ٣٨٦ .

(٣) سعيد اسماعيل على : معاهد التعليم الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢١٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(٥) أحمد شلبي : التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٩٩ .



الفتح بن خاقان <sup>(١)</sup> ، وعلى بن يحيى المنجم <sup>(٢)</sup> ، وأبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي <sup>(٣)</sup> ، وحنين بن اسحاق ، والموفق بن المطران <sup>(٤)</sup> ، وجمال الدين القفطي <sup>(٥)</sup> ، والصاحب بن عباد <sup>(٦)</sup> .

- ( ١ ) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج ، أديب ، شاعر ، فصيح ، كان في نهاية الفطنة والذكاء ، فارسي الأصل ، اتخذ المتوكل العباسي أخاه ، واستوزره ، وكان يقدمه على سائر ولده وأهله ، واجتمعت له خزانة كتب حافلة ، جمعها له على بن يحيى المنجم ، له عدة مصنفات منها : كتاب " اختلاف الملوك " وكتاب " الصيد والجوارح " وكتاب " الروضة والزهر " ، وقتل مع المتوكل سنة ٢٤٧ هـ . الفهرس ص ١٦٩ ، ١٧٠ . الأعلام ١٣٣ / ٥ .
- ( ٢ ) على بن يحيى بن أبي منصور المنجم ، كان راوية للأشعار والأخبار ، شاعرا محسنا ، وكان نديم المتوكل العباسي الى ايام المعتمد ، يفضون اليه بأسرارهم ويأمنونه على أخبارهم . له عدة كتب منها : كتاب " الشعراء " القداماء الاسلاميين " ، وكتاب " أخبار اسحاق بن ابراهيم الموصلي " . توفي سنة ٢٧٥ هـ . الفهرس ص ٢٠٥ ، الأعلام ٣١ / ٥ .
- ( ٣ ) أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي ، كان شاعرا أدبيا ناقدا للشعر ، حسن التأليف والتصنيف ، متفقه على مذاهب الأمام الشافعي ، له عدة تصانيف منها : كتاب " الباهر في الاختيار من أشعار المحدثين " وكتاب " محاسن أشعار المحدثين " . الفهرس ص ٢١٣ .
- ( ٤ ) هو اسعد بن الياس بن جرجس ، موفق الدين بن المطران : طبيب باحث وجيه ، أسلم في أيام صلاح الدين الأيوبي ، واجتمعت له خزانة كتب حافلة ، وصنف كتبها قيمة منها " بستان الأطباء " و " روضة الألباء " و " المقالة الناصرية في التدابير الصحية " ، توفي سنة ٨٧ هـ . عيون الأنباء ص ١٣ . الأعلام ٣٠٠ / ١ .
- ( ٥ ) على بن يوسف بن ابراهيم الشيباني القفطي ، أبو الحسن ، جمال الدين ، وزير ، مؤرخ ، من الكتاب ، تولى القضاء في حلب أيام الملك الظاهر ، ثم الوزارة في أيام الملك العزيز سنة ٦٣٣ هـ . كان جماعا للكتب ، تساوى مكتبته خمسين ألف دينار ، من تصانيفه " أخبار العلماء بأخبار الحكماء " و " الدر الثمين في أخبار المتيمنين " و " أخبار مصر " و " تاريخ اليمن " وغير ذلك ، توفي بحلب سنة ٦٤٦ هـ . الأعلام ٣٣ / ٥ .
- ( ٦ ) اسماعيل بن عباد بن العباس ، أبو القاسم الطالقاني : وزير غلب عليه الأدب =

وهذا النوع من المكتبات كان كثيرا جدا وواسع الانتشار، إن كان من الصعب أن نجد عالما أو أدبيا لم تكن له مكتبة خاصة به يرجع إليها في دراسته وإطلاعه. (١)

#### هـ : ابتكار المنهج العلمى التجريبي :

لقد أدى فهم المسلمين لعقيدتهم الإسلامية التي دعتهم إلى النظر فى الآفاق ، وإلى إكتناه أسرار الطبيعة ، إلى الاهتداء إلى المنهج العلمى التجريبي فى مجال العلوم الطبيعية . (٢)

وقد كانت العلوم الطبيعية عند من سبقهم من الأمم - كالأغريق مثلا - دراسات فلسفية ميتافيزيقية تقوم على منهج عقلى استنباطى نظرى تجريدى (٣) ، فإن أقرها العقل بصورة من الصور فهى صحيحة ، بصرف النظر عن وجودها الواقعى أو صحتها الواقعية . (٤)

أما العقيدة الإسلامية فإنها لم توجه معتنقيها إلى الجانب النظرى التجريدى ، بل وجهتهم إلى الجانب العلمى النافع . (٥) قال تعالى :

(( يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَاجَّةِ )) (٦)

= فكان من نوابر الدهر علما وفضلا وتدييرا وجودة رأى استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمى ثم أخوه فخر الدولة . ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه ، فكان يدعو به بذلك . له تصانيف جليلة منها " المحيط " فى اللغة ، وكتاب " الوزراء " و " الكشف عن مساوئ شعر المتنبى " و " الاقتناع فى العروض وتخريج القوافى " وغير ذلك . توفى بالرى سنة ٣٨٥ هـ .  
الاعلام ٣١٦ / ١ .

- (١) أحمد شلبى : التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٩٩ .
- (٢) أنور الجندى : من التبعية إلى الأصالة ، القاهرة ، دار الاعتصام ، د . ت ، د . ط ، ص ١٦٩ .
- (٣) جلال محمد عبد الحميد مرصسى : منهج البحث العلمى عند العرب ، بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، د . ت ، د . ط ، ص ١١٥ .
- (٤) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .
- (٥) المرجع السابق ، نفس المكان .
- (٦) سورة البقرة ، آية : ١٨٩ .

وقال تعالى :  
 « وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ رُكُوتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً  
 لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ  
 تَفْصِيلًا <sup>(١)</sup> . »

وقال تعالى :  
 « وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا  
 يَعْرِشُونَ ، ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الشَّعَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا  
 شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ <sup>(٢)</sup> . »

لذلك بدأ المسلمون يحولون اتجاه البحث العلمى من المنهج النظرى الفلسفى  
 التجريدى - الذى كان متبع عند من سبقهم من الأمم - الى المنهج العلمى  
 التجريبى <sup>(٣)</sup> ، والذى يقوم على التأمل ولإمعان النظر وفرض الفروض وإجراء التجارب  
 واستنباط النتائج <sup>(٤)</sup> .

ويعتبر هذا التحول فى اتجاه البحث العلمى نقلة هائلة فى منهج البحث ،  
 واعتبر المنهج الذى ابتكره المسلمون القاعدة الأساسية التى قامت عليها الحضارة  
 الغربية الحديثة <sup>(٥)</sup> . وهذا ما يشهد به كثير من المؤرخين والباحثين الغربيين ،  
 يقول " بيرفولت " فى كتابه " بناء الانسانية " :

" ان ما يد بين به علمنا - للمسلمين - ليس فيما قدموه الينا من كشوف  
 مد هشة لنظريات مبتكرة بل يد بين لهم بوجوده نفسه . فالعالم  
 القديم لم يكن للعلم فيه وجود .. ، وقد نظم اليونان المذاهب  
 وعمموا الأحكام ووضعوا النظريات . ولكن أساليب البحث فى دأب  
 وأناة ، وجمع المعلومات الايجابية وتركيزها ، والمناهج التفصيلية

( ١ ) سورة الاسراء ، آية : ١٢ .

( ٢ ) سورة النحل ، آية : ٦٨ ، ٦٩ .

( ٣ ) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

( ٤ ) جلال محمد عبد الحميد موسى : منهج البحث العلمى عند العرب ، مرجع سابق ،

ص ١١٥ .

( ٥ ) أنور الجندى : من التبعية الى الأصالة ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

للعلم، والملاحظة الدقيقة المستمرة، والبحث التجريبي، كل ذلك كان غريبا تماما عن المواجه اليوناني .. أما ما ندعوه ( العلم ) فقد ظهر في أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة .. وهذه الروح وتلك المناهج أوصلها - المسلمون - الى العالم الأوربي " (١) .

ونتيجة لاتباع علماء المسلمين المنهج التجريبي الذي ابتكروه ، فانهم قدموا خدمات جليلة في مختلف أنواع العلوم الطبيعية، ولولا هم لتأخر العالم عن الوضع الحالي عدة قرون ، فقد وضع علماء المسلمين أسس علم الكيمياء ، وأسس علم البصريات وهم أول من ألف في علم الجبر بصورة علمية منظمة (٢) .

ويعتبر " كتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة " من علماء الغرب والشرق على السواء ، واعتمدوا عليه في بحوثهم وأخذوا عنه كثيرا من النظريات (٣) . كما ظلت كتب الخوارزمي نبراسا يهتدى به علماء الشرق والغرب لعدة قرون ، وكان لها أبلغ الأثر في كثير من الكشوفات العلمية الحديثة التي ابتدأت في القرن الحادي عشر الهجري الموافق السابع عشر الميلادي (٤) .

واخترعوا الآلات لحساب المواد النوعية ، وتركوا لمن خلفهم جداول أثبتوا فيها أوزان المواد الهامة ، وهذه الأوزان لا تختلف كثيرا عن الأوزان الحالية، وهذا مما يؤكده لنا دقة حسابهم وحسن أدواتهم (٥) .

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر، مرجع سابق ، ص ٩٠-٩١ ، نقلا عن كتاب  
بناة الانسانية لبريفولت .

(٢) على عبدالله الدفاع : نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات، نيويورك،  
دار جون وايلي وأبنائه ، د . ت ، د . ط ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٧ ، نقلا عن كتاب تاريخ الرياضيات لفلورين كاجوري .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٥) عبدالرزاق نوفل : المسلمون والعلم الحديث ، بيروت ، دار الكتاب العربي ،

وفيما يلي جدول يوضح قياس الوزن النوعي الذي عمله البيروني<sup>(١)</sup> مقارنة بالقياس الحديث ليتضح لنا مقدار إتقان العلماء المسلمين للعلوم التي يتخصصون فيها .

( ٢ )

| المادة  | الوزن النوعي  |               |
|---------|---------------|---------------|
|         | قياس البيروني | القياس الحديث |
| الذهب   | ١٩٢٦          | ١٩٢٦          |
| الزئبق  | ١٣٧٤          | ١٣٥٦          |
| النحاس  | ٨٩٢           | ٨٨٥           |
| الحديد  | ٧٨٢           | ٧٧٩           |
| القصدير | ٧٢٢           | ٧٢٩           |
| الرصاص  | ١١٤٠          | ١١٣٥          |
| الياقوت | ٣٧٥           | ٣٥٢           |
| الزمرد  | ٢٧٣           | ٢٧٥           |
| اللؤلؤ  | ٢٧٣           | ٢٧٥           |

- ( ١ ) محمد بن أحمد ، أبو الريحان البيروني الخوارزمي : فيلسوف رياضي مؤرخ من أهل خوارزم ، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود ، وعلت شهرته ، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره ، وصنف كتباً كثيرة جداً ، منها : " الاشارة الباقية عن القرون الخالية " و " الاستيعاب في صنعة الاسطرلاب " و " القانون المسعودي " في الهيئة والنجوم والجغرافيا ، و " تاريخ الهند " وغير ذلك . توفي سنة ٤٤٠ هـ . الاعلام ٣١٤ / ٥ .
- ( ٢ ) علي عبد الله الدفاع : نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات ، مرجع سابق ، ص ١٦١ .

ومن أشهر رواد المنهج العلمى التجريبي فى تلك العصور جابر بن حيان<sup>(١)</sup> وأبا بكر الرازى<sup>(٢)</sup>، والحسن بن الهيثم<sup>(٣)</sup>، والبيرونى<sup>(٤)</sup>.

( ١ ) جابر بن حيان بن عبد الله الكوفى ، أبو موسى : فيلسوف كيميائى ، كان يعرف بالصوفى ، أصله من خراسان ، له تصانيف كثيرة ، قيل عدد ها ٢٣٢ كتابا ، وقيل بلغت خمسمائة . ضاع أكثرها ، ومن مصنفاته : كتاب " الحكمة المصونة " وكتاب " كيما المعادن " و " كتاب " الأصلاح " وكتاب " الهيئة " . ويعتبر جابر بن حيان أول من استخرج حامض الكبريتيك وسماه زيت الزاج ، وأول من اكتشف الصودا الكاوية ، وأول من استحضرماء الذهب . توفى بطوسى سنة ٢٠٠ هـ . الفهرست ص ٤٩٨ ، الاعلام ١٠٣ / ٢ .

( ٢ ) محمد بن زكريا الرازى ، أبو بكر : فيلسوف ، من الائمة فى صناعة الطب . ولد بالرى سنة ٢٥١ هـ ونشأ بها ، تعلم الطب والفلسفة فى كبره ، فنبغ واشتهر ، له تصانيف كثيرة منها : كتاب " المدخل التعليمى " وكتاب " المدخل البرهانى " وكتاب " الأكسير " وكتاب " التدابير " وكتاب " الحجر الأصفر " وكتاب " الرد على الكندى فى رده على الصناعة " وغير ذلك . مات ببغداد سنة ٣١٣ هـ . الفهرست ص ٥٠٤ ، عيون الانباء ص ٤١٤ وما بعدها ، الاعلام ١٣٠ / ٦ .

( ٣ ) أبوعلى الحسن بن الحسن بن الهيثم ، أصله من البصرة ، ثم انتقل الى الديار المصرية وأقام بها حتى آخر عمره ، كان فاضل النفس قوى الزكاء متفننا فى العلوم ، وكان كثير التصنيف ، وافر التزهد ، محبا للخير . توفى سنة ٤٣٠ هـ . عيون الانباء ص ٥٥٠ ، ابن القفطى ص ١٦٥ .

( ٤ ) أحمد فؤاد باشا : التراث العلمى للحضارة الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٤٤ .

### الفصل الثالث

أهم آثار الالتزام بالعقيدة الإسلامية في المجال الحضارى  
~~~~~

- مفهوم الحضارة في الاسلام .

أولا : أثر الالتزام بالعقيدة الإسلامية في حياة الحسن ابن الهيثم ونتاجه في مجال الحضارة .

ثانيا : آثار عامة في المجال الحضارى :

- ١ : الإهتمام بالزراعة .
- ٢ : العناية باقامة الصناعات .
- ٣ : إنشاء المستشفيات .

تمهيد :

قبل بداية الحديث عن أهم آثار الالتزام بالعقيدة الإسلامية في المجال الحضارى سوف يتحدث الباحث عن مفهوم الحضارة في الإسلام، ومن ثم سوف يتحدث عن سيرة شخصية إسلامية التزمت بالعقيدة الإسلامية، مما كان لها الأثر الواضح في إنتاجها العلمي الذى يوضح لنا مدى المستوى العلمي والحضارى الذى وصل إليه العلماء المسلمون فى القرون الإسلامية الزاهرة نتيجة التزامهم بالعقيدة الإسلامية .

مفهوم الحضارة فى الإسلام

قبل أن نتحدث عن مفهوم الحضارة فى الإسلام، لا بد لنا من أن نبين مدلول كلمة " حضارة " فى اللغة، ومدلولها فى المصطلح الحديث .

فكلمة "حضارة" فى اللغة العربية ضد كلمة "بداوة" والحضر خلاف البدو، ويقال فلان من أهل الحاضرة، وفلان من أهل البادية، والحضارة الإقامة فى الحضر (١) .

قال القطامي مفتخرا ببداوة قومه، مستخفا بساكنى القرى والمدن :

فمن تكن الحضارة أعجبتـه فأى رجال بادية ترانـا (٢) .

ومجمل ماورد فى معاجم اللغة العربية عن مادة " حضارة " أنها الحياة فى المدينة، فالحضر بهذا الاعتبار هم سكان المدن والبدو هم سكان الصحراء .

أما مدلول كلمة "حضارة" فى العصر الحديث، فانه يختلف عن المدلول اللغوي فالمدلول الحديث لكلمة " حضارة " يعتبر أن البدو والمجتمعات البدائية لا تخلو من الحضارة، " حيث إن الحضارة ظاهرة إنسانية عامة موجودة ما وجد الانسان

(١) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ج ٥ ص ٢٧٢ .

(٢) المرجع السابق، نفس المكان .

الذى أنعم الله عليه بالعقل والإرادة والبيان^(١) .

فالحضارة صفة يتصف بها الإنسان عامة بفضل ما فضل به عن بقية المخلوقات الأرضية . فكل مجتمع إنساني لديه حضارة ما دامت له نظم وأنماطه وقيمه الخاصة التى تتحكم فى توجيه نشاطه الإنسانى^(٢) . فساكن البادية والقبائل الرحل لا يمكن أن ننفي عنهم صفة الحضارة لأنهم يعيشون وفق نظم وقيم اجتماعية^(٣) .

فالحضارة بهذا المدلول الحديث هى " مجموعة القيم والانماط التى تتحكم فى توجيه النشاط الروحى والمادى للمجتمع"^(٤) فهى صفة للإنسان بوجه عام ، وهى التى تميز المجتمع الانساني عن المجتمع الحيواني .

أما مفهوم الحضارة فى الإسلام ، فهو مفهوم متميز عن بقية المفاهيم لها ، فهو مفهوم يقوم على تصور عقدي له نظرة خاصة للإنسان والكون والحياة ، ويقوم أيضا على القيم والأخلاق والخصائص الإنسانية العليا التى ينفرد بها الإنسان عن الحيوان فالمجتمع الإسلامى مجتمع قائم على العقيدة الإسلامية ، لا على الجنس أو اللون ، قائم على عقيدة تجمع بين الأسود والأبيض ، والعربى والرومى ، والحبشى والفارسى وسائر الأجناس البشرية فى عبودية خالصة لله سبحانه وتعالى ، وخضوع لأوامره ، واجتناب لنواهيه ، وإخضاع جميع العادات والتقاليد والطبائع لعبودية الله سبحانه وتعالى^(٥) ، وكذلك إخضاع جميع النواحي المادية لمفهوم العبادة الشامل فى الإسلام .

(١) محمد فتحى عثمان : القيم الحضارية فى رسالة الاسلام ، جدة ، الـسـد ار

السعودية ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٢ .

(٢) أحمد ابراهيم الشريف : دراسات الحضارة الإسلامية ، د . م ، دار الفكر

العربى ، ١٩٨١ م ، ط ٢ ، ص ١٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢ - ١٣ .

(٤) أحمد ابراهيم الشريف : دراسات الحضارة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

(٥) توفيق يوسف الواعى : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، المنصورة ،

دار الوفاء ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٣٩ .

فمفهوم الحضارة فى الإسلام هو مفهوم العبادة بمفهومها الشامل، هو تحقيق^(١)

الغاية التى حددها الله من خلق الإنسان، قال تعالى :

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»^(٢) .

فجميع القيم فى الحضارة الإسلامية قيم دينية تعبدية، وجميع الجوانب المادية فى الحضارة الإسلامية مرتبطة بالقيم التعبدية، لذلك نجد أن الحضارة الإسلامية تعرف بأنها : تلك الحضارة التى تقوم على قيم - إسلامية - ثابتة وأشكال مادية وتنظيمية نامية ومتغيرة على الدوام، بشرط أن يظل الارتباط قائما بين تلك القيم - الإسلامية - الثابتة والأشكال المادية المتغيرة^(٣) .

فالمفهوم الإسلامى للحضارة لا يفصل بين الجوانب المادية للحضارة والقيم الدينية، فهو بذلك يختلف عن المفهوم الغربى للحضارة، الذى فصل بين الجوانب المادية والقيم الدينية، فسمى الجوانب المادية " حضارة " وأطلق على القيم والمعتقدات " ثقافة " .^(٤) والإسلام ان يفعل ذلك فإنه يساير الفطرة الإنسانية كعادته فى جميع الأمور التى تخص الإنسان، كيف لا وهو دين الفطرة، فهو يدعو دائما الى إشباع الجوانب الحسية والجوانب المعنوية معا فى وقت واحد بـلا تعارض ولا تناقض بل عن توازن واتساق . قال تعالى :

«وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ»^(٥)

وقال تعالى :

«يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا...»^(٦)

(١) محمد قطب : مفاهيم ينبغى أن تصحح، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٨ هـ ، ط ١، ص ٣٣٨ .

(٢) سورة الذاريات ، آية : ٥٦ .

(٣) محمد قطب : واقعنا المعاصر، مرجع سابق ، ص ١٠١ .

(٤) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٥) سورة البقرة ، آية : ١١٠ .

(٦) سورة الأعراف ، آية : ٣١ .

وقال تعالى :

((وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسِ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا)) (١).

ولا يمكن لأى حضارة أن تنفصل فيها الأشكال المادية التنظيمية عن القيم المعنوية .
 " فليس هناك عمارة مادية أو تنظيمية غير مرتبطة بقيم معينة فى حياة الناس ، متأثرة
 بها ومؤثرة فيها . كذلك فان القيم لا تعيش فى فراغ ، انما تعيش وتبرز فى كيان
 مادى وتنظيمى " (٢) .

والحضارة فى مفهوم الإسلام لا تسمى إسلامية إلا إذا ارتبطت فيها الأشكال
 المادية بالقيم الإسلامية الثابتة ارتباطا وثيقا ، أما إذا كانت السمة الغالبة على
 الحضارة الجوانب المادية البعيدة عن المنهج الربانى والبعيدة عن الارتباط
 بالقيم الإسلامية الثابتة ، فان تلك الحضارة لا تستحق أن نطلق عليها حضارة إسلامية
 انما تسمى حضارة مادية جاهلية (٣) . لأن الأشكال المادية والتنظيمية من الحضارة
 ليست غاية فى ذاتها ، انما هى وسائل للتعبير عن مفاهيم وقيم تلك الحضارة (٤) .

" والا نسان يستطيع أن يعيش ويمارس كيانه الانسانى على
 المستوى الاعلى بأقل قدر من الاشكال المادية التنظيمية ، ولكنه
 لا يستطيع أن يعيش ولا أن يمارس كيانه الانسانى على أى مستوى
 كان بغير قيم ومبادئ ، مهما يكن عنده من أدوات التقدم
 المادى والتنظيمى " (٥) .

وهناك نموذجان يمكن أن نستعرضهما لتتضح لنا هذه الفكرة :

النموذج الأول :

هو ذلك الجيل الذى عاش فى عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فهو لم

(١) سورة القصص ، آية : ٧٧ .

(٢) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٠١ .

(٣) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٤) محمد قطب : المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٥) محمد قطب : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

يكن يملك أى شكل من أشكال الحضارة المادية والتنظيمية إلا القدر الأدنى " مجموعة من الخيام ، وبيوت الطين ، وبساتين النخل ، والخيل ، والإبل والأغنام ، والسهم والسيوف ^(١) ، ولكنه كان يملك فى نفس الوقت أعلى وأعظم قدر من القيم الإسلامية . مطبقة فى واقعه الاجتماعى ، فاستحق بذلك الجيل أن يطلق عليه الجيل المتحضر . وكان ذلك الجيل بما حمل من قيم هو النواة الأولى لأعظم حضارة عرفت البشرية فيما بعد .

النموذج الثانى :

فهو الجيل الغربى المعاصر أو المجتمع الغربى المعاصر ، فهو يملك أعلى قدر وصلت اليه البشرية عن الحضارة المادية والتنظيمية " وأكبر قدر من المخترعات والتيسيرات المادية - التى - لم تجتمع قط لأى جيل من أجيال البشرية ^(٢) ، ولكنه تخلى عن القيم وأنسلخ منها واستحق بذلك أن يطلق عليه المجتمع الغربى المتخلف ، وعلى حضارته بالحضارة الجاهلية .

والحضارة الإسلامية قامت منذ البداية على أعلى وأعظم قدر من القيم فى تاريخ البشرية ، وبأقل قدر من المظاهر المادية قامت عليه حضارة فى التاريخ ، وكانت بحالتها تلك إحدى معجزات التاريخ ^(٣) ، وفى مقابلها قامت الحضارة الغربية على أعلى وأعظم قدر وصلت اليه البشرية من الإنتاج المادى والعلمى والتكنولوجى الخالى من القيم المعنوية والروحية والأخلاقية ، فكانت بذلك أخت وأفسد حضارة فى التاريخ .

ومفهوم الحضارة فى الإسلام - كما سبق أن أوضحنا - هو مفهوم العبادة بمعناها الواسع .

" فالصلاة والنسك جزء من المفهوم الإسلامى للحضارة واقامة

(١) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح ، مرجع سابق ، ص ٣٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

(٣) محمد قطب ، المرجع السابق ، ص ٣٤٩ .

شريعة الله فى الأرض والحكم بما أنزل الله ... جزء من المفهوم الإسلامى للحضارة .

ولقائمة العدل الربانى فى الأرض كما أراد الله أن يكون ... جزء من المفهوم الإسلامى للحضارة .

واقامة الحياة كلها - بكل ألوان النشاط فيها - على قاعدة أخلاقية مدارها تقوى الله وخشيته ... فتكون السياسة ذات أخلاق قائمة على حكم ولى الأمر بشريعة الله ، والسمع والطاعة من الأمة لولى الأمر فيما يأمر به موافقا لشريعة الله ، والنصح لله ورسوله ، والا مـر بالمعروف والنهى عن المنكر والتعاون على البر والتقوى ، وعدم التعاون على الإثم والعدوان ، ولقائمة الأمر على الشورى التى أمر الله بها ... ويكون الاقتصاد له أخلاق ، قائمة على الالتزام بما أحله الله وتحريم ما حرم الله من ربا واحتكار وغش وسلب ونهب وسرقة وغصب ، وأكل مال الأجير ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وقائمة على تطهير المال بأداء الزكاة ، والإتفاق فى سبيل الله ، وعدم الإتفاق فى ترف أو سرف أو معصية أو مخيلة ... وتكون علاقات المجتمع ذات أخلاق قائمة على التواد والتحاب والتكافل والتعاون على البر والتقوى ، وحرمة الدم والعرض والمال ، وكظم الغيظ والعفو عن الناس والكف عن الغمز واللمز والغيبة والنميمة والتجسس على العورات ... وتكون علاقات الأسرة ذات أخلاق .. وعلاقات الجنسين ذات أخلاق .. ان اقامة الحياة كلها على هذه القاعدة الاخلاقية جزء من المفهوم الإسلامى للحضارة (١) .

وان الوفاء بالمواثيق ، سواء بين الأفراد بعضهم البعض أو بين الدول بعضها

البعض جزء من المفهوم الإسلامى للحضارة (٢) .

وان السعى فى طلب العلم

" سواء العلم بدين الله وأحكامه ، أو العلم بسنن الله فى الكون وخواص المادة الذى يعين على استخلاص ما سخر الله للانسان من

(١) محمد قطب : مفاهيم ينبغى أن تصحح ، مرجع سابق ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

طاقات السموات والارض، واستخدامها في عمارة الأرض، أو العلم بسنن الله في الحياة البشرية، التي يقوم على أساسها مجتمع صالح، أو العلم بالتاريخ البشري وما فيه من فترات الهدى والضلال والنتائج المترتبة على كل منهما في واقع الحياة البشرية... إن هذا العلم بمختلف فروعه واتجاهاته، جزء من المفهوم الاسلامي للحضارة. وإن إقامة فنون نظيفة، تلتفت إلى الجمال في اللون وفي الحياة البشرية وتعبر عنه في أداء جميل.. جزء من المفهوم الاسلامي للحضارة^(١).

وإن عمارة الارض مادية وتنظيمية وفق المنهج الرباني جزء من المفهوم الاسلامي للحضارة^(٢).

فالاسلام هو الحضارة، وهو الذي أنتج حضارة متكاملة الجوانب، حضارة زاهية زاهرة، حضارة حكيمة عادلة، وهو الذي أنتج حضارة مؤسسة على توحيد الله سبحانه وتعالى، والإيمان به، وعلى ذكر الله سبحانه وتعالى واستحضار قدرته، واستحضار الآخرة، والإيمان بأن الآخرة خير من الأولى. وهو الذي أنتج حضارة مؤسسة على العدل الاجتماعي وعلى الإحترام للإنسانية والرحمة بها، وعلى الجمع بين الواجبات والحقوق في وقت واحد، وعلى الأخذ والعطاء، والإفادة والإستفادة في آن واحد، وعلى الإعتراف بقيمة الإنسان أيما كان وأينما كان. وهو الذي أنتج حضارة مؤسسة على مبدأ المساواة الإنسانية ومبدأ الرحمة بها، وإخراج الناس من حكم العباد إلى حكم الله سبحانه وتعالى، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام^(٣).

والفارق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية فارق شاسع، لأن مقياس

(١) محمد قطب: مفاهيم ينبغي أن تصحح، مرجع سابق، ص ٣٤٤.

(٢) أبو الحسن على الحسن الندوي: أهمية الحضارة في تاريخ الديانات،

المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤٠٢ هـ، ص ١٣، ١٤، ١٥.

(٣) المرجع السابق، نفس المكان.

الحضارة في الإسلام روح وقلب، أما مقياسها في الغرب حديد واسمنت .
مقياسها في الإسلام مدى إيمان الفرد والجماعة بالرسالة الإسلامية التي
يحملوها، ومقياسها في الغرب ومن جرى نحوه مدى مادية الفرد والجماعة
ومستوى غناها وثروتها .

مقياسها في الإسلام الإيثار وإنكار الذات، أما في الغرب الأثرة وتعبد الذات .
مقياسها في الإسلام البر والمواساة، أما في الغرب الأنانية واللامبالاة .
مقياسها في الإسلام قدسية الأهداف ونبل الغايات، ومقياسها في الغرب
مادية الأهداف ونفعية الغايات (١) .

" مقياسها في الإسلام العلم النافع، والقلب الخاشع، ومقياسها
في الغرب تضخم المعلومات ووفرة الدخائر، وتحجر القلب وقسوة
الفؤاد .

مقياسها في الإسلام تحقيق خلافة الله في الأرض، وإجراء أحكامه
وشرائعه في البشر، والسير بالإنسانية على خط مستقيم نحو
هدى فيها الحقيقي ومأمنها الأبدى وعيشها السرمدي، ومقياسها في
الغرب تحقيق نزوات الجسد، والحكم بالطاغوت، والسير
بالإنسانية على خطوط متفرقة نحو أهداف رخيصة ومتعة عاجلة
ونعيم زائل، وسراب خادع، وسخط الله وعذابه في الآخرة .

مقياسها في الغرب، الأبيض والأسود، والأحمر والأصفر، والقاصي
والداني، والقريب والبعيد، والقوى والضعيف، والمالك والمملوك،
والغنى والفقر، ومقياسها في الإسلام .. ((وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ)) (٢) .

مقياسها في الإسلام "سلمان الفارسي"، "وبلال الحبشي"، وصهيب
الرومي "مع أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رضي الله عنهم أجمعين" (٣) .

(١) محمد الحسني : الإسلام الممتحن، القاهرة، المختار الاسلامي، ١٣٩٧ هـ،

ص ١١٥، ١١٦ .

(٢) سورة الحجرات، آية : ١٣ .

(٣) محمد الحسني، المرجع السابق، ص ١١٦، ١١٧ .

والذى ميز الحضارة الإسلامية عن غيرها هو

" أنها قامت بكل ما قامت به من عمارة الأرض وهى تستظل بظل العقيدة الصحيحة، بل تنطلق من منطلقاتها، فتعمر ماتعمر فى الأرض وهى تؤمن بالله واليوم الآخر، وتحقق مقتضيات الإيمان بالله واليوم الآخر من قيم وأخلاق ومبادئ وروح تناقض فى حسمها بين هذا الأمر وذلك (١) .

فالعقيدة الإسلامية هى التى أعطت الأمة الإسلامية منذ البدايات كل عناصر النماء والقوة التى برزت فى حياة الأمة الإسلامية فيما بعد ، وهى التى دفعت الأمة الإسلامية لطلب العلم فى كل مصادره ، وتتعلم جميع لغات العلم لترجم عنها ، وهى التى دفعت الأمة الإسلامية إلى التعمير المادى والتنظيمى فى الأرض، وذلك ما تشهد به المدن الإسلامية وما حفلت به من صناعة وتجارة، وما تشهد به من نظم الإدارة والقضاء والحسبة ونظم التعليم ونظام الموقف وغير ذلك . وهى التى دفعت الأمة الإسلامية أن تكشف مجاهل الأرض، وترسم الخرائط وتحدد المواقع، وهى التى دفعت الأمة الإسلامية لإنشاء التراث الفكرى الهائل الذى تعجب له الأجيال المعاصرة، وهى التى دفعت الأمة الإسلامية لإنشاء فنونا فى الأدب والعمارة، وغيرها من ألوان الفنون (٢) .

والعقيدة الإسلامية عقيدة متميزة فهى متصلة بجميع جوانب الحياة، فهى لا يمكن أن تنقطع عن الحياة، ولا يمكن للحياة أن تستغنى عنها، إنها عقيدة لا تعيش مع الحياة فحسب بل تسيطر على جميع جوانب الحياة (٣) .

والحضارة الإسلامية حضارة متميزة تبعا للعقيدة التى تنتمى إليها، فجميع مظاهرها وأجزائها مرتبطة برباط إيمانى متين، فمن إمامة الأذى عن الطريق إلى

(١) محمد قطب: مفاهيم ينبغى أن تصحح، مرجع سابق، ص ٣٥١ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٥٠، ٣٥١ .

(٣) أبو الحسن على الحسنى الندوى: أهمية الحضارة فى تاريخ الديانات ،

مرجع سابق، ص ١١ .

أعلى درجات الجهاد وأفضل أنواع السعى الدينى والديوى روح واحدة لا يتخللها شىء، هذه الروح هى روح التقرب إلى الله سبحانه وتعالى والسعى إليه . (١)

وكذلك فإن عطاء الحضارة الإسلامية عطاء متميز، حيث إن الحضارة الإسلامية أعطت الأمة الإسلامية تراثاً ضخماً فى مختلف المجالات، فى المسجد، وفى العمارة وفى القضاء، وفى حقوق الانسان، وفى التعليم، وفى الثقافة والفقه...، وكل هذه المعطيات التى قد متها الحضارة الإسلامية معطيات جديدة باهرة نضرة، من شأنها أن تكشف أمام عقول الشباب المسلم وأرواحهم ذلك الإيمان العميق وذلك الفضل الصادق بأسبقية العطاء للبشرية مالم تكن تعرفه من قبل . (٢)

بعد أن تحدث الباحث عن مفهوم الحضارة فى الاسلام، سوف يتحدث الآن عن أهم آثار الالتزام بالعقيدة الإسلامية فى المجال الحضارى :

أولاً : الالتزام بالعقيدة الإسلامية فى حياة الحسن بن الهيثم وإنتاجه فى مجال الحضارة :

نسبه ومولده :

هو أبو على الحسن بن الحسن بن الهيثم (٣) ولد بالبصرة سنة ٣٥٤ هـ . (٤)

كمالاته النفسية :

كان ابن الهيثم فاضل النفس، قوى الزكاء، متفنناً فى العلوم، حتى أنه لم يماثله أحد من أهل زمانه، وكان دائم الإشتغال بالعلوم، كثير التصنيف،

(١) محمد الحسنى : الاسلام الممتحن، مرجع سابق، ص ٩٢ .

(٢) أنور الجندى : الاسلام تاريخ وحضارة، م. د. دار الاعتصام، د. ت. د. ط، ص ١٩٠ .

(٣) جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى : اخبار العلماء بأخبار

الحكماء، بغداد، مكتبة المثنى، د. ت. د. ط، ص ١٦٥ .

(٤) على عبد الله الدفاع : نوابغ علماء العرب والمسلمين فى الرياضيات، نيويورك،

دارجون وايلى وابناءه، ١٩٧٨ م، د. ط، ص ١٣٦ .

وكان زاهدا ، محباً للخير ، وكان حسن الخط .^(١)

حياته :

نشأ ابن الهيثم في البصرة ، وتلقى بعض علومه فيها ، ثم أخذ يتنقل في كافة أرجاء الدولة الإسلامية سعياً في طلب العلم ، فسافر إلى بغداد والشام وأخيراً إلى مصر حيث كانت أقامته فيها .

وتعتبر الفترة التي عاش فيها ابن الهيثم من أزهى فترات الحضارة الإسلامية حيث برز على الساحة معظم الانجازات العلمية ، كما برز على الساحة مع ابن الهيثم بعض العلماء البارزين أمثال ابن يونس^(٢) ، والبيروني^(٣) ، وابن سينا^(٤) .

وقد اشتهر ابن الهيثم بمعرفة العلوم والفلسفة ، والبراعة في الهندسة قبل أن يجاوز الشباب^(٥) ، ويقول عن نفسه في تلقيه العلم :

” انى لم أزل منذ عهد الصبا مرتاباً في اعتقادات هذه الناس المختلفة وتمسك كل فرقة منهم بما تعتقده من الرأي ، فكنت متشككاً

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، مرجع سابق ، ص ٥٥٠ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن أبى سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن

عبد الأعلى الصرفي المصري ، كان مختصاً بعلم النجوم ، متصرفاً في سائر

العلوم ، بارعاً في الشعر . انظر وفيات الأعيان ، ج ٣ ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

(٣) هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ، نسبة إلى بيرون ، وهي مدينة في

السند ، كان مشغولاً بالعلوم الحكيمة ، فاضلاً في علم الهيئة والنجوم ، وله

نظر جيد في صناعة الطب . انظر عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، ص ٤٥٩ .

(٤) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا ” الملقب بالشيخ الرئيس ”

انظر ترجمته في أهم آثار الالتزام بالعقيدة الإسلامية في المجال

الحضارى أثناء الحديث عن العناية بالطب .

(٥) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٤ م ،

ط ٤ ، ص ٣٦١ .

فى جميعه ، موقنا بأن الحق واحد ، وأن الإختلاف فيه إنما هو
من جهة السلوك إليه . فلما كملت لإدراك الأمور العقلية ،
انقطعت إلى طلب معدن الحق ، ووجهت رغبتى وحدسى إلى
إدراك ما به تنكشف تمويهات الظنون ، وتنقشع غيابات المتشكك
المفتون ، وسعت عزمى إلى تحصيل الرأى المقرب إلى الله جل
شأنه ، المؤدى إلى رضا الهادى لطاعته وتقواه ^(١) .

وأخذ ابن الهيثم يطلع على ما وصل إليه العلم فى عصره وقبل عصره فقرأ
ما كتبه السابقون أمثال اقليدس ^(٢) ، وابلونىوس ^(٣) ، وبطليموس ^(٤) ، وأرسطو ^(٥) ، وجالينوس ^(٦) ،

-
- (١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ، مرجع سابق ، ص ٥٥٢ .
(٢) هو اقليدس بن نوطرس بن برنيقس ، المظهر للهندسة المبرز فيها ، وهو
أقدم من أرشميدس وغيره ، وهو من الفلاسفة الرياضيين . انظر ابن النديم ،
ص ٣٧١ .
(٣) ابلونىوس ، صاحب كتاب المخروطات ، وهو من أهل الاسكندرية ، وله عدة كتب
منها كتاب قطع الخطوط على نسبة ، وكتاب فى النسبة المحدودة ، وكتاب قطع
السطوح على نسبة ، وكتاب الدوائر المماسية . انظر ابن النديم ، ص ٣٧٣ .
(٤) بطليموس ، فلكى يونانى ، ولد فى مصر فى القرن الثانى بعد المسيح عليه
السلام ، وهو صاحب كتاب المجسطى ، وله عدة مؤلفات منها كتاب الموالييد ،
وكتاب الحرب والقتال ، وكتاب المرفى وشرب الدواء . انظر ابن أبى أصيبعة ،
ص ٨٦ ، وابن النديم ، ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ .
(٥) هو أرسطو طاليس بن نيقوماخس بن ماخاون . ومعنى أرسطو طاليس : محب
الحكمة أو تام الفضيلة ، قال عنه ابن جلجل أنه فيلسوف الروم وعالمها
وجهبذها ونحريرها وخطيبها وطبيبها ، ولأرسطو طاليس كتب كثيرة فى
المنطقيات والطبيعيات والالهيات والخلقيات . انظر : ابن جلجل ، ص ٢٥ ،
وابن النديم ، ص ٣٤٥ ، وابن أبى أصيبعة ، ص ٨٦ .
(٦) هو قلاود يوس جالينوس ، ولد حوالى سنة ١٣٠ م ، وتوفى حوالى سنة ٢٠٠ م ،
وهو مفتاح الطب ، وبأسطة وشارحه بعد المتقدمين ، له مؤلفات كثيرة فى
الطب والأخلاق . انظر : ابن جلجل ، ص ٤١ ، ٤٢ ، ابن النديم ،
ص ٤٠٢ ، ٤٠٥ .

وغيرهم ، فأحاط بكتب الفلسفة ^(١) والمنطق ^(٢) ، والكلام ^(٣) ، والعلوم الرياضية ^(٤) ،

(١) الفلسفة لغة : محبة الحكمة ، واصطلاحاً النظر في حقائق الأشياء لمعرفة

مبادئها الأولى وعلة وجودها وما وراءها أزلاً وأبداً . وهى بهذا التعريف تشمل البحث عن الكون وعقلته من حيث وجوده ومن أوجده وكيف وجد ومتى وجد ويرى علماء الاسلام عدم جواز تعلم الفلسفة لعدم الحاجة اليها ، لأن دراسة القرآن والسنة توفر لصاحبها المعرفة الكاملة بالكون وعقلته ومن أوجده ، وكذلك توفر المعرفة الكاملة عن الروح والعقل والأخلاق ما لا توفر بعضه الفلسفة . انظر : العلم والعلماء للجزائرى ص ٩١ .

(٢) المنطق لغة : مصدر ميمى فعلة نطق ينطق نطقاً ومنطقاً اذا لفظ الحروف

وتكلم بها . واصطلاحاً : هو علم يعصم الذهن عن الخطأ فى اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة ، وقيل هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد فى الحدود والمُعَرَّفَةُ للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات . وفائدته : تمييز الخطأ من الصواب فيما يلتسمه الناظر فى الموجودات وعوارضها ليقف على تحقيق الحق فى الكائنات بمنتهى فكره . انظر ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٧٨ ، ٤٨٩ ، والجزائرى : العلم والعلماء ص ٩٠ .

(٣) هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الایمانية بالأدلة العقلية والرد على

المبتدعة المنحرفين فى الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة . وموضوع علم الكلام هو العقائد الایمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك والشبهة عن تلك العقائد . انظر ابن خلدون المقدمة ص ٤٥٨ ، ٤٦٦ .

(٤) العلوم الرياضية : هى التى تزاوُل بالعقل غالباً ، ويكون العقل والفكر

فيها هو الأداة الفعالة فيها ، والرياضة لفظ مشتق من راض المرء اذا عقل بعد رعونته ، أو من راض المهر اذا أنلّه وطوعه للسير ، ولذلك فان الرياضة تكون بدنية ، وتكون نفسية أخلاقية ، كما تكون عقلية فكرية بحتة . والمقصود بالعلوم الرياضية هنا هى التى تزاوُل بالعقل والفكر التى منها : الحساب والهندسة والجبر والمقابلة والفلك والأرصاد وغير ذلك .

انظر : الجزائرى : العلم والعلماء ، ص ٧٩ .

والهندسة^(١) والطب^(٢) والفلك^(٣) (٤) وكانت قراءة ابن الهيثم لهذه الكتب قراءة الناقد المصحح لما يلاحظ من أخطاء ، ويتضح ذلك من مقالة له فى الشكوك على بطليموس، حيث قال فى مقدمتها :

”.. ولما نظرنا فى كتب الرجل المشهور بالفضيلة ... أعينى (بطليموس) وجدنا فيها علوما كثيرة، ولما خصمناها وميزناها ... وجدنا فيها مواضع مشبهة وألفاظ بشعة ومعانى متناقضة ... إلا أنها يسيرة فى جنب ما أصاب فيه من المعانى الصحيحة. ورأينا أن الإمساك عنها هضما للحق وتعدىا عليه .. ووجدنا أولى الأمور ذكر هذه المواضع وإظهارها، ثم نجتهد بعد ذلك فى سدد خللها وتصحيح معانيها“ (٥).

-
- (١) الهندسة : علم يبحث فيه عن أحوال المقادير من حيث التقدير، وموضوعه : الخطوط والسطوح والأجسام وهى الأبعاد الثلاثة الطول والعرض والعمق . وعناصر هذا العلم هى معرفة أحوال الخطوط وأنواعها ، والدوائر ومحاورها ، والأوتار، والزوايا المختلفة وأضلاعها ، والأشكال الكروية والاسطوانية والمخروطية، ومعرفة النسب بينها ، والمقادير فيها والبرهنة على ذلك بطرق علمية صحيحة . انظر الجزائرى : العلم والعلماء، ص ٨٣ .
- (٢) الطب : هو علم يبحث فى بدن الانسان ، من حيث الصحة والمرض، وفائدته حفظ الصحة وبراء المرض بالادوية والأغذية . انظر : ابن خلدون : المقدمة، ص ٤٩٣ .
- (٣) الفلك : هو علم يبحث فيه عن مواقع الأجرام الفلكية وأبعادها ، ومادتها وشكلها ومدد دورانها . وموضوعه البحث عن الأفلاك الدائرة وسرعة دورانها وعن النجوم والكواكب الثابتة والسيارة وعن حركة سيرها وأبعادها ، وعن مقدار أحجامها ومادة تكوينها وذلك عن طريق آلات الرصد كالاسطرلاب وذات الحلق وغير ذلك . انظر : الجزائرى ، العلم والعلماء، ص ٨٥، ٨٦ .
- (٤) بشار محمد سعيد قاسم، على يوسف فرح : الحسن بن الهيثم وأثره على المسيرة العلمية الحديثة ، الأردن ، مكتبة المنار، ١٤٠٥ هـ، ص ٨ .
- (٥) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك، بيروت، دار الشرق، د. ت. د. ط. ص ٣٠٧ .

وبعد أن هضم علوم الأوائل أخذ في وضع الملخصات والمختصرات والتصنيفات في معظم العلوم التي قراءها (١).

وعند ما ذاعت شهرة ابن الهيثم سمع به حاكم مصر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله فأرسل في طلبه ورغبه في الحضور إلى مصر، فتوجه ابن الهيثم نحو مصر ولما وصلها خرج الحاكم لاستقباله، وكرمه وأمر بانزاله في ضيافته، وكان الخليفة قد نقل إليه أن ابن الهيثم يقول : لو كنت بمصر لعملت في النيلها عملا يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص، وبعد أن استراح ابن الهيثم طالبه الحاكم بما وعد به من أمر النيل، فخرج ابن الهيثم ومعه جماعة من الصناع ليستعين بهم على هندسته التي خطرت له . ولما سار إلى الإقليم بطوله ورأى آثار من تقدم من ساكنيه من الأمم الخالية، وهي على غاية من إحكام الصنعة وجودة الهندسة، تحقق له أن الذي يقصده ليس بممكن، لأن من تقدمه في العصور الخالية لم يغرب عنهم علم ما كان يريد أن يعمل، ولو أمكن لفعلوه، فعاد ابن الهيثم إلى الحاكم واعتذر له، وقبل الحاكم عذره، وولاه بعض الدواوين فتولاها رهبة لا رغبة، لأن الحاكم كان مريقا للماء بغير سبب أو بأضعف سبب من خيال يتخيله، ففكر ابن الهيثم في أمر يتخلص به من الديوان الذي ولاه عليه الحاكم - لأنه لا يريد مالا ولا جاها ولا منصبا إنما يريد أن يتقرب إلى الله بالسعى في طلب العلم والبحث - فلم يجد طريقا إلى الخلاص إلا إظهار الجنون والخبال، فأظهر الجنون وشاع ذلك بين الناس، فأمر الحاكم بعزله وعين من يخدمه ويقوم على مصالحه، فقيّد ابن الهيثم وترك في منزله، واستمر على ذلك الوضع إلى وفاة الحاكم، وبعد أن تحقق من وفاة الحاكم أظهر العقل وعاد إلى ما كان عليه، فخرج من داره الذي كان مقيدا فيه، وسكن في إحدى القباب التي كانت مبنية على أحد أبواب الجامع الأزهر بالقاهرة، ومنذ ذلك الحين اشتغل ابن الهيثم بالتصنيف والنسخ والافادة،

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مرجع سابق، ص ٥٥٣ .

وكان يقات من أجرة الكتب التي ينسخها ، حيث كان ينسخ في السنة ثلاثة كتب ويبيعها بمائة وخمسين ديناراً مصرياً ، واستمر على التصنيف والنسخ إلى أن توفي .^(١)

منزله العلمي :

يعتبر ابن الهيثم من أعظم علماء المسلمين الذين أحاطت معرفتهم بمعظم فروع المعرفة ، فهو لم يترك علماً من العلوم إلا وكتب فيه بدقة ووضوح ، ولقد شملت كتبه الكثير من موضوعات متنوعة في الحساب ، والهندسة ، والجبر والمقابلة والمثلثات وفي الفلك والطبيعيات وفي المناظر (البصريات) والفيزياء وفي الجغرافيا والطب والمنطق وفي الفلسفة وعلم الكلام وفي السياسة والأخلاق والأدب . وهذا ما يميز به علماءنا الأفاضل ، فهم شغوفون بمعرفة وإتقان الكثير من العلوم ، وذلك بدافع من عقيدتهم الإسلامية التي تحثهم على طلب العلم والسعي إليه . وقد نال ابن الهيثم شهرة ملموسة بكتابه (المناظر) الذي يضم بين دفتيه موضوعات كثيرة وجديدة في (الفيزياء) ، ودراسات دقيقة وعميقة في حقل انعكاس وانكسار الأشعة .^(٢)

ويعتبر ابن الهيثم المؤسس الحقيقي لعلم الفيزياء والبصريات على الأسس العلمية الصحيحة ، فهو قد أنكر نظرية (اقليدس) و (بطليموس) في علم البصريات التي تقول : إن العين هي التي ترسل أشعتها على الأشياء^(٣) . وأثبت خلاف ما قال به (اقليدس) و (بطليموس) بنظريته المشهورة التي تقول : " إن الشعاع لا يصدر عن العين إلى الأجسام ، ولكن الأجسام هي التي ترسل أشعتها إلى العين " .^(٤)

(١) جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي : اخبار العلماء بأخبار

الحكماء ، بغداد ، مكتبة المثنى ، د . ت ، د . ط ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) علي عبد الله الدفاع : نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات ، مرجع

سابق ، ص ١٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٤) المرجع السابق ، نفس المكان .

وقد بحث ابن الهيثم كذلك في تشريح العين وتركيبها ، وفي العدسات واستعمالها ، وفي الضوء (١) .

بعض أقوال العلماء في الحسن ابن الهيثم :

قال عنه ابن القفطي (ت ٥٩٥ هـ) :

" ... صاحب التصانيف والتوالييف المذكورة في علم الهندسة كان عالما بهذا الشأن متقنا له متفننا فيه قيما بغوامضه ومعانيه مشاركا في علوم الأوائل أخذ الناس عنه واستفادوا منه " (٢) .

وقال عنه ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨ هـ) :

" كان .. قوي الذكاء متفننا في العلوم ، لم يماثله أحد من أهل زمانه في العلم الرياضي ، ولا يقرب منه ، وكان دائم الاشتغال ، كثير التصنيف لخص كثيرا من كتب جالينوس في الطب ، وكان خبيرا بأصول صناعة الطب وقوانينها وأمورها الكلية ، إلا أنه لم يباشر أعمالها ولم تكن له دراسة بالمداداة ، وتصنيفه كثيرة الافادة ... " (٣) .

وقال عنه " روز يول " في كتابه المختصر في تاريخ الرياضيات :

" ان ابن الهيثم برهن على نظريات كثيرة في علم الفيزياء الحديثة ، كإنكسار الأشعة ، مما أدى الى تقدم هذا العلم الى ما هو عليه الآن " (٤) .

وقال عنه " هورد ايفز " في كتابه مقدمة تاريخ الرياضيات :

" ان ابن الهيثم الذي عاش فيما بين ٩٦٥ م الى ١٠٣٩ م ، قد اشتهر بنظرياته المعروفة لدينا نحن الرياضيين برسائل ابن الهيثم ، وبدون شك أنه أعظم رياضي مسلم في ذلك العصر ، وأعظم فيزيائي مسلم في جميع العصور ، وفضله لا ينسى بحكم مؤلفاته المشهورة بالبصرييات " (٥) .

(١) على عبد الله الدفاع : نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات ، مرجع سابق ، ص ١٣٨ .

(٢) ابن القفطي : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مرجع سابق ، ص ١٦٥ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، مرجع سابق ، ص ٥٥٠ .

(٤) نقلا عن : على عبد الله الدفاع : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

وقال عنه المؤلف " كيلى " فى كتابه تاريخ الفلك :

" ان مؤلفات ابن الهيثم لها طابع رياضى خاص، وخاصة فى علم الهندسة وهو بدون شك أول من شرح حدوث قوس قزح ، والكسوف والخسوف ، وعلم الظل ، والعدسات المقعرة والمحدبة " (١) .

وقال عنه أيضا " حكيم محمد سعيد " رئيس مجلس العلوم فى كراتشى بمناسبة الحفل السنوى الذى أقيم عام ١٣٨٩ هـ لابن الهيثم فى الباكستان :

" بدون شك أن وقوف الإنسان على القمر يرجع الى تقدم التكنولوجيا الحديثة ، ولكن يجب أن يعتبر ابن الهيثم رائد هؤلاء العلماء الأمريكين حيث إن كل نظرياتهم الرياضية مقتبسة من ابتكارات أبى على .

لهذا باستطاعتى أن أقول إن لدى ابن الهيثم عقل القرن العشرين ، ولكنه عاش فى القرن العاشر ، ومهما حاولت أن أصف عالمنا الكبير فأننى عاجز عن ذلك " (٢) .

منهاجه العلمى ومؤلفاته :

اتبع ابن الهيثم فى معظم أبحاثه - وخصوصا ما كان منها فى الضوء - منهاجا علميا بناه على الاستقراء (وهو استخراج القاعدة العامة من مفردات الوقائع) فى أغلب الأحيان ، وعلى الاستنباط (وهو تفريع الأحوال المفردة من القاعدة العامة) أحيانا أخرى ، وهو فى كلا الحالتين يلجأ الى القياس (وهو الموازنة بين الوقائع المختلفة والمقارنة بين النتائج) ، وكان سبيله الى ذلك المشاهدة (وهى النظر فى الأمور الجارية فى بيئتها المخصوصة) ، والملاحظة (وهى التفتن لما يتفق وما يختلف من هذه الأمور) . وكان ابن الهيثم يستخدم هذا المنهج على تجاربه كلها ، وقد بالغ فى اعتماد التجارب حتى انه قام باعادة التجارب التى كان اليونان قد جربوها واستخرجوا قواعدها (٣) .

(١) على عبد الله الدفاع : نوابغ علماء العرب والمسلمين فى الرياضيات ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

(٣) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، مرجع سابق ، ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

وقد ساعد ابن الهيثم على انتهاز هذا المنهج العلمى - الذى وضعه لنفسه - ولمن جاء بعده من العلماء - معرفته الجيدة بالرياضيات والفلسفة ، فالرياضيات مكنته من تنظيم بحوثه ، والفلسفة ساعدته على تخيل الأمور ، واجادته لتدوين النتائج التى يتوصل اليها فى جداول خاصة للتبويب ، وكذلك إخلاصه وتفانيه فى طلب العلم ، لإظهار الحق ^(١) .

وهذا المنهج العلمى الذى سار عليه فى معظم أبحاثه وخصوصا فى علم الضوء هو الذى سماه الباحثون فيما بعد بالمنهج العلمى التجريبي ، والمنهج التجريبي الذى ابتكره ابن الهيثم هو الذى أدى إلى النتائج الرائعة التى وصل اليها العقل البشرى فى كل ميدان من ميادين العلم وفى كل منحى من مناحى الحياة ^(٢) . وقد صنف ابن الهيثم مؤلفات كثيرة فى مختلف فروع المعرفة ، إلا أن أكثر المؤلفات التى صنفها كانت فى العلوم الرياضية والطبيعية ^(٣) ، وكان يهدف إلى تحقيق عدة أمور من وراء دراساته وأبحاثه ومصنفاته منها :

١ - طلب العلم وإيثار الحق ، والتقرب إلى الله بأدراك العلوم النفيسة ^(٤) ، وهو فى ذلك يقول :

" فلما كملت لأدراك الأمور العقلية ، انقطعت إلى طلب معدن الحق ، ووجهت رغبتى وحدسى إلى أدراك مابه تنكشف تموهيات الظنون وتنقشع غيايات المتشكك المفتون ، وبعث عزيمتى إلى

(١) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، مرجع سابق ، ص ٣٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) العلم الطبيعى : هو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون ، فينظر فى الأجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان وإنسان ونبات ومعدن وما يتكون فى الأرض من العيون والزلازل وفى الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك ، وفى مبدأ الحركة للأجسام . انظر ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٩٢ .

(٤) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، مرجع سابق ، ص ٥٥٨ .

تحصيل الرأى المقرب إلى الله جل ثناؤه ، المؤدى الى رضاه
المهادى لطاعته وتقواه ... " (١) .

٢ - إفادة من يطلب الحق ويؤثره . (٢)

٣ - إثبات وتحقيق لما درسة وأتقنه من علوم الأوائل الرياضية والطبيعية والإلهية
التي درسها . (٣)

٤ - علم الحق والعمل بالعدل فى جميع الأمور الدنيوية . (٤)

وكان ابن الهيثم ملتزماً بالأمانة العلمية فى كل أبحاثه ومصنفاته ، فهو لا ينسب
ما قاله غيره لنفسه ، وينصح غيره أيضاً بذلك ، فيقول : " إذا وجدت كلاماً حسناً
لغيرك فلا تنسبه الى نفسك ، واكتف باستفادتك منه ، فان الولد يلحق بأبيه ،
والكلام بصاحبه " . (٥)

وكان إذا توصل فى أثناء دراسته إلى أشياء جديدة قال بلا فخر ولا غرور
ولا عجب : " ولا نعرف واحداً من المتقدمين ولا المتأخرين بين هذا ولا وجدناه
فى شئ من الكتب " . (٦)

وقد ذكر ابن أبى أصيبعة^(٧) فى كتابه عيون الأنباء ، أكثر من تسعين كتاباً

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، مرجع سابق ، ص ٥٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٥٢ ، ٥٥٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٥٨ .

(٥) ظهير الدين البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ، تحقيق محمد كرد على ،

دمشق ، مطبعة المفيد الجديدة ، ١٣٩٦ هـ ، ط ٢ ، ص ٨٨ .

(٦) بشار محمد سعيد قاسم ، وعلى يوسف فرح : الحسن بن الهيثم وأثره على
المسيرة العلمية الحديثة ، مرجع سابق ، ص ٨ .

(٧) هو موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبى أصيبعة السعدي
الخرزجى ، ولد فى مدينة دمشق عام ٦٠٠ هـ ، فى بيت علم وأدب ، كان
والده من أمهر أطباء العيون فى دمشق ، اشتهر ابن أبى أصيبعة بكائه
وحسن مداوته لأمراض العيون ، انظر ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ، ص ٥٥ .

ومقالة لابن الهيثم في مختلف فروع المعرفة، ومن أهم مؤلفات ابن الهيثم مؤلفاته
ففى :

أولا : علوم الرياضيات :

حيث وضع ابن الهيثم أكثر من ثلاثين مؤلفا في علوم الرياضيات، نذكر منها :

- ١ - مقالة في شرح مصادرات كتاب اقليدس في الهندسة والعدد .
- ٢ - مقالة في حساب المعاملات .
- ٣ - مقالة في أصول المساحة .
- ٤ - كتاب في بركار القطوع .
- ٥ - مقالة في أصول المساحة .
- ٦ - مقالة في مساحة الدائـرة .
- ٧ - مقالة في أن الكرة أوسع الأشكال المجسمة التي احاطتها متساوية
وأن الدائرة أوسع الاشكال المسطحة التي احاطتها متساوية .
- ٨ - مقالة في خواص القطع المكافئ .
- ٩ - مقالة في خواص القطع الزائد .
- ١٠ - مقالة في حل شكل من مجسمات اقليدس .
- ١١ - قول في استخراج ضلع المكعب .
- ١٢ - قول في استخراج ضلع السبيع .
- ١٣ - قول في مسألة عددية .
- ١٤ - مقالة في حساب الخطأين .
- ١٥ - مقالة في علل الحساب الهندى .
- ١٦ - مقالة في أعمدة المثلثات .
- ١٧ - مقالة في خواص الدوائر .
- ١٨ - مقالة في شكل بنى موسى .
- ١٩ - مقالة في عمل مخمس في مربع .
- ٢٠ - مقالة في عمل السبيع في دائرة .
- ٢١ - قول في مسألة عددية مجسمة .
- ٢٢ - قول في مسألة هندسية .
- ٢٣ - مقالة في أعظم الخطوط التي تقع في قطعة الدائرة .
- ٢٤ - كتاب الجامع في أصول الحساب .

٢٥ - مقالة في استخراج ما بين بلدين في البعد بجهة الأمام —
الهندسية . وغيرها ^(١) .

ثانيا : علم الضوء ، أو علم المناظر ^(٢) " البصريات " :

يعتبر ابن الهيثم المؤسس الأول لعلم الضوء على أصوله العلمية ، وله عدة مؤلفات في علم الضوء منها :

- ١ - مقالة في المرايا المحرقة بالقطوع .
- ٢ - مقالة في المرايا المحرقة بالدائرة .
- ٣ - مقالة في اختلاف النظر .
- ٤ - مقالة في الضوء .
- ٥ - كتاب في " المناظر " ^(٣) ، وغير ذلك .

ويعتبر كتاب " المناظر " من أهم المؤلفات التي ألفها في علم الضوء ، حيث إنه جمع في هذا الكتاب جميع المعلومات المشتتة في علم الضوء ، وأعاد تحقيقها وتصحيحها حتى أرسى للعالم القاعدة الصلبة لعلم الضوء ^(٤) !

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، مرجع سابق ، ص ٥٥٤ ، ٥٦٠ .

(٢) علم المناظر : هو علم يتعرف منه أحوال المبصرات - في كميتها وكيفيتها - باعتبار قربها وبعد ها عن النظر ، واختلاف اشكالها وأوضاعها ، وما يتوسط بين الناظر والمبصرات ، وغلظته ورقته ، وعلل تلك الأمور . وفائدته : معرفة أحوال الأبصار ، وتفاوت المبصرات ، والوقوف على سبب الأغاليط الحسية الواقعة فيها . ويستعان بعلم المناظر على معرفة مساحة الأجرام البعيدة أنظر : طاش كبرى زادة : مفتاح السعادة ، ج ١ ص ٣٥٢ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، مرجع سابق ، ص ٥٥٤ ، ٥٦٠ .

(٤) بشار محمد سعيد قاسم ، علي يوسف فرخ ، الحسن بن الهيثم وأثره على مسيرة العلمية الحديثة ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

ثالثا : علم الفلك :

ساهم ابن الهيثم مع علماء المسلمين في إعطاء علم الفلك حقه من الدراسة والبحث، حيث إنه قد ألّف في علم الفلك ما يزيد على أربعة وعشرين مؤلفا، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

- ١ - مقالة في استخراج ارتفاع القطب .
- ٢ - هيئة العالم .
- ٣ - مقالة في أضواء الكواكب .
- ٤ - رسالة في الأعمار والأجل الكونية .
- ٥ - مقالة فيما يعرض من الاختلافات في ارتفاعات الكواكب .
- ٦ - مقالة في رؤية الكواكب .
- ٧ - مقالة في اختلاف منظر القمر .
- ٨ - مقالة في حركة القمر .
- ٩ - مقالة في الأثر الذي في القمر .
- ١٠ - مقالة في أبعاد الأجرام السماوية وأقدار أعظامها .
- ١١ - كتاب البرهان على ما يراه الفلكيون في أحكام النجوم .
- ١٢ - مقالة في صورة الكسوف .
- ١٣ - مقالة في كيفية الأرصاد .
- ١٤ - مقالة في التنبيه على مواضع الغلط في كيفية الرصد .
- ١٥ - مقالة في المجرة .
- ١٦ - مقالة في الرد على من خالفه في ماهية المجرة .
- ١٧ - مقالة في حل شكوك المقالة الأولى من كتاب المجسطي^(١) وغيرها .

رابعا : علم الطب :

ولابن الهيثم مؤلفات في الطب نذكر منها :

- ١ - مقالة في إبطال رأى من يرى أن العظام مركبة من أجزاء كل جزء منها لا جزء له .
- ٢ - رسالة في تأثير اللحن الموسيقية في النفوس الحيوانية .

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مرجع سابق، ص ٥٥، ٥٦٠.

٣ - كتاب تقويم الصناعة الطبية ^(١) .

ولابن الهيثم مقالات في الأدب منها :

١ - رسالة في صناعة الشعر .

٢ - كتاب صناعة الكتابة على أوضاع الأوائل وأصولهم .

٣ - مقالة في أدب الكتاب ^(٢) .

وله أيضا رسالة لطيفة في الأخلاق ^(٣) ، وكتاب في السياسة ^(٤) .

وفاته :

مرض ابن الهيثم في آخر أيامه بمرض الإسهال الدموي ، وكان كلما تناول شيئا من الأطعمة الممسكة قاءها ، فأيس من نفسه وقال : " ضاعت الهندسة ، وبطلت المعالجة وعلم الطب ، ولم يبق الاتسليم النفس الى خالقها وبارئها ^(٥) " . ثم وجه نفسه الى القبلة بعد ما عانا الإسهال بأسبوع وقال : " اليك المرجع والمصير يا رب ، عليك توكلت وإليك أنبت ^(٦) " . ثم فاضت روح ابن الهيثم الى بارئها في عام ٤٣٠ هـ بمصر .

وقد كانت حياة ابن الهيثم مليئة بالبحث والسعى في طلب العلم ، وكان من العلماء المسلمين البارزين الذين كان لهم الباع الكبير في وضع الكثير من القوانين والنظريات العلمية التي أصبحت فيما بعد نبراسا يهتدى به العلماء وطلاب العلم .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء في طبقات الأطباء ، مرجع سابق ، ص ٥٥٧ ، ٥٥٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٦٠ .

(٣) ظهير الدين البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .

وانظر : ابن أبي أصيبعة : ص ٥٦٠ .

(٤) ابن أبي أصيبعة ، المرجع السابق ، ص ٥٦٠ .

(٥) ظهير الدين البيهقي ، المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٦) المرجع السابق ، نفس المكان .

ثانيا : آثار عامة في المجال الحضارى :

لإلتزام بالعقيدة الإسلامية في المجال الحضارى مظاهر حضارية كثيرة ورائعة في كافة مجالات الحياة ، وسوف يقتصر الباحث على إبراز بعض المظاهر المادية في الحضارة الإسلامية ، وذلك لإيضاح تأثير القيم الأخلاقية المستمدة من العقيدة الإسلامية على الجوانب المادية من الحضارة الإسلامية .

١ : الإهتمام بالزراعة :

الإنسان كائن حي ، يحتاج دائما إلى توفر الحاجات التي تكفل له استمرار حياته في هذه الدنيا ، وأهم شيء يكفل له بقاؤه حيا هو توفر الماء والغذاء له لذلك نجد الإنسان منذ دخوله حقبة التاريخ أخذ يبحث عن الأماكن التي تصلح للزراعة ، لكي يوفر لنفسه الغذاء الذي يضمن له البقاء بعد الله سبحانه وتعالى . فالإهتمام بالزراعة أمراً طبيعياً وحيوياً من قبل الإنسان .

والعقيدة الإسلامية كما نعلم تحت معتنقيها دائما على إشباع حاجاتهم الفطرية - باتزان - وذلك لكي يستطيعوا أن يقوموا بالمهمة المنوطة بهم ، وهى الإستخلاف وعمار الأرض وفق المنهج الربانى ، فهى توجه معتنقيها - ضمن - توجيهاتها المتعددة في جميع المجالات - إلى الإهتمام بالزراعة ، وكذلك إلى الإهتمام باستصلاح الأرض الموات ، لأن إستصلاح الأراضى هو الأساس للتقدم الزراعى ، فقد قال صلى الله عليه وسلم :

(ما من مسلم يفرس غرسا أو يزرع زرا فياكل منه طير أو إنسان
أو بهيمة إلا كان له به صدقة)^(١) .

وقال صلى الله عليه وسلم

(من أعمار أرضا ليست لأحد فهو أحق)^(٢) .

(١) أحمد بن على بن حجر العسقلانى : فتح البارى ، مرجع ، ج ٣ ص ٣ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١٨ ص ١٨ .

وفي رواية (من أحيا أرضاً ميتة فهو لها نبي) (١) .

ونتيجة لهذه التعاليم الإسلامية التي جاءت موافقة لتلبية حاجة أساسية لدى الإنسان ، إهتم المسلمون بالجانب الزراعي إهتماماً كبيراً ، فبعد أن أستقرت الدولة الإسلامية بعد عملية الفتح ، وجه خلفاء الدولة الإسلامية عنايتهم إلى تشجيع الزراعة ، فأمروا بشق الترع وحفر القنوات وبناء السدود ، وإقامة الجسور في جميع أنحاء الدولة الإسلامية ، وكذلك شجعوا على إستصلاح الأراضي الزراعية التي تركها أصحابها ، والتي كانت في المناطق التي كانت خاضعة للدولتين الفارسية والبيزنطية ، حيث أن الزراعة كانت مهمة في المناطق التابعة لهاتين الدولتين بسبب الضرائب التي كانت تفرض على المزارعين (٢) . وعند ما آلت بعض المناطق التي كانت تابعة للفرس أو البيزنطيين إلى الدولة الإسلامية ، إهتم بها الخلفاء إهتماماً كبيراً كعادتهم في أى منطقة تخضع لسيطرتهم ، حيث أن المسلمين كانوا عند ما يفتحون أى منطقة فإنهم يهتمون بشيئين في آن واحد ، هما بناء المسجد وتنظيم الحقل (٣) .

ونتيجة لهذا الإهتمام من قبل الدولة الإسلامية بالجوانب الزراعية ، ونتيجة للسياسة الزراعية التي اتبعتها الدولة الإسلامية الناتجة من تعاليم العقيدة الإسلامية ، بدأت صفحة جديدة في الميدان الزراعي ، أسوة بما حدث في مختلف ميادين الحياة ، حيث أن الزراعة أصبحت علماً له أصوله وقواعده ، وأصبح لها علماء متخصصون ، وظهرت لها عدة مؤلفات .

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،

مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٨٠ .

(٢) محمد إبراهيم الصبحي : التجارة والاقتصاد عند العرب ، القاهرة ، مكتبة

الوحي ، ١٩٦٩ م ، ط ١ ، ص ٩٥٨ .

(٣) أنور الرفاعي : النظم الإسلامية ، م ، دار الفكر ، ط ١ ، ص ٢٣٥ .

ومن أشهر علماء الزراعة :

١ - أبو بكر أحمد بن وحشية :

يعتبر من أوائل من أهتم بعلم الزراعة ، وهو من علماء القرن الثالث الهجري ، وله كتاب (الفلاحة النبطية)^(١) . وقد أوضح ابن وحشية غرضه من تأليف كتابه (الفلاحة النبطية) بقوله في مقدمة الكتاب : " أنه يكتبه بقصد صلاح الأرض وإصلاح الزروع والشجر والثمار وعلاج آفاتهما " ^(٢) . وهذا نابع عن تمسكه بعقيدته الإسلامية التي تحثه على مثل هذا العمل التعبدى . وقد قسم ابن وحشية كتابه هذا إلى عدة أبواب ، في ذكر خواص الزيتون واستنباط المياه ، وكيفية حفر الآبار ، والإحتيال فى زيادة ماء البئر ، وصفة إطلاع الماء من عمق بعيد ، وصفة افلاح التلقيح وزرعه وغرسه ، ثم يبين فى كتابه مختلف أنواع النبات وكيفية زرعها ورثها وتسميدها ، ثم يبين كيفية عمل البيادر وخزن الحنطة ، ويبين أيضا أوقات الزرع ومعرفة الأهوية .^(٣)

٢ - أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الاشبيلي :

يعتبر من أشهر من كتب فى علم الزراعة ، وهو من علماء القرن السادس الهجري ، وله كتاب (الفلاحة الأندلسية)^(٤) ، ويقع كتاب ابن العوام هذا فى أربعة وثلاثين فصلا ، تبحث الفصول الثلاثون الأولى منها فى الفلاحة بينما تبحث الفصول الأربعة الأخيرة فى تربية الماشية . وقد أكد ابن العوام أنه لم يثبت فى كتابه إلا ما جرّبه مرارا فصحا ، وهذا إن دل على شىء فانما يدل على تحريره الإلتقان فى العمل ،

(١) حكمت نجيب عبد الرحمن : دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ، وزارة

التعليم العالى والبحث العلمى ، جامعة الموصل ، ١٩٨٥م ، ط ٤ ، ص ٣٣٥ .

(٢) أحمد فؤاد باشا : التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ

العلم والحضارة ، ج ٣ . م . ع ، دار المعارف ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٤٣ .

(٣) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٤) حكمت نجيب عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ٣٣٥ .

وكذلك ذكر في كتابه المصادر التي استقى منها ^(١) وهذا أيضا دليل أمانته العلمية، وكل هذا بالطبع ناتج عن تمسكه بالعقيدة الإسلامية .

وتحدث ابن العوام في كتابه المذكور عن معرفة نوع الأرض، وذكر السواد دليل الحرارة وكذلك الحمرة، إلا أن حرارة الحمرة أقل من السوداء، ثم يتلوها الصفرة، ويقول إن أنت مارست الطين بيدك فأصبتة شبيهها بالشمع يلصق شديدا فاعلم أنها أرض غير موافقة للبقول، وذكر أن أجود الأرض البنفسجية، ثم شديدة الغبرة لأن فيها تخلخل (مسامية) وطعم ترابها عذب (أى خالية من الأملاح) .

وتحدث أيضا عن أنواع الأسمدة البلدية وكيفية استعمال الأزبال في الشجر والخضر، وعن أنواع المياه المستعملة في سقى الأشجار والخضر، ويبين أنه يستدل على قرب الماء بأنواع النبات وطعمه وبلون وجه الأرض، ثم يصف ابن العوام في كتابه عملية تذكير الأشجار، ويتحدث عن الأشجار المتحابة والمتنافرة، ويوصي في غرس البساتين ألا يكون غرس الأشجار غرسا مختلطا، بل ينبغي أن تكون الفرج التي بين الغرس على قدر طبع الأرض وقوتها .

ويقول في أوقات الغرس أنها تختلف على قدر اختلاف البلدان والأمم أو الربيع أو الخريف، ويقول أيضا : ولا تأخذ من الغرس إلا ما يلي الشمس فهي تحره وتدبغه، وكلما أحرته الشمس فهو أجود، ولا تأخذ غرسا أبدا من ناحية الشمال وما جاوز الشمال فانه ظليل قليل الحمل قليل التعلق، وينبغي أن تأخذ الأفصان من أعلى الشجرة، ومن أكثر الأشجار حملا وأطيبها طعما، فان المؤونة والنفقه في غرس النوع الجيد وعمارته والردىء فسواء ففراصة الجيد أولى ^(٢) .

وهكذا نرى كتاب ابن العوام الشبيلي يعالج مختلف العلوم الزراعية بأسلوب

(١) أحمد فؤاد باشا : التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ

العلم والحضارة، مرجع سابق، ص ١٤٤ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

علمي جيد ومنهج تجريبي بسيط .

وقد تحدث بعض الكتاب الأجانب عن قيمة وأهمية كتاب ابن العوام ، فقد قال عنه " انطون باسي " في تقرير له قدمه سنة ١٨٥٩ م الى الجمعية الوطنية الزراعية الفرنسية : " ليست قيمة كتاب ابن العوام في أنه يحوى الفنون الزراعية القديمة التي كانت تمارس في الأندلس فحسب ، بل له قيمة ثابتة هي الكشف عن ملاحظات المسلمين - في الطبيعة والكيمياء ^(١) .

وقال عنه اليهودي " ول ديورانت " : " ان كتاب الفلاحة لابن العوام الاشبيلي كان اكمل بحث في علم الزراعة ألف في القرون الوسطى برمتها ^(٢) .

أما الحاصلات والانتاج الزراعى فى أرجاء الدولة الإسلامية ، فقد تعددت وذلك لتباين أقاليم الدولة الإسلامية فى التربة ، والمناخ ، والرى .

ففى بلاد المغرب اشتهرت زراعة الزيتون ، كما زرعت كثير من أنواع الفواكه كالعنب والخوخ والفرسك ، والكروم والكمثرى ، والسفرجل المعلىق ، والأترج ، وزرعت من الحبوب القمح والشعير والكمون . وزرعت من المكسرات الجوز واللوز ، وزرعت من الألياف القطن والكتان ، كما زرعت البقول والجزر والكرابيا والعصفر ^(٣) .

وفى مصر زرع من الحبوب القمح والشعير والأرز ، ومن الفواكه الموز وقصب السكر والعناب ، والتخيل ، ومن الألياف زرع الكتان والقطن ^(٤) .

وفى بلاد الشام زرعت من الحبوب القمح ، والشعير ، ومن الفواكه الحمضيات ،

(١) نقلا عن : زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الإسلامية والعوية على العالم ،

القاهرة ، دار نهضة مصر ، د . ت . د . ط ، ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٢) نقلا عن : أحمد فؤاد باشا : التراث العلمى للحضارة الإسلامية . . . ،

مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

(٣) أبى القاسم بن حوقل النصيبى : صورة الأرض ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ،

١٩٧٩ م ، ط ، ص ٧١ - ٩٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣٤ - ١٤٨ .

والكروم ، والرمان ، وقصب السكر ، ومن المكسرات زرعت الجوز ، واللوز ، والفستق ،
كما اشتهرت بلاد الشام برزاعة الزيتون خاصة في فلسطين .^(١)

أما العراق فقد اشتهرت بزراعة التمور ، كما زرعت من الحبوب القمح ، والشعير ،
والأرز ، والسسم ، ومن الفواكة الرمان ، والأترج ، والكروم ، ومن المكسرات الجوز
واللوز ، وكذلك زرع في العراق القطن والزيتون .^(٢)

وفي خوزستان زرعت من الحبوب القمح ، والشعير ، والأرز ، وكذلك زرعت التمور
وقصب السكر ، والفول .^(٣)

وفي فارس زرعت التمور ، والكروم ، والزيتون ، والتفاح ، والجوز ، والأترج .^(٤)
وفي أرمينية وآذربيجان والراين ، زرعت من الحبوب القمح ، ومن الفواكة العنب ،
ومن المكسرات الجوز والبندق .^(٥)

وفي خراسان وسجستان ، زرعت التمور ، والكروم ، والقطن ، والأرز .^(٦)
هذه بعض المحاصيل الزراعية التي زرعت في بعض أقاليم الدولة الإسلامية
في زمن الدولة الإسلامية ، أو في زمن الخلافتين الأموية والعباسية ، والتي
استعرضناها كظهور من مظاهر الحضارة الإسلامية لدى المسلمين عندما كانوا
متسكين بالعقيدة الإسلامية ، التي كانت هي الدافع لهم في كل نشاط هادف
يقومون به .

ولكن لا بد لنا بعد أن أوضحنا الجانب المادي من النشاط الزراعي أن نوضح
القيم الإسلامية الملازمة لهذا النشاط الزراعي الذي يقوم به المزارع المسلم .

(١) أبي القاسم بن حوقل النصيبى : صورة الأرض ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ - ١٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩١ - ٢١٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٣٩ ، ٢٥٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣٠٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٣٤٥ - ٣٦٨ .

لأن أى نشاط زراعى مادى يمكن أن تقوم به أى حضارة إذا طبقت القوانين الطبيعية للزراعة، ولكن النشاط الزراعى فى الحضارة الإسلامية نشاط مادى متميز حيث إنه مقيد بقيم إسلامية نابعة من العقيدة الإسلامية، فهو بذلك نشاط خيرٌ وهادف .

فالمزارع المسلم عندما يقوم بنشاطه الزراعى يقوم به وهو يهدف من وراءه منفعة نفسه ومنفعة بنى البشر من جنسه، ومنفعة الحيوان والطيور، مسترشداً فى ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم :

(ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان
أوسهيمة إلا كان له به صدقة ^(١)) .

فهو بعمله هذا يعبد الله سبحانه وتعالى، لأن نشاطه الزراعى الذى يقوم به نشاط خيرٌ فهو بذلك نشاط تعبدى، وكذلك فإنه مأجور على هذا العمل فى الدنيا والآخرة، مأجور فى الدنيا بما يأخذه من مال مقابل زراعته، ومأجور فى الآخرة بالشواب من عند الله، لأنه أفاد مخلوقات كثيرة بنشاطه الزراعى الخير .

وكذلك فإن المزارع المسلم يمارس نشاطه الزراعى وهو متوكل على الله سبحانه وتعالى فى عمله، والتوكل على الله فى جميع الأمور من أفضل أنواع العبادات القلبية التى يتقرب بها العبد الى الله سبحانه وتعالى، فهو يقوم بفعل الأسباب من حراثته وبذر للبذور وسقى، ويتوكل فى الباقي على الله سبحانه وتعالى، مسترشداً فى ذلك بقوله تعالى :

« أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ۚ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ^(٢) »

فهو قام بفعل الأسباب ولم يتواكل .

وكذلك فإن المزارع المسلم عضوٌ فعالاً فى تدعيم التكافل الاجتماعى فى المجتمع

(١) أحمد بن على بن حجر العسقلانى : فتح البارى، مرجع سابق، ج ٥ ص ٣ .

(٢) سورة الواقعة، آية : ٦٣، ٦٤ .

الإسلامي ، فهو يقوم بأداء ركن أساسي من أركان الإسلام - الزكاة - للمستحقين في المجتمع الإسلامي ، فأول شيء يعمل به المزارع المسلم بعد الحصاد هو إخراج الزكاة التي فرضها الله عليه بنفس راضية مطمئنة ، لأن العقيدة الإسلامية التي يعتنقها المزارع المسلم وينفذ تعاليمها كانت عادلة في وضع القواعد التي يسير عليها المزارع المسلم في إخراج زكاة الحبوب والثمار التي يزرعها . فهي قد راعت عدة أمور عند تحديد مقدار الزكاة ، فالمزارع التي تعتمد على ماء المطر في ريها لها مقدار معين من الزكاة متى توفرت شروط إخراج الزكاة ، وكذلك المزارع التي تعتمد في ريها على الماء المجلوب لها من الآبار والعيون عن طريق الدواب والآلات لها مقدار معين من الزكاة أقل من مقدار الزكاة الذي يؤخذ من المزارع التي تعتمد في ريها على ماء المطر ، وأيضا المزارع التي تعتمد في ريها على ماء المطر وعلى الماء المجلوب لها من الآبار والعيون عن طريق الدواب والآلات مقدار الزكاة الذي يؤخذ منها يختلف عن مقدار الزكاة الذي يؤخذ من المزارع التي تعتمد في ريها على ماء المطر ، والمزارع التي تعتمد في ريها على الماء المجلوب لها عن طريق الدواب والآلات (١) . وهذه القواعد المتبعة في إخراج زكاة الحبوب والثمار جعلت المزارع المسلم يشعر بالعدل والرحمة في ظل هذه العقيدة الربانية .

وكذلك فإن المزارع المسلم ملتزم بالأخلاق الإسلامية ، فهو لا يقوم بزراعة المزروعات التي تضر بالإنسان ، لأن عمله عبادة يتقرب به إلى الله ، فإذا زرع مزروعات تضر بالإنسان فإن نشاطه الذي قام به لزراعة هذه المزروعات المضرة نشاط غير خير ، فهو يوثم عليه ، وكذلك فإن تشريعات عقيدته الإسلامية توجب على ولي أمر المسلمين أن يقيم عليه العقوبة الدنيوية في الدنيا ، وسوف يجد كذلك حساباً

(١) منصور بن يونس البهوتي : الروض المربع بشرح زاد المستنقع ، تصحيح

ومراجعة أحمد وعلى شاكر ، القاهرة ، دار التراث ، د . ت . د . ط ، ص

عند الله في الآخرة . لذلك لم يذكر التاريخ أن المسلمين قاموا بزراعة المخدرات كالحنشيش والأفيون والمروانة والكوكائين والهرويين لأغراض تجارية . ولم يذكر في التاريخ أيضا أن المسلمين قاموا باتلاف المحاصيل الزراعية في البحار والمحيطات لكي يحافظوا على سعر المحصولات الزراعية . وهذا بالطبع ناتج عن تمسك المزارعين المسلمين بعقيدتهم الإسلامية التي لا تقر مثل هذه الأعمال .

معطيات المسلمين الزراعية :

من معطيات المسلمين الزراعية ، أنهم درسوا صلاحية كل تربة لأنواع النباتات وهذا أدى إلى إستغلال الأراضي الزراعية للإستغلال الأمثل^(١) ، حتى إن المسلمين استطاعوا بجهودهم العلمية المبذولة في مجال الزراعة أن يستفيدوا من المرتفعات وسفوح الجبال التي ما كان أحد يظن أنها يستفاد منها في المجال الزراعي ، وذلك لطبيعة أرضها ولجفافها الدائم^(٢) .

كما أن المسلمين أفادوا غيرهم - ممن لا يعرفون أساليب زراعة بعض أنواع النباتات - بتعليمهم طرق زراعة التفاح والخوخ واللوز والشمش والبرتقال والموز والنخيل وقصب السكر والبطيخ^(٣) .

كذلك اهتم المسلمون بدراسة الأسمدة ، وعرفوا السماد الصالح لكل نوع من النباتات ، كما عرفوا طريقة التلقيح الزراعي لبعض النباتات كالكروم والتين ، كما أبدعوا في عملية تلقيح بعض الأشجار من بعض فاستخرجوا أصنافا جديدة^(٤) ، من الشارلها مميزات خاصة تتميز بها عن مثيلاتها .

(١) أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة

وهبة ، ١٩٨٦م ، ط ٥ ، ص ٣٠٠ .

(٢) زيفريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون ،

كمال دسوقي ، بيروت ، دار الافاق الجديدة ، ١٤٠٦ هـ ، ط ٨ ، ص ٤٩٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٩٧ .

(٤) أبو زيد شلبي : المرجع السابق ، ص ٣٠١ .

ومن معطيات المسلمين الزراعية أيضا أنهم أدخلوا إلى دول أوروبا وخاصة أسبانيا نباتات لم تكن معروفة لدى الأوروبيون كالأرز وقصب السكر والزيتون والمشمش (١) وبفضل جهود المسلمين العلمية في المجال الزراعي ، كانت أراضي الدولة الإسلامية في الأندلس تنتج ثلاثة أو أربعة مواسم كل عام (٢) .

ج : العناية باقامة الصناعات :

كان المشهور والمتعارف عند العرب قبل الإسلام هو كراهية العمل في الصناعات اليدوية واحتقارها ، واحتقار من يعمل فيها ، لدرجة أنهم كانوا لا يتزوجون منهم ولا يزوجونهم . وكان السبب في كراهيتهم للعمل في الصناعات اليدوية هو أن الذين كانوا يمارسون العمل في هذه الصناعات اليدوية فئة من العبيد ، فاحتقارهم للصناعات اليدوية يعود إلى هوان شأن الذين كانوا يعملون بها (٣) . وبعد أن بزغ نور العقيدة الإسلامية ، التي جاءت هادية وموجهة لجميع نواحي الحياة ، كان لها الدور الملحوظ في تحطيم هذا الإرث الثقافي الخاطيء . ولقد لفت القرآن الكريم الأنظار لعدة صناعات ، فقال تعالى :

« وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ » (٤) .

وقال تعالى :

« ... وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ .. » (٥) .

-
- (١) أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية ... ، مرجع سابق ، ص ٣٠١ .
 (٢) زيفريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، مرجع سابق ، ص ٤٩٧ .
 (٣) سعيد اسماعيل على : معاهد التربية الإسلامية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٦ م ، د . ط ، ص ٥٦٨ - ٥٦٩ .
 (٤) سورة النحل ، آية : ٨٠ .
 (٥) سورة النحل ، آية : ٨١ .

وقال تعالى :

« وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (١)

كما وجه القرآن أنظار المسلمين إلى أهمية الحديد ، فقال تعالى :

« وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ » (٢)

وكذلك رغب النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الأعمال اليدوية ، فقال عليه

أفضل الصلاة والسلام :

(ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده ، ولئن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) (٣)

بهذه الإرشادات الربانية وبهذا الترغيب النبوي ، استطاعت العقيدة الإسلامية أن تحطم الإرث الثقافي الذي كان متعارفا عليه عند العرب ، وغيرهم قبل الإسلام . والغاية واضحة من كل هذه التوجيهات ، وهى أن يستغل المسلم جميع الأشياء التى سخرها الله له فى الأرض لاستغلال الخير ، وأن ينتفع بجميع قوى الطبيعة المودعة فى هذا الكون ، وخيراتها وخزائنها المبتوثة فيها ، واستخدامها للإستخدام الأمثل ، لكي يقوم بعمارة الأرض وفق المنهج الربانى من غير علوفى الأرض ولا فساد . (٤)

وكذلك فإن المسلم تطالبه عقيدته الإسلامية ، أن ينتفع بكل ما خلق الله وأودع فى الكون من قوة فى سبيل الجهاد فى سبيل الله ، وفى نشر دين الإسلام وإظهاره على جميع الأديان ، وإعلاء كلمته ، وفيما أباح الله له ورغبه فيه من تجارة مشروعة ،

(١) سورة النحل ، آية : ١٤ .

(٢) سورة الحديد ، آية : ٢٥ .

(٣) رواه البخارى .

(٤) أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، الكويت ، دار

القلم ، ١٣٩٣ هـ ، ط . ١٠ ، ص ٢٣٣ هـ ٢٣٤ .

وصناعة مشروعة ، ومنافع مباحة ، وفي خدمة البشرية عامة . (١)

ومن المؤكد أن ما شهدته الصناعات الإسلامية من إزدهار ، إنما كان بفضل تقدم العلوم العقلية لدى المسلمين ، لأن الانتفاع بما أودع الله في الكون لن يتم بدون علم ، قال تعالى :

« هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ » (٢)

فهل يستطيع الإنسان أن يمشى بغير علم ؟ أو يستطيع أن يأكل من رزق الله

بغير علم ؟ . وقال تعالى :

« وَأَعِذُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ » (٣)

وهل يستطيع المسلمون أن يصنعوا السلاح بدون علم ؟ . قال تعالى :

« وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ » (٤)

فهل يتحقق التسخير بغير علم ؟ أم يحتاج تحقيق التسخير إلى جهد علمي ؟ (٥)

لذلك نجد أن المسلمين أول ما أهتموا به في بداية نهضتهم العلمية والحضارية هو طلب العلم ، ومن ثم فإن جميع ما تحقق لديهم من نهضة علمية وحضارية في جميع المجالات ، إنما هو نتيجة طبيعية للإهتمام بطلب العلم والعمل به .

وقد أعتنى خلفاء الدولة الإسلامية بالصناعة عناية كبيرة ، فشجعوا على استخراج الثروات المعدنية على اختلاف أنواعها . فاستخرجت الفضة والنحاس والرصاص والحديد من مناجم فارس وخراسان وبيروت ، كما استخرج المرمر من تبريز

(١) أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، مرجع سابق

سابق ، ص ٢٣٥ .

(٢) سورة الملوك ، آية : ١٥ .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ٦٠ .

(٤) سورة الجاثية ، آية : ١٣ .

(٥) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٩٣ .

والملح والكبريت من شمال فارس .^(١)

وقد تعددت أنواع الصناعات التي ازدهرت في العالم الاسلامي من نسيج وسجاد وزجاج ومعادن وجلود وغير ذلك . واستطاع المسلمون أن يطوروا بعض الأساليب الصناعية القديمة ، بل إنهم لم يكتفوا بذلك بل ابتكروا أساليب جديدة في شتى فروع الصناعات ، حتى أنهم إختصوا في فترة من الزمن ببعض الصناعات كصناعة السجاد والتجليد .^(٢)

ومن أشهر الصناعات التي لاقت عناية من قبل المسلمين وبرزت خلال القرون الأربعة الأولى :

٢ - صناعة النسيج :

من الصناعات التي حظيت بعناية خاصة في العالم الاسلامي صناعة النسيج ، حيث بدأت العناية بصناعة النسيج في العصر الأموي ، ثم ارتقت بعد ذلك وتقدمت تقدما سريعا في الدولة العباسية .^(٣) وكان المسلمون ينشئون مصانع النسيج أينما ذهبوا ، حتى أصبحوا زعماء تجارة المنسوجات في العالم خلال القرون الوسطى^(٤) وقد أنتجت مصانع النسيج في العالم الاسلامي أنواعا مختلفة من النسيج كالمنسوجات الصوفية والكثانية والقطنية والحريرية .^(٥) وكانت تصنع من هذه المنسوجات أنواعا كثيرة من الملابس ، كالقمصان

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، القاهرة ، مكتبة النهضة

المصرية ، ١٩٦٧ م ، ج ٤ ، ص ٣٩١ .

(٢) حسن الباشا : مدخل الى الآثار الاسلامية ، مصر ، دار النهضة المصرية ،

١٩٧٩ م ، د . ط ، ص ٣٣٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

(٤) انور الرفاعي : النظم الاسلامية ، د . م ، دار الفكر ، د . ت ، د . ط ، ص ٢٥٦ .

(٥) حسن الباشا ، المرجع السابق ، ص ٣٤٩ .

والعباءات والجيب والعمائم والمآزر والأبراد ، وملابس النساء وجلابيبهن^(١) .

وقد نسبت بعض المنسوجات إلى المدن التي صنعت فيها (كالدامسكوا) نسبة إلى دمشق ، و (الموسلين) نسبة إلى الموصل ، و (والبلدكين) نسبة إلى بغداد و (الديبقي) نسبة إلى ديبقي^(٢) . وقد حافظت هذه المنسوجات على أسمائها حتى عندما نقلت صناعتها إلى فرنسا وأوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي^(٣) .

ومن أهم مراكز صناعة النسيج في العالم الإسلامي - في تلك الفترة - مصر و٢٩
٢٠
٢١ إيران والعراق والشام والأندلس وصقلية^(٤) .

وقد بلغ من إنتشار صناعة النسيج في الأندلس أن عدد الحائكين قدّر في قرطبة وحدها بنحو (١٣٠٠٠) ثلاثة عشر ألف حائك^(٥) . وأن عدد مصانع النسيج في مدينة المرية ثمانمائة مصنع لنسج الحرير الفاخر^(٦) .

وقد ابتكر المسلمون أنسجة جديدة ، ناتجة من خلط الصوف بالقطن ، أو خلط القطن بالكثان ، أو خلط الحرير بالقطن ، فنشأ عن ذلك الخلط أنسجة جديدة عرفت بالدبياج والخمز^(٧) .

وصناعة النسيج في الإسلام نشاط هادف ، ليسد حاجة إنسانية ضرورية .

(١) انور الرفاعي : النظم الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٥٧ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام .. ، مرجع سابق ، ١٩٦٥ م ، ط ٧ ،

ج ٣ ص ٣٢٢ .

(٣) جاك س. رسيلى : الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبدون ، القاهرة ، الدار المصرية ، د . ت . د . ط ، ص ١٨٧ .

(٤) حسن الباشا : مدخل الى الآثار الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٤٩ .

(٥) محمد ابراهيم الصيحي : أثر العرب في الحضارة الأوربية ، القاهرة ، مكتبة الوعي العربى ، ١٩٦٨ م ، د . ط ، ص ٧٦ .

(٦) سعيد اسماعيل على : معاهد التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥٨٤ .

(٧) احمد ابراهيم الشريف : دراسات في الحضارة الاسلامية ، د . م ، دار الفكر العربى ، ١٩٨١ م ، ط ٢ ، ص ٢٧١ .

قال تعالى : « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ » (١) .

وقال تعالى : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ .. » (٢) .

وكل نشاط هادف وخيرٌ يعتبر في الإسلام نشاط تعبدى ، وكل نشاط تعبدى مقيد بالقيم الخلقية المستمدة من تعاليم العقيدة الإسلامية .

فالمصنوعات النسيجية في الإسلام ينعكس عليها أثر التزام المسلمين القائمين عليها بالقيم الخلقية المستمدة من عقيدتهم الإسلامية . فاختيار الخامات الجيدة في الصناعة عمل أخلاقي تدفعهم إليه عقيدتهم الإسلامية ، وإتقان الصناعة عمل أخلاقي تدفعهم إليه عقيدتهم الإسلامية ، وصناعة الملابس التي تحقق فنى أغلبها قيم أخلاقية عمل أخلاقي تدفعهم إليه عقيدتهم الإسلامية .

ولم يذكر في التاريخ أن المسلمين في عصر نهضتهم قاموا بصناعة ملابس رديئة الخامة ، وغير متقنة ، أو قاموا بصناعة ملابس نسائية الهدف منها القضاء على القيم الخلقية التي يلتزم بها الناس ، أو لإثارة الشهوات والفرائز الجنسية . وهذا بعكس ما تقوم به الجاهليات المعاصرة ، فهي تقوم بإغراق الأسواق بملابس نسائية صنعت خصيصاً للقضاء على القيم الخلقية التي يلتزم بها الناس ، خاصة في بلاد المسلمين ، وإثارة الشهوات والفرائز الجنسية . لأن طبيعة لبس هذه الملابس تستوجب على من يريد لبسها أن يتخلى عن القيم الخلقية .

وللأسف الشديد نلاحظ أن الكثير من المسلمين قد استقطبوا هذه الصناعات واستخدموها وتفلتوا بكل سهولة من القيم الخلقية التي كانوا ملتزمين بها بحجة التطور ، حتى وإن الإنسان في زماننا هذا يندر أن يلاحظ في بعض الدول الإسلامية امرأة بجلباب ، لأن الجلباب أصبح في نظر غالبية المسلمين في تلك الدول لا يتناسب والتطور الحضارى الحاصل في القرن العشرين ، وهذا بالطبع عائد إلى عدم تفهم المسلمين لعقيدتهم الإسلامية خاصة من حيث الأمور الثابتة

(١) سورة الأعراف ، آية : ٣١ .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ٣٢ .

والمتطورة، وإلى تدنى مستوى التعليم الدينى ، وتدنى مستوى التربية الإسلامية أيضا فى تلك الدول ، بسبب الأنظمة السياسية القائمة فى تلك الدول ، والتي لا تعطى أهمية كبرى للتعليم الدينى والتربية الإسلامية .

ب - صناعة الورق :

اهتم المسلمون بصناعة الورق إهتماما كبيرا ، لما فيه من الفوائد الكبيرة التي تساعد على نشر العلوم فى سهولة ويسر .

وقبل إنتشار صناعة الورق كان الناس يكتبون على العصب واللخاف والعظام والجلود . وكان الثمن الغالى لهذه الأدوات التي كانت تستخدم للكتابة ، وعدم وفرتها بكميات كبيرة ، عائقا كبيرا فى نشر العلوم ^(١) .

وقد اقتبس المسلمون صناعة الورق من الصينيين ، واستعملوه فى الأغراض العلمية والأدبية ، ذلك أن الصينيين لم يستخدموا الورق فى الأغراض العلمية والأدبية ، بالرغم من معرفتهم لصناعته منذ أوائل القرن الثانى الميلادى ١٠٥ م ^(٢) . وأسس المسلمون أول مصنع لصناعة الورق فى عهد الرشيد فى بغداد ، ومن ثم انتشرت صناعة الورق فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ^(٣) فدخلت صناعته سوريا ومصر وشمالى أفريقيا وإسبانيا ^(٤) . وبذلك حرروا مادة الكتابة من احتكار بلد من البلدان له واستثثارها به وصيره رخيصا جدا ^(٥) .

(١) جلال مظهر : حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العالمى ، القاهرة ، مكتبة

الخانجى ، د . ت . د . ط . ص ٣٨٣ .

(٢) محمد ابراهيم الصيحي : اثر العرب فى الحضارة الأوروبية ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .

(٣) عز الدين فراخ : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ، د . م . د ار

الفكر العربى ، ٩٧٨ م ، د . ط . ص ٩٤ .

(٤) جلال مظهر : المرجع السابق ، ص ٣٨٣ .

(٥) آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد

عبد الهادى أبوريدة ، القاهرة ، لجنة التأليف والنشر ، ١٣٦٠ هـ ، د . ط .

ج ٢ ص ٣٠٨ .

ونتيجة لا انتشار صناعة الورق في جميع أنحاء العالم الاسلامي ، ورخص ثمنه ،
انتشر العلم والتعليم انتشارا واسعا وسهل على الناس ^(١) ، كما سهل
عليهم اقتناء الكتب ، فكثر بذلك الكتب وانتشرت المكتبات في كل مدينة من المدن
الاسلامية ، كما راجت أيضا تجارة الكتب نظرا لإقبال المسلمين بصفة عامة على العلم
الذي حثتهم عليه عقيدتهم الاسلامية .

وقد طوّر المسلمون صناعة الورق ، حيث إنهم نقوه مما كان يستعمل في صناعته
من ورق التوت ^(٢) ، واستغلوا الياف القطن الوفير جدا في بلاد ما بين النهرين ومصر
في صناعة الورق ^(٣) ، وبذلك تحسنت صناعة الورق ، وأخذت المصانع الاسلامية تنتج
نوعا ممتازا من الورق ، وهذا أدى بطبيعة الحال إلى تسهيل إنتاج الكتب ، حيث
إنه في أقل من قرن من الزمان انتشرت في جميع أنحاء العالم الاسلامي - من
قرطبة في الأندلس إلى سمرقند في الصين - مئات الآلاف من نسخ الكتب العلمية
والأدبية ^(٤) .

وتعتبر صناعة الورق من الصناعات الهادفة لدى المسلمين ، والهدف منها
هدف خير ، وهو نشر العلم وتسهيل الحصول عليه ، فالاشتغال بصناعة الورق
لهذه الغاية عمل تعبدي يؤجر عليه الصانع المسلم ، لأنه يقوم بنشاط خير ،
واستطاع علماء المسلمين أن يستخدموا الورق الاستخدام الأمثل ، فنقلوا عليه
معظم الكتب الثمينة ^(٥) ، واستخدموه في نشر العلم ، وكانت تحكمهم القيم الخلقية

(١) احمد الشريف : دراسات في الحضارة الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٧٢ .
(٢) آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، مرجع سابق ،
ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٣) جاك س . رسيبلر : الحضارة العربية ، مرجع سابق ، ص ١٨٥ .
(٤) جلال مظهر : حضارة الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٨٣ .
(٥) محمد ابراهيم الصيحي : التجارة والاقتصاد عند العرب ، القاهرة ، الوعي

العربي ، ١٩٦٩ م ، د . ط ، ص ٣٢ .

حتى فى نشر العلوم ، فهم لم يستخدموه فى نشر العلوم المحرمة ، ولم يستخدموه فى نشر الأفكار الهدامة ، ولم يستخدموه فى نشر القصص الغرامية ، ولم يستخدموه فى عرض الأجساد العارية عليه لا ثارة الغرائز الجنسية لدى الناس ، ولم يستخدموه لعرض الأزياء التى يتوجب على من يستخدمها أن يتخلى عن القيم الخلقية ، وكل هذا ناتج عن تمسكهم بعقيدتهم الإسلامية التى داعما تدفعهم الى كل عمل خير وتنهاهم عن كل شر . كذلك فان المسلمين لم يخلوا على غيرهم فى تعليمهم تقنيات هذه الصناعة ، لأنهم يريدون الخير لجميع أفراد المجتمع البشرى ، وهذا عمل فى غاية النبل وفى غاية الأخلاق ، وهو بعكس ما هو موجود اليوم لدى من يدعون أنهم أهل حضارة وتقدم ، ومن يدعون أنهم يريدون أن ينشروا الخير للإنسانية ، فمعظم الدول المتقدمة صناعيا اليوم ، تحتكر تقنيات الصناعات المهمة ولا تسمح لأحد بالاطلاع عليها ، لأنها تريد ان تستعبد البشر وتستغل ثرواتهم بأبشع صورة ، وهذا بالطبع ناتج عن كفرهم وعدم التزامهم بقيم أخلاقية ثابتة .

- صناعة المعادن :

تميزت أراضي الدولة الإسلامية بوفرة المعادن ، حيث إنها تعتبر من أغنى الأراضي فى العالم بالمعادن ، قدينا وحديثا .

وقد اعتنى خلفاء الدولة الإسلامية باستخراج المعادن وتصنيعها عناية كبيرة ، فشجعوا على استخراج الثروات المعدنية ، وذلك بدافع من عقيدتهم الإسلامية التى دفعتهم لاستغلال جميع الخيرات التى سخرها الله لهم فى الأرض .

وقد أحسن المسلمون الاستفادة من ثرواتهم المعدنية المختلفة ، وأتقنوا الكثير من الصناعات المعدنية واشتهروا بها^(١) فاستخرجوا الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد من مناجم المغرب ومصر والسودان والشام والحجاز وفارس

(١) أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٦ م ،

وخراسان كما استخرجوا المرمر من تبريز والكبريت من شمال فارس^(١)، واللؤلؤ من البحرين وعمان^(٢).

ونتيجة لتعدد أنواع المعادن المستخرجة من أراضي الدولة الإسلامية تعددت بذلك الصناعات المعدنية إلى عدة أنواع، ومن أبرز هذه الصناعات المعدنية :

١ - صناعة الأسلحة :

ومن أشهر الأسلحة التي اهتم المسلمون بصناعتها في القرون الإسلامية الأولى هي السيوف، والخوذات، والدروع، والتروس، والخناجر^(٣). وقد أعتنى المسلمون بصناعة الأسلحة واعتناءً كبيراً، لتنفيذاً لأمر ربهم، قال تعالى :

« وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ... »^(٤)

وذلك لكي يزيلوا جميع الطواغيت من جميع الأرض، ولكي يخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .

وهذا لا يعني أنهم يكرهون الناس على اعتناق العقيدة الإسلامية، بل يعني أنهم يجعلون الناس أحراراً فيما يختارون من العقائد، وذلك بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة التي كانت تضغط على الناس وتجبرهم على اعتناق عقائد معينة^(٥)، وبعد شرح العقيدة الإسلامية لهم، فإن اختاروها فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وإن لم يختاروها فإنهم يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وتكون الحاكمة في مناطقهم لله سبحانه وتعالى .

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٩١ .

(٢) أنور الرفاعي : النظم الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٥١ .

(٣) حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٠١ .

(٤) سورة الأنفال، آية : ٦٠ .

(٥) سيد قطب : في ظلال القرآن، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٢ هـ .

ط ١، المجلد ٣، ص ١٤٣٢، ١٤٣٣ .

وكذلك فإن قيام مملكة الله فى الأرض، وإزالة مملكة البشر، وانتزاع السلطان من أيدي مفتصبيه من العباد ورده إلى الله وحده، وسيادة الشريعة الإلهية وحدها وإلغاء القوانين البشرية^(١)، وتأمين الذين اختاروا العقيدة الإسلامية، وإرهاب أعداء العقيدة الإسلامية لكي لا يفكروا فى الاعتداء على دار السلام، ولكي لا يفكروا فى الوقوف^{وبه} فى المد الإسلامى وهو ينطلق لتحرير (الإنسان) كله فى (الأرض) كلها^(٢)، كل ذلك لا يتم إلا عن طريق الجهاد المسلح. لذلك أهتم المسلمون فى عهد الدولة الإسلامية - فى القرون الأولى - بصناعة الأسلحة .

وصناعة الأسلحة نشاط بشرى يقوم به أى إنسان فى أى حضارة، ولكن هذا النشاط البشرى المادى فى الحضارة الإسلامية، محكوم بالميثاق الأخلاقى المعقود بين الإنسان وبين الله سبحانه وتعالى^(٣)، محكوم بالقيم الأخلاقية المستمدة من تعاليم العقيدة الإسلامية .

وكذلك جهاد المسلمين ضد القوى الكافرة التى تواجههم مقيد بالقيم الأخلاقية، فهم أثناء قتالهم لهذه القوى الكافرة يلتزمون بالأخلاق الإسلامية الحربية التى أرشدتهم إليها عقيدتهم الإسلامية، قال صلى الله عليه وسلم ناصحا جند الإسلام وهم ذاهبون لقتال الكفار:

(اغزوا باسم الله فى سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تفرروا ولا تمثلوا . ولا تقتلوا وليدا ولا شيخا ولا امرأة ...))^(٤) .

فالمسلمون عندما يقومون بصناعة الأسلحة فإن هدفهم من هذا النشاط الصناعى المادى هدف تعبدى، وهو نشر العقيدة الإسلامية لجميع البشر فى أنحاء المعمورة، عن طريق تحطيم القوى التى تواجههم لتمنعهم من نشر

(١) سيد قطب: فى ظلال القرآن، مرجع سابق، المجلد ٣، ص ١٤٣٤ .

(٢) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ١٥٤٣ .

(٣) محمد قطب: واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ٩٦، ٩٧ .

(٤) رواه مسلم .

العقيدة الإسلامية . والنشاط التعبدى فى الإسلام مقيّد بالقيم الأخلاقية المستمدة من تعاليم العقيدة الإسلامية ، فهم ما قاموا بصناعة الأسلحة الكيميائية والجرثومية ، والخداعية ، حتى لو تمكن المسلمون من صناعة مثل هذه الأسلحة فى الماضى ، فإنه لا يمكن أن يستخدموها ضد أى مخلوق ، وهذا بخلاف ما هو حاصل اليوم ، فإن الدول التى تدعى بأنها من أرقى دول العالم تقوم بصناعة جميع أنواع الأسلحة الممنوعة دولياً ، وتقوم باستخدامها ضد البشر (من المسلمين) . وقد استخدم السلاح الجرثومى ، والخداعى من قِبَل أرذل البشر (اليهود) ضد أبناء المسلمين فى فلسطين المحتلة ، فالسلاح الجرثومى كان يستخدم ضد شباب المسلمين الذين لهم دور كبير فى الانتفاضة الإسلامية فى فلسطين ، أما السلاح الخداعى فقد استخدم ضد أبناء الحجارة فى فلسطين المحتلة على شكل حلوى مسممة ، تقوم الطائرات اليهودية بإلقائها على المناطق التى يتواجد فيها أطفال المسلمين . كما أن دولة الكفر والاحاد (روسيا) استخدمت هذا السلاح الخداعى ضد المجاهدين الأفغان ، وضد أطفالهم ونسائهم وحيواناتهم حيث أنها قامت بنزع ملايين الألفام فى مناطق المسلمين الأفغان ، ولكن الأدهى والأمر فى هذا الأمر أن روسيا قامت بصناعة ألفام خداعية على شكل فراشة زاهية الألوان ، وأسقطتها على أماكن تواجد فيها المهاجرون الأفغان ، وذلك لى ينخدع بها الأطفال الأبرياء ، فهى بمجرد لمسها تنفجر فيه ^(١) وهذا عمل فى غاية الخسة والنذالة ، ولا يدل على وجود ذرة من القيم الأخلاقية أياً كانت وهذا الأمر ليس بمستغرب من أرذل البشر اليهود ، ومن الروس الملحدين .

وكما قلنا من قبل فإن مثل هذه الصناعات الحربية اللا أخلاقية ما صنعها المسلمون الأوائل ، ولم يفكروا فى صنعها ، مع وجود القدرة على صناعة الأسلحة لأنهم برعوا فى علم الكيمياء ، وبرعوا فى علوم الطب . والسبب واضح ، وهو أن

(١) مجلة الجهاد ، العدد الثامن والأربعون ، ربيع أول ، ١٤٠٩ هـ ، ص ١٤ ، ١٨ .

عقيدتهم الإسلامية لا تقرهم على مثل هذه الأعمال اللاأخلاقية . ولكن لو تيسرت الفرصة اليوم للمسلمين لصناعة أسلحة كيميائية أو أسلحة نووية هل يقومون بصناعتها أم لا ؟ مع أن العدو ويحاربهم بهذه الأسلحة . الجواب في نظر الباحث أن المسلمين مطالبون بصناعة هذه الأسلحة ، ولكن إستخدامها يصبح مقيّـد ، فتستخدم فقط ضد الجيش الذي يواجههم بسلاح كيميائي أو نووي ، أما ضد الأطفال والنساء والعجائز والحيوانات فلا .

من هذا نعلم أن السلاح في الإسلام إنما يصنع لهدف خير ، وكذلك الحرب في الإسلام إنما تكون لهدف خير ، وهذا نادر في زماننا هذا ، لأن الحروب القائمة معظمها لأطماع دنيوية ، أو لأحقاد عرقية وكهـا غير مقيّـد بقيم أخلاقية ، وهذا بخلاف صناعة السلاح في الإسلام ، وبخلاف الحرب في الإسلام .

— صناعة الحلـى :

اهتم المسلمون بصناعة الحلـى ، كالأساور ، والأقراط ، والقلائد ، والخلاخيل والخواتم ، والتهيجان ، وقد لعبت معادن الذهب والفضة والنحاس دوراً أساسياً في صناعة الحلـى ، نظراً لوفرته في كثير من مناطق الدولة الإسلامية .^(١)

وصناعة الحلـى وإستخدامها من الأشياء المباحة التي أحلها الله لعباده ، والأشياء المباحة تسمح بقدر من الزينة وقدر من الجمال .^(٢)

قال تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ ﴾^(٣)

وصناعة الحلـى نشاط بشري خير ، فهو بذلك مقيّد بالقيم الخلقية المستمدة من تعاليم العقيدة الإسلامية ، لذلك نجد أن صناعة الحلـى في الدولة الإسلامية قد تأثرت بتعاليم العقيدة الإسلامية . فعدم إضافة معادن على المعدن الأصلى

(١) حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٩٨ .

(٢) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١١٠ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ٣٢ .

لصناعة الحلى لغرض زيادة الوزن ، عمل أخلاقى تقتضيه العقيدة الإسلامية ، ولترتقان صناعة الحلى وغيرها من الصناعات عمل أخلاقى تقتضيه العقيدة الإسلامية ، وعدم صناعة الحلى على شكل مجسم لبعض المخلوقات عمل أخلاقى تحث عليه العقيدة الإسلامية ، وتحرم عمل الحلى على أى شكل من أشكال المخلوقات ذات الأرواح . وهذا بخلاف ما هو حاصل اليوم فى بعض بلاد المسلمين ، فإن معظم أصحاب مصانع الحلى لا يلتزمون بتعاليم العقيدة الإسلامية أثناء قيامهم بصناعة الحلى ، لأن هدفهم الوحيد هو الكسب المادى بأى طريقة كانت ، حتى لو بصناعة حللى لا تجيزها العقيدة الإسلامية .

كذلك اهتم المسلمون فى عهد الدولة الإسلامية بعدة صناعات معدنية أخرى كصناعة النقود ، وصناعة الآلات الفلكية ، وصناعة الأدوات والأواني المعدنية . (١) ويمكن للباحث أيضا أن يبين هنا القيم الأخلاقية - المنبثقة من تعاليم العقيدة الإسلامية - فى النواحي المادية فى الحضارة الإسلامية فى مجال صناعة العمران ، وذلك باستعراض نموذجين من صناعة البناء ، هذان النموذجان الماديان هما البيت فى العمارة الإسلامية ، والبيت فى الجاهلية المعاصرة .

* فالبيت فى العمارة الإسلامية (صيانة) للآداب وللأخلاق وللأعراض ، بقدر ما هو فى الجاهلية المعاصرة (استعراض) و (كشف) لكل ما ينبغى أن يسان .

فى البيت الإسلامى لا يطلع الزائر على ربة البيت لأنها (حرم) مصون من أجل ذلك يخصص له مكان فى البيت ، يستقبل فيه ، ويرحب به ، وتقدم (التحية) الواجبة ، ويتناول الطعام إذا دعى إليه ، دون أن يظهر لأهل البيت أو يظهروا له كما يخصص للأسرة مجال حياتها الكامل بغير تضيق ، دون أن تكون مكشوفة للزائر من الرجال . ومن بديهيات ذلك البيت أن تكون غرف النوم فى أعماقه لا فى ظاهره ، لأنها الأماكن التى يضع فيها الناس

(١) حسن الباشا : مدخل الى الآثار الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٨٢ .

ثيابهم، وينبغى الاستئذان قبل الدخول إليها حتى من الأطفال

وملك اليمين : قال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ. ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ، طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (١)

أنظر في مقابل ذلك إلى العمارة الجاهلية المعاصرة، حيث حُجِر النوم هي المكشوفة على الطريق، بحجة الحصول على أكبر قدر من الشمس والهواء وهي حجة مفتعلة لا تستر الرغبة الداخلية في التعري والإفكشاف، ومن البديهي ألا يكون فيها (حرم مصون) لأنه لا صيانة في هذه الجاهلية لشيء — من المقدسات (٢).

وكل هذه الصناعات المعدنية وغيرها من الصناعات المادية الأخرى، نشاط إنساني مادي، يمكن أن تقوم به أي حضارة من الحضارات، ولكن الذي يميز هذا النشاط المادي في الحضارة الإسلامية أنها تقوم به وفق المنهج الرباني الذي رسمته العقيدة الإسلامية لأتباعها، والذي يقيدها بالقيم الأخلاقية وبالأهداف الخيرية .

”فهى -تقوم بنشاطها الصناعى، فتفرغ طاقتها فيما ينفع الناس فى الأرض، وما يجعل الحياة ميسرة وجميلة كذلك فى الحدود المباحة، والحدود المباحة تسمح بقدر من الزينة وقدر من الجمال: قال تعالى : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٣)

(١) سورة النور، آية : ٥٨ .

(٢) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) سورة الأعراف، آية : ٣٢ .

وقال تعالى : « وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا رِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ » (١) .
ولكنها لا تجنح إلى شغل الناس بالسفاسف ، واستنفاد أموالهم فيما لا طائل تحته ، من أجل أن يريح أصحاب الصناعات الربح الحرام كما تجنح الرأسمالية في الجاهلية المعاصرة ، ولا تجنح إلى تلهية الناس بالحياة الدنيا حتى ينسوا الآخرة ، وينسوا القيم العليا التي ينبغي لهم أن يحققوها في الأرض » (٢) .

٣ : إنشاء المستشفيات :

يعترف الاسلام بالمرض ، وأنه حالة غير طبيعية تطرأ في أي وقت على أي عضو من أعضاء الجسم (٣) ، وأنه ابتلاء من الله سبحانه وتعالى يبتلى به من شاء من عباده ، لكي يكفر به ذنوبهم وخطاياهم ، ويرفع درجاتهم في الجنة ، بشرط أن يتلقونه بصبر واحتساب . قال صلى الله عليه وسلم :

(ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا وهم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها خطاياها) (٤) .

وبهذا فإن الاسلام قد أبطل المقولة التي تقول بأن الخطيئة هي سبب الشر وباعثته ، وأنها بذرة كل مرض وعلة (٥) .

كما أبطل أيضا المقولة التي تقول بأن المرض ناتج عن الشياطين والأرواح النجسة (٦) .

(١) سورة النحل ، آية : ٥ ، ٦ .

(٢) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١١٠ .

(٣) هشام ابراهيم الخطيب : الوجيز في الطب الاسلامي ، عمان ، دار الأرقم ،

١٤٠٥ هـ ، ص ٢١ .

(٤) رواه البخاري .

(٥) زيفريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

ولقد أمان القرآن الكريم صورا من أصول علم الطب، ويتضح ذلك من توجيهاته الصحية والوقائية، ومن تحريمه الأشياء الضارة من المأكولات والمشروبات .

قال تعالى :

« يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » (١)

وقال تعالى :

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ » (٢)

وقال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ » (٣)

وقال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (٤)

وقال تعالى :

« وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » (٥)

فعن طريق تطبيق العبادات التي شرعها الله لعباده كالصلاة والصوم والحج يتم " تحقيق أهم غرض من أغراض علم الطب، وهو حفظ الصحة . فالصلاة والصيام والحج وما تتطلبه هذه العبادات من شروط وأركان وأعمال كلها تحفظ للجسم صحته ونشاطه وقوته " (٦) .

(١) سورة الأعراف ، آية : ٣١ . (٢) سورة البقرة ، آية : ٢٢٢ .

(٣) سورة المائدة ، آية : ٦ . (٤) سورة البقرة ، آية : ١٨٣ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ٩٧ .

(٦) مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا ، دمشق - بيروت ، المكتب الاسلامي ،

وحرم الله سبحانه وتعالى المأكولات والمشروبات الضارة لأسباب منها الاسباب الصحية والوقائية فحرم الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، والمنخنقة والموقوذة والمتريدة، والنطيحة، وما ذبح على النصب* . قال تعالى :

« حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ... » (١)

فكل هذه الأشياء إنما حرمها الله على الإنسان لأن لها أضرار صحية عليه .

وكذلك حرم شرب الخمر لأضراره الصحية والاقتصادية، قال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (٢)

كما أبان الله سبحانه وتعالى بعض الأدوية التي تفيد في شفاء كثير من

الأمراض، قال تعالى :

« وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنِ انْفِىٰ ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (٣)

ففي الآية الأخيرة أشار الله سبحانه وتعالى إلى فوائد العسل الطبية، وإلى قيمته

(١) سورة المائدة، آية : ٣ .

(٢) سورة المائدة، آية : ٩٠ .

(٣) سورة النحل، آية : ٦٨ - ٦٩ .

* الدم : أى الدم المسفوح وهو سائل، ما أهل لغير الله به : أى ما ذكر عند ذبحه اسم غير الله ، المنخنقة : أى الميتة بالخنق ، الموقوذة : أى الميتة بالضرب، المتريدة : أى الميتة بالسقوط من علو ، النطيحة : أى الميتة بالنطح ، ما أكل السبع : أى ما أكل منه فمات بجرحه ، النصب : أحجار حول الكعبة كانت تعظم .

انظر : حسنين محمد مخلوف : كلمات القرآن تفسير وبيان ، د. م. د. ن. د. ت. ،

د. ط. ص ٦١ - ٦٢ .

العلاجية في القضاء على كثير من الأمراض .

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم أيضا على التداوى فقال ردا على سؤال الأعرابي حين سأله عن التداوى :

(نعم يا عباد الله تداووا فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء
(١) علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء فتداووا) (٢)

وقال أيضا :

(لكل داء دواء فإذا أصاب الداء برئ بإذن الله عز وجل) (٣)

وكذلك أرشد النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى بعض الأدوية المفيدة

التي إذا تداوى بها الإنسان فإنه يبرأ بإذن الله عز وجل .

فقال صلى الله عليه وسلم : (إن أمثل ما تداوىتم به الحجامة والفصد) (٤)

وقال صلى الله عليه وسلم :

(عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء لكل داء إلا السام) (٥)

وقال أيضا :

(إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل) (٦)

وهذا بعكس ما كانت عليه الكنيسة في أوروبا حيث إنهم كانت ترى أن الاعتماد

على الأدوية الأرضية ينافي الإيمان المطلق بالله وعظمته (٧) فأوجبت على المرضى

(١) رواه الامام أحمد .

(٢) رواه الامام البخاري .

(٣) أخرجه الامام مسلم .

(٤) رواه الامام البخاري ، والامام مسلم .

(٥) رواه البخاري .

(٦) متفق عليه .

(٧) زيفريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، مرجع سابق ، ص ٢١٩ .

أن يمتنعوا عن تناول العقاقير الطبية التي تخفف من آلام أجسامهم، لأنها ترى
أن خلاص الروح أكثر أهمية من شفاء الجسد .^(١)

العناية بالطب :

اعتنى المسلمون - نتيجة لتوجيهات العقيدة الإسلامية الطبية - بالطب
والعلوم الطبية عناية فائقة، فدرسوا كتب من سبقهم في مجال الطب من اليونان
وغيرهم، واستوعبوها استيعاباً تاماً، ثم عدلوها وصححوها وأضافوا إليها أبواباً
جديدة لم يسبقهم إليها أحد، فتقدم الطب على أيديهم تقدماً ظاهراً حتى أصبح
من أهم العلوم التي برع فيها المسلمون^(٢)، فعرفوا طب العيون ونبغوا فيه، وعرفوا
الحميات ذات البثور كالجدري والحصبة، كما عرفوا أمراض الأطفال وغير ذلك من
الأمراض .^(٣)

وقد اعتمد علماء المسلمون في الطب على المنهج التجريبي في ممارسة الطب
وتدريسه ودراسته، بحيث أصبحت التجربة العملية لديهم تسير مع العلم النظري
جنباً إلى جنب، وتجاوب النظريات على أسرة المرضى، فتفند الظواهر تفنيداً علمياً
وتشبع الحالات المستعصية بحثاً ونقاشاً^(٤)، وكان لهذا الاتجاه التجريبي أثره
البالغ في محاربة الشعوذة ومكافحة المشعوذين الذين كانوا يدعون معرفة المرضى
والتنبؤ بمستقبل المريض بمجرد النظر إلى بوله^(٥)، كما كان له أثره البالغ أيضاً في
إكشاف الكثير من الحقائق العلمية الباهرة في مجال الطب، والتي على ضوءها
استطاع علماء الطب المسلمين أن يجعلوا الطب علماً له أصوله ومنهجه وقوانينه .^(٦)

-
- (١) زيفريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، مرجع سابق، ص ٢٢٣ .
 - (٢) المرجع السابق، ص ٢١٧ .
 - (٣) أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٥٠ .
 - (٤) زيفريد هونكة: المرجع السابق، ص ٢٣٤ .
 - (٥) أحمد فؤاد باشا: التراث العلمي للحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٧٢ .
 - (٦) المرجع السابق، ص ١٧٦ .

ومن أشهر أطباء المسلمين الذين كان لهم الباع الكبير في الطب :

١ - أبو بكر محمد الرازي :

ولد ونشأ في الري جنوبي طهران عاصمة بلاد فارس عام ٢٤٠ هـ، وتوفي ببغداد عام ٣١٣ هـ^(١). قدم إلى بغداد وله من العمر نيف وثلاثون سنة^(٢)، وكان كريماً باراً بالناس، حسن الرأفة بالفقراء، وما دخل عليه أحد قط إلا ورآه ينسخ^(٣). ذكر له ابن النديم أكثر من (١٣٠) كتاباً ورسالة^(٤).

ومن أشهر كتبه ————— :

أ - كتاب الحاوي، ويسمى كتاب الجامع الحاصر لصناعة الطب^(٥)، وهو من أجل كتبه وأعظمها في صناعة الطب^(٦).

ب - كتاب المنصوري في الطب .

ج - مقالة في الحصى في الكلبي والمثانة^(٧).

د - كتاب في أن للإنسان خالفاً متقناً حكيماً، وفيه دلائل من التشريح، ومنافع الأعضاء تدل على أن خلق الإنسان لا يمكن أن يقع بالاتفاق^(٨).

(١) سليمان بن حسان الأندلسي، المعروف بابن جلجل : طبقات الأطباء

والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ، ط ٢، ص ٧٧ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار مكتبة الحياة، د. ت. د. ط، ص ٤١٤ .

(٣) ابن النديم : الفهرست، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٨ هـ، د. ط، ص ٤١٦ .

(٤) المرجع السابق، ص ٤١٦ - ٤٢٠ .

(٥) ابن جلجل : المرجع السابق، ص ٧٨ .

(٦) ابن أبي أصيبعة، المرجع السابق، ص ٤٢٠ .

(٧) المرجع السابق، ص ٤٢٢ .

(٨) المرجع السابق، ص ٤٢١ .

٢ - أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى :

(١) ولد بالزهراء احدى ضواحي قرطبة بالأندلس عام ٣٢٥ هـ ، وتوفي عام ٤٠٤ هـ ، وكان طبيا فاضلا ، لديه خبرة واسعة بالأدوية المفردة والمركبة ، وكان يجيد العلاج أيضا . (٢)

ومن أشهر مؤلفاته :

١ - كتابه الكبير المعروف بالزهراوى .

ب - كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ، وهو من أكبر تصانيفه وأشهرها ، وقد ترجم القسم الخاص بالجراحة فى كتاب التصريف إلى اللاتينية . (٤)

٣ - أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا . الملقب بالشيخ الرئيس :

ولد فى أفشنة قرب بخارى عام ٣٧١ هـ ، وتوفى فى همدان عام ٤٢٨ هـ . وكان حسان وطبيب ،

من أشهر كتبه :

١ - كتاب (القانون فى الطب) ويقع فى أربع عشرة مجلد .

ب - كتاب (الشفاء) ويقع فى ثمانى عشرة مجلد . (٥)

وقد ترجم كتابه القانون فى الطب إلى اللاتينية ، وطبع ستة عشرة مرة فى الثلث الأخير من القرن الخامس عشر ، ثم أعيد طبعه عشرين مرة فى القرن السادس عشر . (٦)
هذا بالإضافة إلى أن هناك عددا هائلا من الأطباء المسلمين الذين نبغوا وساهموا فى مختلف المجالات الطبية ، وتركوا لنا الكثير من المؤلفات

(١) أحمد فؤاد باشا : التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

(٢) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، مرجع سابق ، ص ٥٠١ .

(٣) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٤) زيفريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، مرجع سابق ، ص ٣٤٧ .

(٥) ابن أبى أصيبعة ، المرجع السابق ، ص ٤٤٠ .

(٦) أحمد فؤاد باشا : المرجع السابق ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

الطبية الجيدة التي اعتمد عليها الشرق والغرب في تقدم الطب الحديث، وفي خدمة الإنسانية عامة، فلمهم بذلك الأجر والثواب المستمر من الله سبحانه وتعالى مادامت السموات والأرض* .

العناية بإنشاء المستشفيات :

اهتم خلفاء الدولة الإسلامية بإنشاء المستشفيات، فشيدوها في جميع أنحاء الدولة الإسلامية، وأول مستشفى عرفه المسلمون هو ذلك المستشفى الذي أمر بإنشائه النبي محمد صلى الله عليه وسلم بجوار مسجده في يوم الخندق . ويعتبر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك أول من بنى - المستشفى - دار المرضى وعين فيه الأطباء وصرف لهم مرتبات، كما عين مرتبات للمجدومين الذين أمر بحجزهم في أماكن خاصة بهم^(١) . ومنذ ذلك الوقت أخذت المستشفيات تنتشر في جميع أنحاء الدولة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها، لأن الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والوزراء وأهل الخير من المسلمين رأوا أن إنشاء المستشفيات وتزويدها بكل ما تحتاج إليه من إمكانيات، من أفضل الصدقات الجارية التي يتقربون بها إلى الله في حياتهم وبعد مماتهم .

وفيما يلي بعض المستشفيات التي أنشئت في بعض مناطق الدولة الإسلامية :

١ - مستشفى نور الدين بد مشق :

يعتبر مستشفى نور الدين بد مشق من المستشفيات التي لم يبق قبلها مثلها ولم يبق بعدها مثلها أيضا في تلك العصور^(٢) .

(١) أحمد بن علي المقرئ : الخطط المقرئية، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٠٥ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٧٨ .

* لمزيد من الاطلاع على الأطباء المسلمين، أنظر :

١ - طبقات الأطباء والحكماء لابن جليل . ٢ - الفهرست لابن النديم .

٣ - تاريخ الأطباء والفلاسفة لاسحاق بن حنين .

٤ - عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة .

وقيل إن نور الدين بنائه من المال الذي أخذه فداءً من أحد ملوك الإفرنج الذين وقعوا في يده في بعض الغزوات (١).

وقد شرط نور الدين أن يكون هذا المستشفى للفقراء والمساكين، وإذا لم يوجد بعض الأروية التي يعزّ وجودها إلا فيه فلا يمنع منه الأغنياء ومن جاء إليه فلا يمنع من شراؤه (٢).

وقد عين نور الدين مجموعة من الأشخاص مهمتهم الإشراف على إدارة المستشفى وتوفير كل ما تحتاج إليه من نفقات وأروية وغير ذلك .

كما أن الأطباء ييكرن يومياً إلى المستشفى ويتفقدون المرضى ويأمرون بإعداد ما يصلحهم من الأروية والأغذية حسبما يليق بكل إنسان منهم (٣).

٢ - مستشفى الملك المنصور قلاوون الألفي الصالحى :

أمر بإنشاء هذا المستشفى الملك المنصور قلاوون في سنة ٦٨٣ هـ .

ولما انتهى العمل من إنشاء المستشفى جهز بكل ما يحتاج إليه من أدوات طبية وملابس وعقاقير وأطباء وسائر ما يحتاج إليه المرضى . كما زود المستشفى بالفراشين من الرجال والنساء لخدمة المرضى .

وقد قسم المستشفى إلى عدة أقسام تخصصية ، فجعل قسماً خاصاً للمرضى بالحميات ونحوها ، وقسماً خاصاً للمرضى المصابين بالرمم ، وقاعة للجرحى ، وقاعة لمن به إسهال ، وقاعة خاصة للنساء . هذا عدا أماكن الطبخ ، وأماكن تركيب الأروية ، وأماكن توزيع الأروية . كما جعل في المستشفى قاعة خاصة يجلس فيها رئيس الأطباء لإلقاء دروس الطب (٤).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ج ١٢ ص ٢٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١٢ ص ٢٨١ .

(٣) ابن جبير: رحلة ابن جبير ، مرجع سابق ، ص ٢٥٥ .

(٤) أحمد بن علي المقرئ: الخطط المقرئية ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ٤٠٦ .

وقد أوقف الملك المتصور قلاون على هذا المستشفى ما يقارب مليون درهم فى كل سنة، وقال : " قد وقفت هذا على مثلى فمن د ونى وجعلته وقفا على الملك والمملوك، والجندى والأمير والكبير والصغير، والحر والعبد، الذكور والإناث " (١).

٣ - المستشفيات المتنقلة فى الأرياف :

أوجدت هذه المستشفيات المتنقلة بين الأرياف فى العصر العباسى الثانى (٢٣٢-٤٤٧ هـ) فقد ذكر ابن أبى أصيعة أن الوزير على بن عيسى الجراح وزير المقتدر (٢٩٥-٣٢٠ هـ) أورد كتابا إلى سنان بن ثابت^(٢) قال فيه :

" فكرت فى من فى السواد من أهله ، فإنه لا يخلو أن يكون فيه مرضى لا يشرف عليهم متطبب لخلو السواد من الأطباء . فتقدم مد الله فى عمرك بإنقاذ متطبيين وخزانة للأدوية والأشربة يطوفون فى السواد ويقيمون فى كل صقع منه مدة ماتدعو الحاجة إليه . ويعالجون من فيه من المرضى ثم ينتقلون إلى غيره " (٣).

بعد ذلك قام سنان بن ثابت بتنفيذ أوامر الوزير، فأرسل الفرق الصحية إلى القرى والهجر (٤).

٤ - مستشفيات السجون :

أوجدت هذه المستشفيات أيضا فى العصر العباسى الثانى (٢٣٢-٤٤٧ هـ) بتوجيهات من الوزير على بن عيسى الجراح إلى سنان بن ثابت المشرف على

(١) أحمد بن على المقرئ : الخطط المقرئية، مرجع سابق، ج ٢ ص ٤٠٦ .

(٢) هو ابن سعيد سنان بن ثابت بن قرة الحرانى، كان طبيا مقدما، يلحق بأبيه فى معرفته بالعلوم واشتغاله بها وتمهره فى صناعة الطب، توفى ببغداد سنة احدى وثلاثين وثلثمائة .

انظر : الفهرست لابن النديم، ص ٤٢١، عيون الأنباء لأبن أبى أصيعة ص ٣٠٠، ٣٠١ .

(٣) ابن أبى أصيعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، مرجع سابق، ص ٣٠١ .

(٤) المرجع السابق، نفس المكان .

المستشفيات في بغداد . فقد ورد خطاب لسنان بن ثابت من علي بن عيسى يقول

فيه : " فكرت ، مد الله في عمرك ، في أمر من في الحديوس ، وأنه لا يخلو مع كثرة عدد هم وجفاء أماكنهم أن تنالهم الأمراض ، وهم معوقون عن التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الأطباء فيما يعرض لهم فينبغي أن تفرد لهم أطباء يدخلون إليهم في كل يوم ، وتحمل إليهم الأدوية والأشربة . ويطوفون في سائر الحديوس ، ويعالجون فيها المرضى ، ويزيرون علمهم فيما يحتاجون إليه من الأدوية والأشربة .. " (١) .

فقام سنان بن ثابت بإرسال الأطباء والأدوية والأشربة إلى السجن يومياً (٢) .

هـ - مستشفيات المجانيين :

أقيمت هذه المستشفيات بجوار المستشفيات العامة على هيئة أقسام مستقلة عن بقية أقسام المستشفى ، فقد خصص قسم خاص لعلاج المجانيين في مستشفى نور الدين بدمشق (٣) ، وكذلك خصص قسم خاص لعلاج المجانيين في مستشفى صلاح الدين بالقاهرة (٤) ، كما خصص لهم الأطباء الذين يتفقدون أحوالهم يومياً ويقومون بتقديم العلاج المناسب لهم .

هذه بعض المستشفيات التي أنشئت في بعض نواحي الدولة الإسلامية ، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على إهتمام القائمين على شؤون المسلمين بشؤونهم الصحية التي حثتهم عليها عقيدتهم الإسلامية من خلال التوجيهات الربانية والنبوية في هذا المجال .

ويعتبر إنشاء المستشفيات وتزويدها بما تحتاج إليه من أدوية ومكانات ، نشاط مادي هادف ، فهو بذلك نشاط تعبدي ، يهدف إلى تقديم خدمات طبية إنسانية

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، مرجع سابق ، ص ٣٠١ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، مرجع سابق ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

للمسلمين وغيرهم من أهل الذمة . وقد لاحظنا في المستشفيات العامة الكبرى - كمستشفى نور الدين بد مشق ، ومستشفى الملك المنصور قلاون - أنها تقدم جميع الخدمات الطبية وما يتبعها من خدمات أخرى بدون مقابل لجميع الفئات دون تمييز بين الكبير والصغير والحر والعبد ، بل إن بعض المستشفيات كان يخصص أصلاً لتقديم الخدمات الطبية المجانية للفقراء والمساكين كمستشفى نور الدين بد مشق . وهذا نادر اليوم في كثير من الدول الغربية والشرقية التي تدعى التقدم ، وكذلك في كثير من دول العالم الإسلامي التي تنتشر فيها الأوبئة المهلكة (الجهل ، الفقر ، المرض) .

ولقد بلغت الخدمات الطبية في المستشفيات الإسلامية الفاعلة شأواً عظيماً ، فهي لا تختلف عما نجده اليوم في أرقى المستشفيات في العالم ، وإن لم تتزدها . وتتضح لنا تلك الخدمات الطبية بصورة أوضح عندما نقرأ رسالة أحد المرضى المعالجين في مستشفى الملك المنصور قلاون إلى والده ، يصف له فيها هذه المستشفى وما تقدمه من خدمات عديدة لمرتابيها ، حيث يقول :

” أبتى الحبيب ،

تسألني إن كنت بحاجة إلى نقود ! فأخبرك بأنني عندما أخرج من المستشفى سأحصل على لباس جديد وخمس قطع ذهبية ، حتى لا أضطر إلى العمل حال خروجي مباشرة . فلست بحاجة إذن إلى أن تباع بعض ماشيتك ! ولكن عليك بالإسراع في المجيء إذا أردت أن تلقاني هنا . إني الآن في قسم - العظام - بقرب قاعة الجراحة . وعندما تدخل من البوابة الكبيرة ، تعبر القاعة الخارجية الجنوبية وهي مركز - الاسعاف - حيث أخذوني بعد سقوطي ، وحيث يذهب كل مريض أول ما يذهب لكي يعاينه الأطباء المساعدون وطلاب الطب . ومن لا يحتاج منهم إلى معالجة دائمة في المستشفى تعطى له وصفته فيحصل بموجبها على الدواء من صيدلية الدار .

وأما أنا فلقد سجلوا إسمي هناك بعد المعاينة وعرضوني على

رئيس الأطباء ثم حملنى مرض إلى قسم الرجال ، فحملنى حماما ساخنا وألبسنى ثيابا نظيفة من المستشفى . وحينما تصل ترى إلى يسارك مكتبة ضخمة وقاعة كبيرة حيث يحاضر الرئيس فى الطلاب وإذا ما نظرت وراءك يقع نظرك على ممر يودى إلى قسم النساء . ولذلك عليك أن تظل سائرا نحو اليمين ، فتمر بالقسم الداخلى والقسم الجراحى مروراً عابراً ... - حتى تصل إلى قسم العظام - ... واليوم صباحاً جاء ، كالعادة رئيس الأطباء مع رهط كبير من معاونيه . ولما فحصنى ، ألقى على طبيب القسم شيئاً لم أفهمه . وبعد زهابه أوضح لى الطبيب ، أنه بإمكانى النهوض صباحاً وبوسعى الخروج قريباً من المستشفى صحيح الجسم معافى . ولمنى والله لكاره هذا الأمر ! فكل شئ هنا جميل للغاية ونظيف جداً الأسرة وثيرة وأعطيت من الدقس الأبيض والملاء بغاية النعومة والبياض كالحرير ، وفى كل غرفة من غرف المستشفى تجد الماء جارياً فيها على أشهى ما يكون . وفى الليالى القارسة تدفأ كل الغرف . وأما الطعام فحدث عنه ولا حرج !! فهناك الدجاج ولحم الماشية يقدم يومياً لكل من بوسعه أن يهضمه ... " (١) .

من خلال هذه الرسالة نستطيع أن نتعرف على المستوى الصحى الرفيع الذى كان يعيشه المسلمون ، وعلى الخدمات الصحية التى كانت تقدم فى المستشفيات الإسلامية . وهذا المستوى ليس بمستقرب على أناس عقيدتهم هى العقيدة الإسلامية ، فهى الدافعة إلى كل نشاط خير فى أى مجال من مجالات الحياة ، وهى التى تصبغ كل نشاط مادى ومعنوى بالقيم الأخلاقية الإسلامية .

إن تقديم الخدمات الطبية بجانبها المادى والمعنوى ، نشاط هادف يساهم فى تحقيقه فئات كثيرة من مختلف التخصصات . يساهم فيه المهندسون المعماريون ، يساهم فيه النجارون ، يساهم فيه النساخون ، يساهم فيه الأطباء ، يساهم فيه الصيادلة ، يساهم فيه المرضى ، يساهم فيه الطباخون ، يساهم فيه الخدم ،

(١) زيفريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

ويساهم فيه أيضا وقبل كل شيء أصحاب رؤوس المال من خلفاء أو وزراء أو أمراء أو ميسورى الحال من عامة المسلمين .

وكل فئة من هذه الفئات تلتزم أثناء القيام بالأعمال التى تخصصها بتقوى الله سبحانه وتعالى ، وبالقيم الأخلاقية - المستمدة من أخلاقيات العقيدة الإسلامية العامة - التى تقيد كل مهنة بالأعمال التى تلائم العقيدة الإسلامية . وهذا أمر طبيعى لدى المسلمين فى القرون الأولى ولمن تمسك منهم بالعقيدة الإسلامية فى أى عصر من العصور حتى قيام الساعة ، لذلك نجد أنهم برعوا فى كل مجال من مجالات الحضارة .

وسوف نتعرف على القيم الأخلاقية لفئة من الفئات التى تساهم فى تقديم الخدمات الطبية ، ولتكن فئة الأطباء باعتبارها من أهم الفئات التى لها صلة بالمرضى الذين من أجلهم أنشئت المستشفيات .

وباستطاعتنا أن نتعرف على القيم الأخلاقية التى يتوجب على الطبيب المسلم أن يلتزم بها فى أثناء حياته العملية من خلال قراءتنا للقسم الذى يؤديه أثناء تخرجه والسماح له بمزاولة التطبيب . والقسم هو :

بسم الله الرحمن الرحيم

أقسم بالله العظيم :

* أن أراقب الله فى مهنتى .
* وأن أصون حياة الانسان فى كافة أذوارها ، فى كل الظروف والأحوال بان لا وسعى فى استنقاذها من الموت والمرض والألم والقلق .

* وأن أحفظ للناس كرامتهم ، وأستر عورتهم ، وأكتم سرهم .
* وأن أكون على الدوام من وسائل رحمة الله بان لا رعايتى الطبية للقريب والبعيد ، والصالح والخاطى ، والصدىق والعدو .
* وأن أثابر على طلب العلم ، أسخره لنفع الانسان لا لأنا .
* وأن أوقر من علمنى ، وأعلم من يصغرنى ، وأكون أخا لكل زميل فى المهنة الطبية فى نطاق حسن البر والتقوى .

* وأن تكون حياتي مصداق إيماني في سرى وعلايتي (وذلك) ما يشرفني أمام الله ورسوله والمؤمنين " (١).

من خلال قراءتنا للقسم نلاحظ أن جميع بنود القسم مقيدة بقيم أخلاقية مستمدة من أخلاقيات العقيدة الإسلامية العامة .

فمراقبة الله في أداء العمل وبذل الجهد فيه واتقانه عمل أخلاقي تقتضيه العقيدة الإسلامية ، وحفظ كرامة الناس وعدم إزدالهم في المواقف المرضية عمل أخلاقي تقتضيه العقيدة الإسلامية . وعدم النظر إلى عوراتهم بدون ضرورة طبية عمل أخلاقي تقتضيه العقيدة الإسلامية . وكذلك عدم التحدث بأسرار الناس الطبية والمحافظة عليها عمل أخلاقي تقتضيه العقيدة الإسلامية . وتقدير الرعاية الطبية بنفس الروح والجهد والإخلاص للمدني والعدو عمل أخلاقي تمليه عليه عقيدته الإسلامية . وهذا بخلاف ما يقوم به بعض أطباء الهيئات غير إسلامية للمسلمين ، حيث إن بعض أطباء الهيئات المسيحية (التي تقدم كما تدعى خدمات طبية للمهاجرين والمجاهدين الأفغان) يقومون بارتكاب أعمال غير أخلاقية ضد المسلمين الأفغان ، لا تتلاءم مع أي نوع من أنواع القيم والمبادئ الإنسانية عامة . فهم مثلاً يقومون ببتتر أطراف المصابين من المهاجرين والمجاهدين الأفغان ، دون وجود ضرورة تقتضي قطع الطرف . ولكن حقد هم على الإسلام والمسلمين جعلهم يقومون بمثل هذه الأعمال اللا أخلاقية ، واللا إنسانية - (٢) وتسخير العلم الطبي لنفع الإنسانية وعدم تسخيرهِ للإضرار بالإنسانية - كما تفعل اليوم الجاهليات المعاصرة ، حينما تسخر العلوم الطبية في صناعة الأسلحة الجرثومية - عمل أخلاقي تمليه عليه العقيدة الإسلامية . ومعاملة أساتذة وزملاء المهنة وغيرهم من المرضى وغير المرضى بحسن خلق أمر تقتضيه وتفرضه العقيدة الإسلامية . وجعل حياته

(١) هشام إبراهيم الخطيب : الوجيز في الطب الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(٢) لهيب المعركة ، مجلة أسبوعية مصفرة تصدر عن مكتب خدمات المجاهدين

الأفغان ، العدد ٣٠ ، تاريخ ١٤٠٩ / ٥ / ٨ هـ ، ص ٩ .

تسير وفق منهج إيماني في الظاهر والباطن أمر تقتضيه العقيدة الإسلامية .
ونستطيع أن نلاحظ أيضا الكثير من القيم الأخلاقية الإسلامية التي كان لها
الأثر الكبير في توجيه الخدمات الطبية في مستشفى الملك المنصور قلاوون —
خلال الوصف الذي ورد في الرسالة السابقة التي تصف الأوضاع والخدمات
الطبية في المستشفى .

ف عزل النساء في قسم خاص يهت عن الرجال من أجل الأعمال الأخلاقية التي
تحت عليه العقيدة الإسلامية، وكذلك تقديم الخدمات الطبية، والطعام والشراب
بالمجان، وعدم التمييز بين المرضى بأي شكل من أشكال التمييز، وإعطاء المريض
إذا خرج من المستشفى مبلغ من المال وملابس جديدة، عمل في غاية الأخلاق،
ولا يصدر مثل هذا العمل إلا من أناس مسلمون متمسكون بعقيدتهم الإسلامية، لأن
العقيدة الإسلامية هي الدافعة إلى التداوي، وهي الدافعة إلى دراسة الطب،
وهي الدافعة لكل نشاط هادف في مجال الخدمات الطبية، وجميع المجالات الأخرى،
وهي الدافعة والموجهة لكل القيم التي توجه جميع الأنشطة المادية وغير المادية،
وهي الموجهة لسلوك معتنقيها بصفة عامة .

وهذا بخلاف العقائد الأخرى، فالعقيدة المسيحية المحرفة مثلا، لا تحت
على التداوي، ولا على دراسة الطب، ولا تحت على تقديم الخدمات الطبية،
ما كان له الأثر السيئ على سكان أوروبا عامة، بينما كانت المستشفيات منتشرة في
معظم المدن في العالم الإسلامي، وكذلك في القرى، حيث كانت الفرق الطبية
تتجول بين القرى لتقديم الخدمات الطبية فيها، وكذلك كان الأطباء المسلمون
يقدمون الخدمات الطبية في المستشفيات المنتشرة في العالم الإسلامي . وقد بلغ
عدد الأطباء في مدينة بغداد وحدها عام ٣١٩ هـ أكثر من ستين وثمانمائة طبيب،
هذا عدا الأطباء الذين كانوا في خدمة السلطان^(٢)، وفي الفترة نفسها لم يكن

(١) زيفريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب، مرجع سابق، ص ٢٢٢، ٢٢٣ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مرجع سابق، ص ٣٠٢ .

فى كل مقاطعات الراين طبيب واحد (١) . وما عرفت أوروبا المستشفيات المخصصة
للمرضى إلا فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى بعد الحروب الصليبية الدينية
التي عرفت الأوربيين على المستشفيات الإسلامية ، فأنشأوا فى بلادهم مستشفيات
مثلها (٢) .

وقد ظلت مستشفيات أوروبا حتى القرن الثامن عشر الميلادى عبارة عن دور عطف
وإحسان ومأوى لمن لا مأوى لديه ، مرضى كانوا أم عاجزين (٣) ، وأكبر مثال على ذلك
مستشفى (أوتيل ديو) ببافيس ، الذى أنشئ فى القرن الثامن عشر الميلادى
والذى وصفه كل من (ماكس توردو) و (تينون) بما يلى :

" يحتوى المستشفى (١٢٠٠) سرير منها (٤٨٦) خصصت لنفر
واحد ، أما الباقي - ولم تكن سعة الواحد منها تتجاوز خمسة أقدام
فيوجد فيها عادة ما يتراوح بين ثلاثة مرضى وستة . وكانت الردهات
الكبرى عفنة كثيرة الرطوبة لا منافذ تهوية فيها ، مظلمة دوماً ، ترى
فيها فى كل حين حوالى ثمانمائة مريض يفترشون الأرض وهم
مكدسون بعضهم فوق بعض على القاع أو على كوم من القش فى
حالة يرثى لها ... وإنك لتجد فى السرير ذى الحجم المتوسط
أربعة أو خمسة مرضى متلاصقين وقدم أحدهم على رأس الثانى !
تجد أطفالاً بجانب شيوخ ، نساء بجانب رجال (قد لا تصدق
لكنها حقيقة) ، تجد امرأة فى المخاض مع طفل فى حالة تشنج
مصاب بالتيفوس يحترق فى بحرارة الحمى ، وكلاهما إلى جنب
مريض بداء جلدى يحك جلد المتهترى بأظفاره الدائمة فيجرى
قيح البثور على الأعطية ... وطعام المرضى من أحقر ما يتصوره
العقل يوزع عليهم بكميات قليلة للغاية وفى فترات متباعدة لا نظام
فيها .. وكانت أبواب المستشفى مفتوحة فى كل وقت وحين لكل

(١) زيفريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، مرجع سابق ، ص ٢٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) سيرتوماس أرنولد : تراث الإسلام ، ترجمة جرجس فتح الله ، بيروت ، دار

الطليعة ، ١٩٧٨ م ، ط ٣ ، ص ٥١٣ .

رائح وغاد ، وبهذا تنتشر العدوى بانتقالها وبالفصالات وبالهواء
 النتن الملوث ... البناية حافلة بالحشرات الدنيئة وهواء
 الحجرات لا يطاق لفساده حتى أن الخدم والممرضين لم يكونوا
 يجرون على الدخول إلا بعد وضع إسفنجة مبللة بالخل على
 أنوفهم .. وترك جثث الموتى ٢٤ ساعة على الأقل قبل رفعها
 من السرير المشاع ، وكثيرا ما تتفسخ الجثة وتتعفن وهي ملقاة
 بجانب مريض يكاد يطير صوابه " (١) .

فمن خلال هذا الوصف يتضح لنا البؤس الشاسع بين ما وصل إليه المسلمون
 في مجال الخدمات الطبية ، أيام ازدهار حضارتهم الاسلامية ، وما وصل إليه
 المسيحيون في الخدمات الطبية . وكل ما وصل إليه المسلمون إنما يرجع إلى توفيق
 الله لهم بأن جعلهم يطبقوا تعاليم عقيدتهم الاسلامية ، ويترجمونها إلى أعمال
 تسيّر جميع نشاطاتهم الهادفة .

(١) سير توماس أرنولد : تراث الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٥١٣ ، ٥١٤ .

الفصل الرابع

أهم آثار البعد عن العقيدة الإسلامية في المجالين العلمي والحضارى

- أسباب بعد المسلمين عن العقيدة الإسلامية :
- أولا - أسباب ذاتية .
- ثانيا - أسباب خارجية .
- أهم آثار البعد عن العقيدة الإسلامية في المجال العلمى :
- ١ - الجمود الفكرى .
- ٢ - التخلف العلمى .
- ٣ - التبعية الفكرية .
- ٤ - سوء اختيار مواد العلوم المترجمة .
- أهم آثار البعد عن العقيدة الإسلامية في المجال الحضارى :
- ١ - التبعية الحضارية .
- ٢ - التخلف الزراعى .
- ٣ - التخلف الصحى .
- ٤ - التخلف الاقتصادى .

تمهيد :

رأينا في الفصلين السابقين كيف أن المسلمين الأوائل عندما التزموا بتطبيق تعاليم العقيدة الإسلامية في المجالين العلمي والحضارى، حققوا تقدما كبيرا في هذين المجالين، ففي المجال العلمى أنشأ المسلمون الأوائل أكبر حركة علمية عرفها المسلمون حتى اليوم، وقد استعرضنا فى الفصل الثانى أهم آثار الالتزام بالعقيدة الإسلامية فى المجال العلمى وذكرنا منها :

- ١ - ظهور علوم جديدة .
- ٢ - نشاط حركة الترجمة .
- ٣ - إنشاء المدارس العلمية .
- ٤ - إنشاء المكتبات .
- ٥ - ابتكار المنهج العلمى التجريبي .

أما فى المجال الحضارى فقد أنشأ المسلمون الأوائل أيضا أكبر حركة حضارية عرفها المسلمون حتى اليوم .

وقد استعرضنا فى الفصل الثالث أهم آثار الالتزام بالعقيدة الإسلامية فى المجال الحضارى، وذكرنا منها :

- ١ - الإهتمام بالزراعة .
- ٢ - العناية بإقامة الصناعات .
- ٣ - إنشاء المستشفيات .

وكذلك كان للالتزام بالعقيدة الإسلامية أثره الواضح فى جميع المجالات الأخرى وهذه سنة كونية من سنن الله سبحانه وتعالى، فعندما يلتزم الناس بتعاليم العقيدة الإسلامية، ويطبقونها فى واقع حياتهم التطبيق الصحيح، وفى جميع مجالات الحياة، فإن الله سبحانه وتعالى سوف يستخلفهم فى الأرض ويمدهم بـرزق من عنده كما قال فى كتابه العزيز :

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي

ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيًّا لِّنَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ اَمْنًا يَعْبُدُونَنِي وَلَا يُشْرِكُونَ
بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ^(١) .

وقال تعالى :

« وَلَوْ اَنَّ اَهْلَ الْقُرَىٰ اٰمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْاَرْضِ وَلٰكِنْ كَذَّبُوا فَاَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ ^(٢) » .

أما عند ما يبتعدون عن الالتزام بتعاليم العقيدة الإسلامية ، فإن الله سبحانه
وتعالى سوف ينزع منهم الاستخلاق ، ولن يعود لهم إلا إذا غيروا ما بأنفسهم من
الانحرافات في المفاهيم والسلوك . قال تعالى :

« اِنَّ اللّٰهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوْا مَا بِاَنْفُسِهِمْ ^(٣) » .

أسباب بعد المسلمين عن العقيدة الإسلامية

وقد ابتعد المسلمون في العصر الحالي عن العقيدة الإسلامية* لأسباب

ذاتية أهمها يتمثل في :

- ١ - سوء فهم مفهوم الإيمان .
- ٢ - سوء فهم مفهوم القضاء والقدر .
- ٣ - سوء فهم مفهوم العباداة .

وأسباب خارجية تتمثل في الغزو الفكري للبلاد الإسلامية .

(١) سورة النور ، آية : ٥٥ .

(٢) سورة الاعراف ، آية : ٩٦ .

(٣) سورة الرعد ، آية : ١١ .

* لا نقصد بابتعاد المسلمين عن العقيدة الإسلامية أنهم انكروها أو كفروا بها
انما نقصد بابتعادهم عن العقيدة الإسلامية هو سوء فهمهم لمفاهيم هذه
العقيدة ، وسوء الفهم يؤول الى سوء في السلوك ، وهذا هو الذي وقع
فيه المسلمون اليوم .

أولا : الأسباب الذاتية :١ - سوء فهم مفهوم الإيمان :

مفهوم الإيمان لدى السلف الصالح هو : " التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح ^(١) . فالإيمان له ثلاثة عناصر هي : اعتقاد بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح ، ولا يتم إيمان عبد آمن بعنصر واحد من هذه العناصر ، بمعنى أن الإنسان لو اعتقد بقلبه أن الله هو الواحد الأحد الفرد الصمد ، وأنه هو الخالق ، الرازق ، المحي ، المميت .. ، ولم يتلفظ بالشهادتين ، ولم يعمل بمقتضاها ، فإنه لا يستحق اسم مؤمن . وكذلك لو اعتقد بقلبه وأقر بلسانه ولم يعمل بمقتضى الشهادتين فإنه لا يستحق اسم مؤمن . أما إذا اعتقد بقلبه وأقر بلسانه وعمل بمقتضى الشهادتين فإنه يستحق اسم مؤمن ^(٢) . لذلك عرف بعض السلف الإيمان

بأنه : " حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم علما ، والتصديق به عقدا ، والإقرار به نطقا ، والإتيان له محبة وخضوعا ، والعمل به باطنا وظاهرا ، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان ، وكماله في الحب في الله والبغض في الله ، والعطاء لله والمنع لله ، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده " ^(٣) .

وكذلك عرف بأنه :

" عقيدة تستقر في القلب إستقرارا يلزمه ولا ينفك عنه ، ويعلم صاحبها بلسانه عن العقيدة المستكنة في قلبه ، ويصدق الاعتقاد والقول بالعمل " ^(٤) .

(١) يحيى بن شرف بن مري النووي : صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ،

ج ١ ص ١٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ) المعروف بابن قيم الجوزية : الفوائد ،

بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٣ هـ ، ط ٢ ، ص ١٠٧ .

(٤) عمر سليمان الأشقر : العقيدة في الله ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

ومما يدل من القرآن على أن الإيمان مستلزم للأعمال قول الله تعالى :

« إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ »^(١).

وقول الله تعالى :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ »^(٢).

وقول الله تعالى :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ... »^(٣).

وقول الله تعالى :

« قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ، فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ .. »^(٤).

وقول الله تعالى :

« لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ تَمَازَىٰ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ، وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ ، وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ، وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ .. »^(٥).

(١) سورة السجدة ، آية : ١٥ .

(٢) سورة الحجرات ، آية : ١٥ .

(٣) سورة الانفال ، آية : ٢ - ٤ .

(٤) سورة المؤمنون ، آية : ١ - ٩ .

(٥) سورة البقرة ، آية : ١٧٧ .

وقول الله تعالى :

« عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ
الْكَاذِبِينَ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن
يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ، إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي
رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ » (١)

ففي الآيات الأخيرة نلاحظ أن الاستئذان في ترك الجهاد في سبيل الله
لا يصدر من مؤمن بالله واليوم الآخر ، إنما يصدر من الذين لا يؤمنون بالله واليوم
الآخر . (٢)

وكذلك ورد في القرآن الكريم نفى الإيمان عن لم يأت بالعمل ، قال الله تعالى :

« وَيَقُولُونَ كَوَّامَنَا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِّنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ » (٣)

ففي هذه الآية نفى الله الإيمان عن تولى عن العمل ، ولئن كان قد أتى بالقول (٤)

فالإيمان لا ينفك عن العمل ، لأن العمل نتيجة من نتائج الإيمان وثمرته من
ثمراته ، وهو مظهره الذي يظهر به للناس . (٥)

وقد ظهر أثر الإيمان بالله في حياة الأجيال الأولى من المسلمين ، فعند ما
آمنوا بالله سبحانه وتعالى وأقروا أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ،
وعملوا بمقتضيات هذه الشهادة ، تغير كل شيء في حياتهم ، تغيرت النفوس وتغير
واقع الحياة . " - فحين - كانت الأكمة في حسم متعددة كان الضياع والتيه ،
وكان الارتكاس في الحمأة الجاهلية ، وكان فساد الأخلاق ، وكان ضيق الأفق ،

(١) التوبة ، آية : ٤٣ - ٤٥ .

(٢) أحمد بن تيمية : الإيمان ، دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠١ هـ ، ط ٣ ، ص ١٥٣ .

(٣) النور ، آية : ٤٧ .

(٤) أحمد بن تيمية : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(٥) على الطنطاوي : تعريف عام بدين الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٩٩ .

وسطحية الإهتمامات وقربها وأنانيتها ، وكان الظلم المتبادل (١) . ولكن بمجرد أنهم آمنوا بالله سبحانه وتعالى ، وأقروا أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وعملوا بمقتضيات هذه الشهادة ، تغير هذا كله ، " فوجدوا بعد ضياع ، ورشدوا بعد تيه ، وارتفعوا بعد إرتكاس ، وسمت أخلاقهم بعد فساد ، واتسعت آفاقهم بعد ضيق ، وعمقت إهتماماتهم ، وبعدت آمادها ، ونهبت عنها أنانيتها ، وصارت الأخوة مكان التظالم (٢) .

فلم يكن الإيمان في حسن الأجيال الأولى من المسلمين مجرد التلفظ بالشهادتين والتصديق بها ، إنما كان بالإضافة إلى التصديق والإقرار بالعمل بمقتضى ذلك الإيمان في واقع الحياة ، وفي جميع مجالات الحياة ، لذلك كانت تلك الأجيال " خير أمة أخرجت للناس " ، وكانت هي الأمة الممكنة في الأرض ، وكانت هي أمة العلم والحضارة وأمة القيم والأخلاق (٣) .

ولكن مفهوم الإيمان هذا ، ظل يضم تدريجياً خلال القرون المتوالية في حسن الناس ، وظل مفعوله يضم في داخل النفوس وواقع الحياة (٤) ، حتى وجد في العصر الأخير من يقول : " من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن ولو لم يعمل عملاً واحداً من أعمال الاسلام (٥) .

وفي ظل هذا الفهم المشوه للإيمان في ديار المسلمين ، ترى المسلم واليهودي والقبطي يتعاضون سنين عدداً ، ولكنك لا تستطيع أن تميز أحدهم من الآخر في شيء .

" الكل لا يدخل المسجد ، ولا يقيم فريضة ، ولا يحترم لله شعيره .
والكل يشرب الخمر ، ويأكل الربا ، ويفجر بالأعراض .

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٦٧ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .

(٤) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

وغاية ما بينهم من فوارق ، أن اليهودى يقدر يوم السبت ، وقد
يذهب المسيحى إلى كنسيته خلصة .
أما ذلك المسلم المزعوم ، فليس يربطه بالاسلام إلا اسم سجل
فى شهادة الميلاد فحسب " (١) .

ولذا سلمنا بأن الإيمان هو مجرد التصديق والإقرار ، كيف يمكن لنا أن ننفذ أوامر
الله التى أمرنا بها فى جميع مجالات الحياة ، وكيف يمكن لنا أيضا أن نجتنب
النواهى التى نهانا الله عنها ، ألم يأمرنا بالصلاة ، ألم يأمرنا بالزكاة والحج ، ألم
يأمرنا بالتعاون على البر والتقوى ، ألم يأمرنا بإعداد العدة لأعداء العقيدة
الاسلامية ، ألم يأمرنا بالجهاد ، ألم يأمرنا بالسعى فى طلب الرزق ، ألم يأمرنا
بالسعى فى طلب العلم ، ألم يأمرنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... ،
والم ينهانا عن الزنا ، والسرقة ، والغش ، وشرب الخمر ، والكذب ، والنفاق ... وغير ذلك .
كيف ننفذ هذه الأوامر ؟ ! ، وكيف نبتعد عن هذه النواهى ؟ ! .

إن من مستلزمات التلطف بالشهادتين ، أن يلتزم الإنسان بفعل الأوامر التى
أمره الله بها ، وأمره بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويجتنب النواهى التى نهاه
الله عنها ، ونهاه عنها رسوله صلى الله عليه وسلم .

" - فالنطق - بالشهادتين بداية لما بعده من اعتقاد وعمل ،
لا ماتحسب الأبحار الكليلة والهمم القاصرة من أن مجرد النطق
فيه الكفاية والغناء .

وحروف هذه الكلمة - كلمة التوحيد - منافذ تفضى بالإنسان إلى
ساحات رحبية وآفاق ممتدة يشرب القلب فيها حقيقة التوحيد
الخالص كلما سجد لبارئه وبادر إلى مرضاته ونفر من مساخطه ،
وأدى الواجب وترك المحرم .

وأدرا أن الشرك ليست كلمة تلوث الفم وحده حتى تطهرها كلمة

(١) محمد الغزالي : عقيدة المؤمن ، دمشق - بيروت ، دار القلم ، ١٣٩٩ هـ ،

مقابلة ينطق بها الفم .

ولكن الشرك توجه الفؤاد لما دون الله ، وعمل الجوارح لغير الله .
فإذا لم يسيطر التوحيد على القلب والجوارح ، ويتحول إلى قوة
باعثة إلى العمل الصالح فلا قيمة له !! .

إن كلمة التوحيد حصانة البشرية من الخنوع للآلهة المزيفة .
وهذه الآلهة ليست حجرا منحوتا فحسب ، بل كل ما يقطع صلة
الإرادة الانسانية بالله ، ويربطها - بغيره - فهو ذريعة للشرك .
وهناك ألوف مزقت المعاصي صلتهم بالله شر ممزق ، وظلت أهواؤهم
تجرح بهم بعيدا عن الله حتى نسوا الله أثم نسيان .

فلو قارنت بين ضمائرهم وضمائر أهل الجاهلية الأولى ، ما وجدت
فارقا بين جحود وجحود ... !! .

إلا أن هؤلاء نطقوا بكلمة التوحيد ولم يفهموها ، وأولئك فهموها
ولم ينطقوا بها .

لم تكن - كلمة التوحيد نبتا مشلولا في تربة خبيثية -
ولكنها نبت تمتد أصوله في القلب الخصب ، وتظهر آثاره ظللا
وارفة وثمرات شهية .

تظهر أعمالا طلبها الاسلام وأكدها ، وربط وجوده بنمائها ووفرته^(١) :

قال تعالى :
« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا
ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ،
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ »^(٢) .

ووجد في المسلمين اليوم من يحتج ببعض الأحاديث في تهوين قيمة العمل

في الاسلام ، من تلك الأحاديث الحديث التالي . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(كان مع بني إسرائيل رجلان متواخيان ، أحدهما مذنب والآخر
في العبادة مجتهد ، فكان المجتهد لا يزال يلقي الآخر على ذنب

(١) محمد الغزالي : عقيدة المسلم ، مرجع سابق ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢) سورة إبراهيم ، آية : ٢٤ - ٢٥ .

فيقول له : أقصر، فقال خلّني وربّي، أُبْعِثَ عَلَيَّ رَقِيًّا ؟ فقال له :
والله لا يغفر الله لك، أو قال : لا يدخلك الجنة، فقبض الله
أرواحهما، فاجتمعا عند ربّ العالمين، فقال الربّ تعالى للمجتهد
: أكنت على ما في يدي قادراً ؟ ! وقال للمذنب : اذهب فادخل
الجنة برحمتي، وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار (١) .

ويوضح الشيخ محمد الغزالي هذا الحديث بقوله :

" هذا الحديث نظر إليه العلماء ففهموا منه المعنى الوحيد
الذي يفهم منه . وهو : أن الرجل المستكبر بطاعته، أبعد عن
الله من الرجل المستخذي بمعصيته .. وهذا حق، فهناك ممن
يلبسون مسوح الدين، رجال يحسبون أنهم ببعض صلوات أقاموها
قد شاركوا الله في تقرير مصير العباد، وأنهم يحملون معه مفاتيح
الجنة والنار .

... ويستحيل أن يكون هذا الحديث .. مناقضا لقول الله في كتابه :
﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ، أَفَبَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ
كَالْمُجْرِمِينَ ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ، أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ، إِنَّ لَكُمْ
فِيهِ لَمَا تَخِيرُونَ ، أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِاللَّغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ
لَمَا تَحْكُمُونَ ، سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴾ (٢) (٣) .

ومن تلك الأحاديث أيضا حديث البطاقة، الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم :

(إن الله تعالى سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم
القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلا، كل سجل مثل مد البصر،
ثم يقول : أتتكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول :
لا يارب .

فيقول تعالى : بلى : وإن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم،
فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله، فيقول : يارب، ماهذه البطاقة مع هذه السجلات ؟

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة القلم، آية : ٣٤ - ٤٠ .

(٣) محمد الغزالي : عقيدة المسلم، مرجع سابق، ص ١٤٥ .

فقال : فإنك لا تظلم .

فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات ،
وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله شئ (١) .

ويوضح الشيخ محمد الغزالى هذا الحديث بقوله :

" هذا حديث مثير للدلالة ، وهو لو أخذ على ظاهره يضع عن
الناس شتى التكاليف الإلهية ، ويبطل قوله تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ
لَا يَصْلِحُ عَمَلُ الْمُفْسِدِينَ ، وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)) (٢) .
وعندى أن هذا الحديث - وإن استقام سنده - إنما يصح فى
شخص مشرك ، قضى حياته فى الفساد ، ثم آمن قبل أن يحسب
أجله بقليل فلم يستطع بعد إسلامه أن يبقى مدة يصلح فيها
ما مضى ، والحديث بهذا ينوه بما لخاتمة الإيمان من قيمة ،
والتوحيد لله من منزلة .

أما إطلاق هذا الحديث وأشباهه بين العوام وبين الناشئة
دون وعى فهو هدم للدين كله ، وهو الأساس لتكوين طوائف
من المتدينين ، تحط من قدر الإيمان وأثره .. (٣) .

وهكذا أصبح الإيمان فى مفهوم غالبية المسلمين اليوم تصديق وإقرار فقط .

أصبح كلمة تقال باللسان وليس لها أى أثر فى نفوس البشر ولا فى حياتهم ،
وهذا عائد بالطبع إلى سوء فهم لحقيقة الإيمان ، وسوء الفهم يؤدى إلى سوء فى
السلوك .

ولا جرم أن تصبح الأمة التى تنتشر فيها هذه الأفكار الفاسدة عن الإيمان ،

هى الغثاء الذى أخبر عنه صلى الله عليه وسلم منذرا ومحدرا :

(يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها .
قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : أنتم يومئذ كثير ،

(١) رواه الترمذى .

(٢) سورة يونس ، آية : ٨١ - ٨٢ .

(٣) محمد الغزالى : عقيدة المسلم ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ ، ١٣١ .

ولكنكم غثاء كغثاء السيل (١) .

وتتداعى الأعمى بالفعل على ذلك الغثاء ، وهو قانع بالتصديق والإقرار ، توهماً منه أنه بذلك حائز على الإيمان (٢) .

٢ - سوء فهم مفهوم القضاء والقدر :

الإيمان بالقضاء والقدر ركن أساسى من أركان العقيدة الإسلامية ، ومعناه :

(أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ، ثم أوجد ما سبق فى علمه أنه يوجد ، فكل محدث صادر عن علمه وقد رتبته وإرادته (٣) .

قال تعالى : « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤) » .

وقال تعالى :

« وَلَوْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٥) » .

وقال تعالى :

« مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّا نَزَّلُكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٦) » .

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بالقدر خيره وشره ، ولا يحتجون بالقدر على المعاصى .

لكن هناك بعض الناس انحرفوا عن جادة الطريق حينما يقررون بأن ما يقدر

على أحدهم من المعاصى والذنوب إنما هو جارٍ بقضاء الله وقدره .

فحينما يسأل الزانى : لم زنيت ؟ فيقول لأنه قدر على !

(١) أخرجه أحمد ، وأبو داود .

(٢) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح ، مرجع سابق ، ص ٨١ .

(٣) أحمد بن على بن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ،

مرجع سابق ، ج ١ ص ١١٨ .

(٤) سورة القمر ، آية : ٤٩ .

(٥) سورة الحجر ، آية : ٢١ .

(٦) سورة الحديد ، آية : ٢٢ .

وهذه الإجابة خاطئة ومردودة من جهتين :

أ - أن - الحساب والعقاب يكون على العمل ، وعلى الدوافع إليه ، والبواعث عليه . وهذا الزانى لم يطلع على اللوح المحفوظ ، وير أن الزنا مكتوب عليه - كما يزعم - ويذهب ليزنى تنفيذا لحكم القدر ، وإنما تبع الشهوة ، وطلب اللذة العاجلة ، واستجاب لنداء الشيطان . وقد احتج المشركون بمثل هذه الحجة فقالوا :

« كَوَشَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا » .

فرد الله عليهم بقوله « قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا؟ » (١) أى : من أين عرفتم قبل أن تشركوا أن الشرك مقدر عليكم ؟ وهل جريتم إلايمان فوجدتم أنه ممتنع عليكم ؟ .

ب - أن لو كان هذا المحتج بالقدر صادقا ، لرضى بكل ما يقدره الله عليه ، من فقر ومرض وجوع ، وفقد حبيب ، وذهاب مال ، والمشاهد أنه لا يرضى بذلك ، وهو مقدر عليه ، ولا يسكن إليه ، بل هو يعمل لجمع المال ، ودفع المرض ، وإزالة الجوع ، ويألم لفقد الحبيب ، وذهاب المال ، فلماذا سخر قواه كلها ، واستعمل عواطفه لجلب لذة الدنيا ، ودرء الألم فيها ، ولم يسخر عقله لقمع الشهوة ، ومنع النفس من الحرام الذى ترغب فيه ، وهو يعلم ما فى عقبه من العذاب ؟ (٢)

والبعض يحتج بحديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام ، فى أن ما يقع فيه العبد من الذنوب إنما هو بقدر الله ، وحديث احتجاج آدم وموسى هو قوله صلى الله عليه وسلم :

(احتج آدم وموسى ، فقال موسى أنت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ ، فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى اصطفاك الله برسالاته وكلامه ، فهل وجدت ذلك مكتوبا على قبل أن أخلق ؟ قال : نعم . قال فحج آدم موسى) (٣)

(١) سورة الأنعام ، آية : ١٤٨ .

(٢) على الطنطاوى : تعريف عام بدين الاسلام ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

ويعلق ابن تيمية على هذا الحديث بقوله :

"وَأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَحْتَجْ عَلَى مُوسَى بِالْقَدْرِ ظَنًّا أَنَّ الْمَذْنِبَ يَحْتَجُ بِالْقَدْرِ، فَإِنْ هَذَا لَا يَقُولُهُ مُسْلِمٌ، وَلَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ، وَلَوْ كَانَ هَذَا عَذْرًا لَكَانَ لَا بَلِيسَ وَقَوْمُ نُوحٍ وَقَوْمُ عَادٍ وَكُلُّ كَافِرٍ، وَلَا مُوسَى أَيْضًا لَا أَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَجْلِ الذَّنْبِ، فَإِنْ أَدَمَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَاجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ، وَلَكِنْ لَا مَهْلَ لِأَجْلِ الْمَصِيبَةِ الَّتِي لَحَقَتْهُمْ بِالْخَطِيئَةِ، وَلِهَذَا قَالَ لَهُ : (فَلَمَّا ذَا أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسُكَ مِنَ الْجَنَّةِ) فَأَجَابَهُ أَدَمُ بِأَنَّ هَذَا كَانَ مَكْنُوعًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ، فَكَانَ الْعَمَلُ وَالْمَصِيبَةُ الْمُرْتَبَةِ عَلَيْهِ مَقْدَرًا، وَمَا قُدِّرَ مِنَ الْمَصَائِبِ يَجِبُ الْاسْتِسْلَامُ لَهُ فَإِنَّهُ مِنْ تَمَامِ الرِّضَاءِ بِاللَّهِ رَبًّا " (١).

ويقول الخطابي في حديث موسى وَأَدَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ :

" قَدْ يَحْسَبُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ مَعْنَى الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ إِجْبَارُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْعَبْدَ عَلَى مَا قَدَرَهُ وَقَضَاهُ، وَيَتَوَهَّمُ أَنَّ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَحَجَّ أَدَمَ مُوسَى) مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَتَوَهَّمُونَ وَلَرَنَّا مَعْنَاهُ الْإِخْبَارُ عَنْ تَقَدُّمِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا يَكُونُ مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَاكْتِسَابِهِمْ.. وَلَرَنَّا كَانَ مَوْضِعَ الْحُجَّةِ لِأَدَمَ : أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ عَلِمَ مِنْ أَدَمَ أَنَّهُ يَتَنَاوَلُ الشَّجَرَةَ وَيَأْكُلُ مِنْهَا فَكَيْفَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَرِدَ عِلْمُ اللَّهِ فِيهِ وَأَنْ يَبْطُلَ بَعْدَ ذَلِكَ ! .. (٢).

وقد أحضر أحد اللصوصيين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فسأله لم سرقت ؟ . فقال : قَدَّرَ اللَّهُ ذَلِكَ، فقال عمر رضي الله عنه : اضربوه ثلاثين سوطاً، ثم اقطعوا يديه . فقيل له : ولم ؟ فقال : يقطع لسرقته، ويضرب لكذبه على الله . (٣)

(١) أحمد بن تيمية : العبودية ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ٤٠٤ هـ ، طبعته جديدة ، ص ١٠ .

(٢) نقلاً عن : محمد المجذوب : مشكلات الجيل في ضوء الإسلام ، د . م . دار الاعتصام ، ١٣٩٩ هـ ، ط ٣ ، ص ٩٠ .

(٣) سيد سابق : العقائد الإسلامية ، بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٨ هـ ، د . ط ، ص ٩٨ .

ما سبق نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قدّر كل ما كان وسيكون ، ولكن هذا لا يعني الجبر ، لذلك لا يصح للناس أن يتذرعوا بأن الله قدّر عليهم المعاصي . والإيمان بالقضاء والقدر لا يتخذ سبيلا إلى التواكل ، ولا يتخذ ذريعة إلى المعاصي ، ولا طريقا إلى الكسل والخمول ، ولا طريقا إلى القول بالجبر ، وإنما يجب أن يتخذ سبيلا إلى تحقيق الغايات الكبرى من جلائل الأعمال (١) .

ولقد كشف النبي صلى الله عليه وسلم لأئمة بسلوكه الترجمة الحقيقية لمفهوم القضاء والقدر ، حين أخذ الأسباب ، واعتمد بقلبه على الله في تحقيق ما يصبوا إليه . فقد قاوم صلى الله عليه وسلم الفقر بالعمل ، وقاوم الجهل بالعلم ، وقاوم المرض بالعلاج ، وقاوم الكفر والمعاصي بالجهاد (٢) .

فلم يقعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا صحابته رضوان الله عليهم عن نشر الدعوة ، انتظارا لما يأتيهم به القدر من هداية للبشر ، ولم يقعدوا عن الجهاد انتظارا لما يأتيهم به القدر من نصير .

ولم يقعدوا عن طلب الرزق ، بل سعوا في طلب الرزق لأنهم علموا أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، حفروا الخنادق ، ولبسوا الدروع ، واستخدموا الجواسيس ، واستعانوا بالأصدقاء ، وتداووا ، وأمروا بالتداوى ، وسعوا في طلب الرزق ، وحشروا عليه غيرهم (٣) .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ، أن الأخذ بالأسباب المشروعة هي من قدر الله ، حين قيل له : "أرأيت رقي نسترقى بها ، وتقى نتقى بها ، وأدوية نتداوى بها ، هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال : هي من قدر الله" (٤) .

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك ، روى البخاري : أن عمر رضي الله عنه لما خرج إلى الشام لقيه أمراء الأمصار ، وأخبروه بانتشار الوباء فيها

(١) سيد سابق : العقائد الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) محمد بيسار : العقيدة والأخلاق ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٣ م ، ط ٤ ، ص ١٧٠-١٧١ .

(٤) محمد بن أبي بكر ، المعروف بابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدى خير العباد ، تحقيق محمد حامد فقي ، مصر ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧١ هـ ، د . ط ، ج ٣ ، ص ١٤١ .

فاستشار المهاجرين والأنصار، ثم مهاجرة الفتح من مشايخ قريش، فاجتمع المهاجرة على الرجوع، بعداً عن الوفاء، وأمر بذلك عمر، فقال له أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة. نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله. أريت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان، إحداهما خضبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعت الخضبة رعيته بقدر الله، وإن رعت الجدبة رعيته بقدر الله؟^(١) فلاخذ بالأسباب إذا من قدر الله لدفع قدر الله، ولكن الالتفات إلى الأسباب واعتبارها مؤثرة في المسببات، شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب قدح في الشرع.^(٢)

وقد فهم السلف الصالح العلاقة بين الإيمان بالقدر وتعاطي الأسباب وعرفوا أن الأخذ بالأسباب داخل في معنى الإيمان بالقدر، وأنه من مقتضيات الإيمان بالقدر.^(٣)

يقول ابن القيم :

" لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله ...
 وإن تعطيلها يقدح في نفس التوكل ... فإن تركها عجزاً ينافي
 التوكل الذي حقيقته إعتداد القلب على الله في حصول ما ينفع
 العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد مع
 هذا الإعتداد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع
 فلا يجعل العبد عجزه توكلًا، ولا توكله عجزاً ... " ^(٤)

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٠ ص ١٧٩ .

(٢) أحمد بن تيمية : مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بسن

قاسم ، الرباط ، مكتبة المعارف ، د . ت . د . ط ، ج ٨ ص ٥٢٨ .

(٣) محمد نعيم ياسين : الإيمان أركانه حقيقته نواقضه ، د . م . د . ن . د ، ١٤٠٥ هـ ،

ط ٤ ص ١٩٩ .

(٤) محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية : زاد المعاد ، تحقيق محمد

حامد فقي ، مصر ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧١ هـ ، د . ط ، ج ٣ ص ١٤٢ .

فالسلف الصالح ومن تبعهم بإحسان آمنوا بأن كل ما يحدث لهم مقدر من عند الله، ولكن ذلك لم يقعدهم عن الإيجابية واتخاذ الأسباب، انهم اتخذوا الأسباب عبادة لله، وآمنوا بأن النتائج التي يتوصلون إليها هي قدر قدره الله، وأنهم ليست حصيلة الأسباب التي اتخذوها، كما آمنوا بأن الأسباب لا تؤدى بذاتها أداء حتميا إلى النتيجة، إنما تؤدى إلى النتيجة بقدر من الله، وآمنوا بأن لو شاء الله ألا يوصل السبب إلى النتيجة فإن الذى ينفذ بالفعل هو ارادة الله وليس حتمية الأسباب (١).

هذا المفهوم الصحيح لعقيدة القضاء والقدر كان له أثره الكبير فى حياة السلف الصالح، فقد دفعهم إلى العمل فى كل مجال من مجالات الحياة، وإلى الجهاد فى سبيل الله، وإلى السعى فى طلب العلم، وإلى السعى فى طلب الرزق، وإلى عمارة الأرض بمقتضى المنهج الربانى. فهم لم يتخذوا الإيمان بالقضاء والقدر سبيلا إلى التواكل، ولا ذريعة إلى المعاصى، ولا طريقا للكسل والخمول، ولا حجة إلى القول بالجبر (٢)، إنما اتخذوه سبيلا إلى تحقيق الغايات الكبرى من جلائل الاعمال، لتغيير الواقع السيئ فى جميع المجالات، فافتتحوا المدارس، ونشروا العلم، وأنشأوا المكتبات، وابتكروا المنهج العلمى التجريبي، ونشروا العقيدة الاسلامية فى معظم أصقاع المعمورة فى ذلك الوقت، واهتموا بالزراعة، وبنوا السدود، وأقاموا صناعات متعددة، وأنشأوا المستشفيات وغير ذلك من الأعمال الجليلة، وهم فى كل ذلك ملتزمين بتعاليم العقيدة الاسلامية، وبأخلاقيات العقيدة الاسلامية.

ولكن فى العصر الحالى تغير هذا المفهوم عند معظم المسلمين، فبدلا من كونه فى مفهوم الأجيال الأولى قوة دافعة إلى الأمام فى جميع مجالات الحياة،

(١) محمد قطب: مفاهيم ينبغى أن تصحح، مرجع سابق، ص ٢٧٧.

(٢) سيد سابق: العقائد الاسلامية، مرجع سابق، ص ٩٨.

أصبح اليوم قوة مشبطة عن العمل في جميع المجالات ، وذلك لسوء فهم مفهوم القضاء والقدر .

لقد اتخذ كثير من المسلمين الجاهلين عقيدة القضاء والقدر حجة لا ارتكاب المعاصي ، وسببا للكسل والخمول ، واستسلاما للواقع السيئ ، باعتباره نتيجة تقدير الله السابق وقضائه المنفذ وفق إرادته (١) .

من ذلك أن الأجيال الحالية قرأت أن الرزق مقسوم ، وأن ما كان لك سوف يأتيك على ضعفك ، وما كان لغيرك لن تناله بقوتك ، ففهمت أن مقتضى ذلك ترك الكسب ، وإهمال السعى في طلب الرزق ، والقعود بلا عمل ، وقرأت ذلك الأجيال الأولى ، ففهمت منه أن عليها أن تعمل بكل ما في وسعها ، وأن تبذل طاقتها لجمع المال من الحلال ، ثم إذا استفرغوا الجهد رضوا بما جاءهم ، فلم يسخطوا على ربهم ، ولم يحملوا الحسد لمن نال من إخوانهم أكثر مما نالوا ، ولم ييظروهم الغنى ، ولم يؤلمهم الفقر .

وقرأت الأجيال الحالية أن الأجل محتوم ، فاتخذت ذلك سببا لإهمال التوقي والإحتياط وعدم إعداد القوة ، وقرأت ذلك الأجيال الأولى فقالوا : إذا كان الأجل محتوما لا يموت أحد قبل موعدة ، ولو خاض اللهب وتلقى بصدرة الرماح والسهام ، ولا يتأخر عن موعدة ولو اعتصم في حصن له سبعة أسوار ، فلنعمل لما يرضى الله ، ولنعد القوة ، ونجاهد بأنفسنا في سبيل الله ، لا نخشى الموت لأن الموت محتوم ، له موعد لا يسبقه ولا يتأخر عنه ، ولنجاهد بالسنتنا في إنكار المنكر ، ومواجهة الطاغى الظالم بكلمة الحق ، فأقبلوا لا يخشون في الحق أحدا ، ولا يخافون في الله لومة لائم .

وقرأت الأجيال الحالية أيضا أن كل شيء مقدر ، فأهملت دراسة سنن الله في الكون ، وقوانين الطبيعة فكان من نتيجة ذلك أن هبطنا من الذروة إلى الحضيض ،

(١) الثقافة الإسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المستوى الرابع ، ص ١٠٦ .

ونزلنا من الأعلى إلى الأسافل في جميع مجالات الحياة . وكان سلفنا الصالح أساتذة في معرفة سنن الله في الكون ، فاستفادوا من تلك المعرفة ، وكانوا سادة الدنيا وقادتها وأساتذتها ^(١) .

وقد أدى هذا الفهم الخاطئ لعقيدة القضاء والقدر إلى نتائج خطيرة من أهمها ترك الكسب والإرتزاق ، وترك السعى في طلب العلم ، والاستسلام للواقع السيئ في جميع المجالات باعتباره نتيجة تقدير الله السابق ، وقضائه المنفذ وفق إرادته . وهذا في نظر الباحث من أخطر النتائج الناتجة عن سوء فهم مفهوم عقيدة القضاء والقدر .

ولقد لعبت الصوفية دورا كبيرا في تشويه مفهوم القضاء والقدر - لدى عامة المسلمين - على مر القرون ، وذلك حين اعتبرت أن تغيير الواقع السيئ من مرض أو عجز أو فقر أو ذل أو عبادة غير الله مع الله ، أو تخلف علمي وحضاري ، تمردا على قدر الله ، لأنه ما حدث إلا بقدر من الله ، ولو شاء الله غير ذلك لكان ^(٢) ، وحين اعتبرت الأخذ بالأسباب ينافي حقيقة التوكل على الله .

والدليل على فساد المفهوم الأول ^(٣) ، أن العقيدة الإسلامية حثت معتنقيها على التداوى ، وعلى الكسب ، وعلى السعى في طلب الرزق ، وعلى نشر الدعوة الإسلامية الصحيحة ، وعلى السعى في طلب العلم ، وعلى عمارة الأرض ماديا بمقتضى المنهج الرباني .

ولو كان الإيمان بالقضاء والقدر معناه السكوت والإستسلام لاقتضى ذلك أن يسكت محمد صلى الله عليه وسلم على ما كان عليه قومه من الشرك والفساد ، لأنه قضاء وقدر ، ولكن الذي فعله صلى الله عليه وسلم عكس ذلك ، فقد أنكر ما كان عليه قومه من الشرك والفساد في الأخلاق ولم يرض به وحاربه حتى أزاله وغيره .

(١) علي الطنطاوي : تعريف عام بدين الاسلام ، مرجع سابق ، ص ١٦١ .

(٢) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٧٩ .

(٣) المقصود بالمفهوم الأول : أن تغيير الواقع السيئ يعتبر تمردا على قدر الله .

وكذلك قاوم صلى الله عليه وسلم الفقر بالعمل ، وقاوم الجهل بالعلم ، وقاوم المرض بالعلاج ، فلم يقعد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا صحابته رضوان الله عليهم عن نشر الدعوة وانتظارا لما يأتيهم به القدر من هداية للبشر ، ولم يقعدوا عن الجهاد وانتظارا لما يأتيهم به القدر من نصر ، ولم يقعدوا عن طلب الرزق بل سعوا في طلب الرزق لأنهم علموا أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .^(١)

وقد سارت الأجيال الأولى على طريقة نبيها محمد صلى الله عليه وسلم ، فسي تغيير الواقع السيئ في جميع مجالات الحياة ، أما الصوفية فإنها ..

" في حقيقتها عملية هروب عن مواجهة الواقع ومجالدته .. هروب إلى عالم (خاص) من صنع الوجدان ، ينعم فيه الإنسان (بمشاعر) القرب من الله - وهما أَوْ حَقًّا - فيقعد عن (العمل) إكتفاءً بتلك المشاعر التي تختصر له الطريق .

إن (الاعمال) وسيلة للقرب من الله .. ولكن ما حاجة (الواصل) إلى الوسيلة وقد وصل بالفعل ؟ !

كذلك يقعد الصوفية عن العمل والكدح في واقع الحياة الدنيا ، كما يقعدون عن مجالدة الواقع المنحرف لردّه إلى سواء السبيل ، ويكتفون بتلك المشاعر التي تخيل إليهم أنهم قريبون من الله واصلون إليه عائشون في حضرته ، سابحون في نوره " .^(٢)

فالصوفية صورة سلبية تتطهر بالانعزال عن الواقع السيئ في جميع مجالات الحياة ، فهي لا تواجهه ولا تقاومه ، ولا تقاتله ، فتكون النتيجة - حين ينزعزل الأتقياء الصالحون كلهم عن تيار الحياة في المجتمع - أن يستأسد الشر ويستشري ، لأنه يعمل في الميدان وحده بغير مقاومة من العنصر النظيف في المجتمع .

والعقيدة الإسلامية لا تقر هذه الانعزالية حتى لو كانت توفر لأصحابها التطهر الحقيقي ، لأنها أشبه بالرهبانية ، ولا رهبانية في الإسلام .^(٣)

(١) محمد بيصار : العقيدة والأخلاق ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ .

(٢) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٣) الثقافة الإسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المستوى الرابع ، ص ٦٠ .

أما الدليل على فساد المفهوم الثانى - وهو أن الأخذ بالأسباب ينافى حقيقة التوكل على الله - هو أن سيد المتوكلين محمد صلى الله عليه وسلم ، كانت جميع أعماله قائمة على إتخاذ الأسباب ، لأنه علم أن لله سننا فى كل شئ ، إذا طبقت هذه السنن كلا حسب مجالها فإنها تؤدى إلى الأهداف المقصودة . فقد اتخذ صلى الله عليه وسلم السلاح ، وحفر الخندق ، وخطط للهجرة أحسن تخطيط ، (ولم يقل أخرج على التوكل ، بل كان يبدنه مع الأسباب ويقلبه مع المسبب)^(١) وأمر بتأبير النخل بعد أن أمر بتجربة تركه فلم يثمر^(٢) .

والتوكل على الله من أفضل العبادات القلبية ، وعرف بأنه : " اعتماد القلب على الله فى جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله وفعل الأسباب " .^(٣)

وقد ورد ذكر التوكل فى القرآن مقرونا بالإيمان ، قال تعالى :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ »^(٤) .

وقال تعالى : « وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ »^(٥) .

وقد حدث أن سأل أحد الأعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن ناقته : أيتها عند باب المسجد ويتوكل على الله ؟ فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم ، أن يعلمه أن التوكل على الله لا يتم إلا بعد أن يستنفذ المؤمن جهده فى استعمال السنن الطبيعية ، وفى مقدمتها هنا تقييد الناقة ، لأن تقيدها يمنعها من الفرار ،^(٦) لذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل (أعقلها وتوكل)^(٧) .

(١) عبد الرحمن بن الجوزى : تلخيص ابلين ، د. م ، دار الفكر ، د. ت ، د. ط ، ص ٣٠٥ .

(٢) الثقافة الاسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المستوى الرابع ، ص ١٠٦ .

(٣) عبد العزيز محمد سلمان : الكواشف الجليلة ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

(٤) سورة الأنفال ، آية : ٢ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ١٦٠ .

(٦) محمد المجذوب : مشكلات الجبل فى ضوء الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٨٧ .

(٧) رواه الترمذى .

قال ابن القيم : " أجمع السلف الصالح على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب .
فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها ، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد " (١) .

وقال سهل بن عبد الله التستري : " من طعن في التوكل فقد طعن في
الإيمان ، ومن طعن على الكسب فقد طعن على السنة " (٢) .

فالتوكل على الله طاقة إيجابية دافعة - ككل شيء في دين الله - يقوم به
المؤمن مع اتخاذ الأسباب والثقة بالله ، أما التواكل الذي تمارسه الصوفية -
الناج عن عدم الأخذ بالأسباب فهو - ككل شيء في الصوفية - صورة سلبية معطلة
تتقاعس عن اتخاذ الأسباب متذرة بالتوكل على الله (٣) . وهذا التواكل هو الذي
أصاب المسلمين في الوقت الحاضر ، وهو مرض إذا أصاب أمة من الأمم هوت في
مهاوى التخلف حسب سنن الله (٤) .

٣ - سوء فهم مفهوم العبادة :

إن الغاية التي خلق الله الخلق من أجلها هي العبادة - قال تعالى :
«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (٥) .

ولأجلها أرسل الله جميع الرسل ، قال تعالى :
«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» (٦) .

وقال تعالى :
«وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» (٧)

(١) محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية : مدارج السالكين ، تحقيق محمد

حامد الفقى ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٣٩٣ هـ ، ط ٢ ، ج ٢ ص ١١٦ .

(٢) عبد الرحمن بن الجوزى : تلبيس إبليس ، مرجع سابق ، ص ٢٨١ .

(٣) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

(٤) الثقافة الإسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المستوى الرابع ، ص ٦٢ .

(٥) سورة الذاريات ، آية : ٥٦ .

(٦) سورة النحل ، آية : ٣٦ .

(٧) سورة الانبياء ، آية : ٢٥ .

والعبادة "إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة" (١) .

فالصلاة والزكاة والصيام والحج عبادة ، وكذلك صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإمالة الأذى عن الطريق ، والمشي إلى الصلاة ، والجهد في سبيل الله ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمساكين ، والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء ، وذكر الله - من تسبيح وتهليل وتكبير واستغفار - وقراءة القرآن عبادة ، وكذلك حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وخشية الله ، والإجابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، كلها من العبادات لله (٢) . وكذلك السعى في طلب الرزق ، والسعى في طلب العلم عبادة ، ونشر الدعوة الإسلامية عبادة ، والتفكير في الكون عبادة ، وإصلاح ذات البين عبادة ، وعمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني عبادة ، إلى غير ذلك من الأقوال والأعمال التي يحبها الله ويرضاها ، كلها تعتبر عبادة .

ولا تسمى هذه الأقوال والأعمال عبادة لله إلا إذا كانت مع التوحيد ، أما إذا خالطها الشرك فانه يفسدها (٣) .

فمفهوم العبادة في الاسلام مفهوم واسع يشمل الشعائر التعبدية ويشمل كل الحياة ، قال تعالى :

« قُلْ إِنِّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ.. » (٤)

وهذا المفهوم هو الذي سار عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم ، فهم لم يحصروا العبادة في الشعائر التعبدية فقط ، إنما كان في حسبهم أن حياتهم كلها

(١) أحمد بن تيمية : العبودية ، مرجع سابق ، ص ٤ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) محمد بن عبد الوهاب : ثلاث عشرة رسالة ، نقلا عن الجامع الفريد ، ص ٢١٤ .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ١٦٢ ، ١٦٣ .

عبادة، وأن الشعائر التعبدية إنما هي لحظات مركزة، يتزود الانسان فيها بالطاقة الروحية التي تعينه على أداء بقية العبادات المطلوبة منه في كافة مجالات الحياة^(١).
كان إحساس المسلم - من السلف الصالح - بواجبه في الجهاد في سبيل الله كإحساسه بواجبه في الصلاة. هنا يعبد الله، وهناك يعبد الله. وكان إحساسه بضرورة الزواج لكي يحصن نفسه من الوقوع في الفاحشة، ولكي يتخذ السبيل إلى تكثير الأمة الإسلامية التي تجاهد في سبيل الله لا قتلاع الشرك من الأرض، ونشر التوحيد وإقامة شريعة الله في ربوعها، هو إحساس العبادات. ولا يتناقض في حسه معنى العبادات مع الإحساس بمتعة الجسد مادامت في حلال أباحه الله.

كذلك كان إحساس المسلم بسعيه في طلب الرزق، وسعيه في طلبه للعلم، وعمارته للأرض، وكل نشاط جسده وعقله وروحه، هو إحساس العبادات^(٢).
لذلك حققت الأجيال الأولى ما حققته من منجزات رائعة في كل اتجاه. وما كانت تلك الأجيال لتقدر على ذلك حصون الشرك واقتلاعها بمثل هذه السهولة، وبمثل هذه السرعة التي لا مثيل لها في التاريخ.

وما كانت لتقدر على إبراز تلك المثل الرفيعة التي أبرزتها في عالم الواقع، من إقامة العدل الرباني في الأرض، ونظافة التعامل، والوفاء بالموثيق، وشجاعة النفس، والبطولة الغذة في ميدان القتال وميدان السلم سواء.

وما كانت لتقدر على إنشاء حركتها العلمية الضخمة التي رأينا بعض مظاهرها في الفصل الثاني، ولا حركتها الحضارية الفائقة التي رأينا بعض مظاهرها في الفصل الثالث، لولا هذا الإحساس العميق لديها بأنها في ذلك كله تقوم بالعبادة التي خلق الله الانسان من أجلها، وتقوم بها بذات الحس الذي تؤدى به الصلاة^(٣).

(١) محمد قطب: مفاهيم ينبغي أن تصحح، مرجع سابق، ص ١٨٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٠ - ١٩١. (٣) المرجع السابق، ص ١٩٢.

هذا المفهوم الشامل للعبادة في الاسلام تغير في العصر الحالي لدى معظم المسلمين ، فقد أساء معظم المسلمين في العصر الحالي فهم العبادة وذلك حين حصروها في الشعائر التعبدية ، وحين أخرجوا العمل من معنى العبادة ، وهذا لا يعني أن الاسلام لم يهتم بالشعائر التعبدية ، بل على العكس من ذلك ، فقد احتفى الاسلام بالشعائر التعبدية حفاوة ظاهرة ، فهي التي تربط القلب ربطاً دائماً ومتجدداً بالله ، وهي بمثابة محطات في الطريق يتزود منها الإنسان بالزاد الذي يعينه على بقية الطريق^(١) ، ولكنه في نفس الوقت لم يحصر العبادة المطلوبة في الشعائر التعبدية فقط ، بل جعل العبادة شاملة لجميع نشاط الإنسان .

وفي العصر الحالي أخرج العمل من دائرة العبادة ، بمعنى أن العمل في الحياة الدنيا انفصل في حسن الناس عن دائرة العبادة ، وصار للعمل ركيزة أخرى غير العبادة ، لتكن هي الكسب أو هي الإقتناء والملك ، أو هي الغلبة والسيطرة ، أو هي المتاع الحسى أو المتاع المعنوي ، أو أى دافع من الدوافع " الذاتية " التي تدفع الإنسان للإنتاج والعمل غير مرتبطة بالإيمان بالله أو التعبد إليه .. وصار في حس الإنسان أنه حين " يعبد " ينقطع عن العمل ، وحين " يعمل " ينقطع عن العبادة^(٢) .

وهذا المفهوم السيئ للعبادة كانت له نتائج سيئة في المجتمع الاسلامي ، فقد أصبح مألوفاً لدى أكثر الناس في العالم الاسلامي ، أن تجد الرجل يؤدى الشعائر التعبدية ثم يكذب ، وأصبح مألوفاً أن يخرج الرجل من الصلاة بالمسجد ثم يفش المسلمين ، وأصبح مألوفاً أن يخرج الرجل المسلم من الصلاة وقد خان الأمانة التي أوتمن عليها ، أو أخلف الوعد الذي التزم به^(٣) ، وأصبح مألوفاً أن يتعامل الرجل

(١) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح ، مرجع سابق ، ص ١٩٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

المسلم بالربا ، وأصبح مألوفاً أن يتعامل المسلمون بالرشوة ، وأصبح مألوفاً أن يتعامل المسلمون ببيع النجش .

وللأسف الشديد صار المنكر في بعض بلدان العالم الاسلامي أمراً مألوفاً ، أما المعروف فهو أمرٌ مستغرب ، حتى أن بعض الناس في العالم الاسلامي يعتبـرون الشخص الذي يصدق في الحديث ، ويتقن العمل ، ولا يخون الأمانة ، ولا يرتشى ولا ينافق شخص (أبله) أو (مغل) وأصبح الشخص الملتزم بتعاليم دينه في جميع شئون الحياة ، شخص شاذ أو نادر الوجود !!

هذا من ناحية إخراج العمل اليومي الذي يقوم به الانسان من دائرة العبادة .

أما من ناحية تثبيط الهم عن العمل واعتباره فضول يشغل عن الله وعن عبادته ، فقد كان للصوفية دوراً كبيراً في هذا المجال ، فهي قد حصرت العبادة في الشعائر التعبدية ، واعتبرت الجهاد وإنكار المنكر ، ورد الطغيان والإستعمار ، ومقاومة الظلم ، والعمل في جميع ما ينفع المسلمين من الأمور العامة فضول يشغل عن الله وعن عبادته ^(١) ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على جهل الفرق الصوفية . والصوفية بالإضافة إلى أنها ثبـطت الهم عن العمل ، فإنها ابتدعت عبادات جديدة ، بعضها من جنس العبادات الاسلامية ، كصيام أيام لم تشرع ، واختراع أدعية مخصوصة تقال في أزمنة معينة ، أو اختراع أوراد وأذكار تقال بأعداد كبيرة جداً ، وبعضها من غير جنس العبادات المشروعة كالندور للقبور ، أو اتخاذ أعياد ومواسم واحتفالات عندها ، أو في أيام مخصوصة ، وغير ذلك مما شاع وانتشر في معظم البلاد الاسلامية في صور متعددة ، حتى غدت العبادة في أصلها المشروع وزياداتها المبتدعة الشغل الشاغل الذي لا يُبقى مكاناً لجهاد أو لعمل اجتماعي نافع أو لعمارة الأرض أو لنشر العلم أو للتفكير في قضايا عامة تهم المسلمين ^(٢) ،

(١) الثقافة الاسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المستوى الرابع ، ص ١١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٤ .

لأن الصوفية ترى أن الانسان لا يستطيع أن يبلغ الغاية التي يسعى اليها وهي "الوصول" إلى الله ، إلا عن طريق الإشتغال الكلى بالعبادات المشروعة والمبتدعة^(١) ، وعن طريق الإستسلام الكلى للشيخ . وإذا " وصل " الانسان إلى الله فما قيمة الأعمال ، إنه ليس بحاجة إلى العمل ، لأنه قد " وصل " إلى الله !^(٢) .

وهكذا يقعد الصوفية عن العمل والكدح في واقع الحياة ، لأن الدنيا فسى مفهومهم الخاطيء هم وأتباعهم لا تستحق عند الله جناح بعوضه^(٣) ، ولأن العمل فى اعتقادهم يثقل الروح ويذهب عنها شفافيتها وطلاقتها^(٤) ، ويكتفون بتلك العبادات المحرفة والغير مشروعة التى تخيل اليهم أنهم قريبون من الله ، واصلون اليه عائشون فى حضرته ، سابحون فى نوره^(٥) .

والصوفية وإن كان فيها نزوع إلى تزكية الروح وتطهيرها - وهو من الاسلام - ونزوع الى الترفع عن متاع الأرض - وهو من الاسلام - ونزوع إلى ذكر الآخرة وما فيها من نعيم مقيم ، وعذاب مقيم - وهو من الاسلام - فإن فيها سلبية وإنعزالية ليست من الاسلام^(٦) ،

" فهى التى فرقت بين الدنيا والآخرة ، واتجهت إلى إهمال الدنيا بحجة تزكية الروح من أجل الآخرة ، وأهملت بالتالى عمارة الأرض على أساس أن الإشتغال بها يثقل الروح ويذهب عنها شفافيتها وطلاقتها ، ومن ثم أهملت العلوم المتصلة بتلك العمارة ، واعتبرتها نافلة تستطيع الأمة أن تستغنى عن أدائها بلا ضمير " .^(٧)

وكذلك أهملت الجوانب الحضارية ، حين زهدت الناص فى الإنشاء والتشييد ،

(١) الثقافة الاسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المستوى الرابع ، ص ١١٤ .

(٢) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

(٧) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

وقعدت بهم عن التنظيم في جميع مجالات الحياة، حتى جعلتهم يحبون الفقر ويرضون به، على اعتبار أنه من قدر الله، وحتى جعلتهم يحسون بأنهم ليسوا في حاجة إلى تقدم حضارى، فالحضارة ليست لازمة لهم، والتنظيم ليس لازماً كذلك، لأن الدنيا ماهية إلا سنوات عابرة تمضى على أى وضع وفى أى صورة، ثم يذهب الناس إلى ربهم فينعمون بالخلد فى جنات النعيم . (١)

وفى العصر الحاضر أصبحت الشعائر التعبدية المشروعة تؤدى أداءاً تقليدياً،

” فقرأة القرآن وتلاوته لفظاً، أصبح بديلاً عن العمل بما فيه، من آيات الجهاد والنظر إلى الكون، والتفكير فيما خلق الله، وإقامة العدل والميزان بالقسط، والحكم بما أنزل الله، واستثمار ما فى الكون من نعم الله، مع أن ذلك كله عبادة ” (٢).

وأصبحت أيضاً أعمالاً مقصودة لذاتها بغير مقتضيات لها .

فالصلاة أصبحت مجرد حركات تؤدى بلا خشوع، ولا طمأنينة، ولا التفات إلى

معنى ما يتلى فيها من الآيات (٣)، حتى أنك لو سألت بعض المصلين الذين أدوا إحدى الصلوات الجهرية عن الآيات التى قرأها الإمام فى الركعة الأولى أو الثانية فى تلك الصلاة فإنه لا يتذكرها . لذلك فإن المصلى ينصرف من الصلاة ولم تؤثر فى نفسه، أو تؤثر على تصرفاته، بل تراه يفعل بعض المنكرات التى تخالف العقيدة التى يعتنقها .

والصوم أصبح - فى حش معظم المسلمين - مجرد امتناع عن الطعام والشراب

ساعات النهار، مع أنهم ضخم لأشكال متنوعة من الطعام بعد الإفطار يصل إلى حد الإسراف، كأنما شهر رمضان شهر الأطعمة المختلفة لا شهر الصوم (٤).

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ١٧٨ .

(٢) الثقافة الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، المستوى الرابع، ص ١١٥ .

(٣) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح، مرجع سابق، ص ٢٤٢ .

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٣ .

أيضا ارتبط في حس بعض المسلمين أن نهار رمضان يستغل في النوم ، حتى أن بعض الصلوات لا تؤدى جماعة من قِبَل هؤلاء الناس الذين جعلوا نهار رمضان للنوم . وهذه الفئة من الناس تُحوّل لياالى رمضان من ليالى تستغل في القيام والتقرب إلى الله بصالح الأعمال ، إلى ليالى حمراء يستغل وقتها فى الملاحى والمسارح ، وأصبح رمضان فى حس كثير من المسلمين أنه شهر نوم فى النهار ، وسهر فى الليل على الملهيّات التى لا يرضاها الله ، لذلك لا يرى - بالطبع - أثرا للتقوى التى يحدّثها الصوم على أناس يصومون رمضان بهذه الكيفية ، لأن التقوى لم تحدث وذلك لأن الصوم لم يؤدى الأداء المطلوب .

وزكاة الأموال لا تؤدى كاملة على وجهها المطلوب من قِبَل بعض المسلمين الذين تجب عليهم الزكاة ، وإن أُدِيت بالوجه الغير مطلوب لمستحقها ، فإنها تتبع بالمن والأذى والتسلط والإستعباد ، والبعض من المسلمين لا يعطى الزكاة لمستحقها ، بل يعطيها من لا يستحقها من أصحاب الوظائف المرموقة ، وذلك لى يكسب ودهم ويسخرهم بعد ذلك لإنهاء ما يحتاجه منهم ببسر وسهولة ، لذلك نجد أن الزكاة لم تحقق الحكمة التى شرعت من أجلها ، لأنها لم تؤدى الأداء الحقيقى ، ولو أنها أدّيت الأداء الحقيقى لظهرت نفوس من تجب عليهم الزكاة من البخل والشح والشره والطمع ، ولأغنت الفقراء والمساكين والمحرومين ، ولخفت من تضخم الأموال عند الأغنياء ، وبأيدى التجار المحترفين ، لكيلا تحصر الأموال فى طائفة محدودة ، أو تكون دالة بين الأغنياء (١) .

والحج - على كونه مرة فى العمر لمن استطاع إليه سبيلا ، وعلى كونه أياما معدودات - فهو عبادة عميقة الأثر فى حياة المسلم حين يؤدى بها الأداء الحقيقى ، الذى كانت تؤدىه الأجيال الأولى ، التى مارست العبادة بمعناها الشامل (٢) .

(١) أبو بكر جابر الجزائري : منهاج المسلم ، د. م. ، دار الفكر ، ١٣٩٦ هـ ، ط ٨ ،

ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢) محمد قطب : مفاهيم ينبغى أن تصحح ، مرجع سابق ، ص ٢٤٠ .

إن الحج :

"عبادة تشمل في طياتها كل العبادات .. بتركيز واضح على عبادة التوحيد بالذات .. .

إنه خلوص وتجرد إلى الله .. تجرد من كل ما يتعلق به النفس في الحياة الدنيا من أهل ومسكن وموطن ومتاع .. حتى الملبس الذي تعود الإنسان أن (يتزين) به ويتأنق بخياطته على قده (تجرد منه) -إنه- (أياماً معدودات) ولكنها في حساب النفس حدث هائل عميق .. تغيير كامل يتوغل في النفس حتى أعماقها ويلقى عنها خبثها كله .. لتعود كأنما هي خلق آخر .. ولد اللحظة ليبدأ رحلة حياة جديدة غير التي كانت من قبل .. " (١)

لذلك كان للحج أثره في حياة المسلم، وذلك مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كما ولدته أمه) (٢) .

أما الآن فيؤدي الحج من قبل معظم المسلمين للحصول على لقب (الحاج) ولا حرج بعد ذلك على الحاج أن يكذب ، أو يتعامل بالربا ، أو يخون الأمانة ، كذلك أصبح سنة لدى بعض المسلمين ، أن الإنسان لا يؤدي فريضة الحج إلا إذا تجاوز سن الخمسين أو الستين ، وهذا مشاهد ، حيث إن معظم المسلمون الذين نراهم يؤديون فريضة الحج ، أعمارهم تتجاوز الخمسين والستين عاماً ، وإذا سألت أحدهم لماذا لم تؤدي فريضة الحج منذ سن الشباب ؟ أجاب بأنه لو أدى فريضة الحج في سن الشباب للزمه أن يتمسك بتعاليم الدين ، وينزوي عن الدنيا وما فيها من مباحة أو غير مباحة ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سوء فهم للدين الإسلامي ، حيث أصبح في حس كثير من الناس أنهم لا يلتزمون بتعاليم الدين الإسلامي مع كونهم مسلمين ، إلا إذا أدوا فريضة الحج ، والكثير من المسلمين الذين يؤديون فريضة الحج بالرغم من هذا التصور الخاطيء ،

(١) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح ، مرجع سابق ، ص ٢٤٩ .

(٢) متفق عليه .

فانهم لا يلتزمون بتعاليم الدين الاسلامي ، لأنهم نشأوا من الصغر على كثير من المخالفات التي لا يقرها الاسلام . هذا بالإضافة إذا لاحظنا ما يقع في الحج من مخالفات من بعض الحجاج تتمثل في التدافع المقصود ، والدس بالأقدام فوق بعض الحجاج ، مما يؤدي إلى وفاة البعض منهم في المطاف أو عند الجمرات .

كذلك نلاحظ في العصر الحاضر أن كثيرا من العبادات تصرف لغير الله في بعض البلاد الاسلامية ، ومعلوم أن حكم من صرف شيئا من العبادة لغير الله ، مشرك مخلد في النار . قال تعالى :

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونِ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا» (١)

وقال تعالى :

«إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ» (٢)

لكن بالرغم من هذا التهديد الرباني ، فإن بعض المسلمين في بعض الأقطار الاسلامية صرفوا بعض أنواع العبادة لغير الله* ، فالدعاء الذي يعتبر من العبادة ، صار يصرف لغير الله ، فبدلا من التوجه إلى الله وحده بالدعاء ، صار التوجه بالدعاء إلى الأولياء والصالحين ، والذبح الذي يعتبر نوع من أنواع العبادة التي لا يجب صرفها إلا لله ، أصبح يصرف لغير الله ، حيث إن بعض المسلمون يذبحون الذبائح عند قبور الأولياء والصالحين بقصد القرية وطلب الشفاء منهم ، وكذلك بقية أنواع العبادة دخلها الشرك الذي يعتبر أكبر جريمة يرتكبها الانسان في حق نفسه على وجه الأرض ، لأن الانسان المشرك بالله مهما عبد الله ومهما عمل من أعمال

(١) سورة النساء ، آية : ٤٨ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٧٢ .

* أنظر في هذا المجال : عبد المنعم الجداوي : كنت قبوريا ، الرياض ، رئاسة

إدارة البحوث العلمية والافتاء .. ١٤٠١ هـ ، ط٤ .

صالحة ، فإن عبادته وأعماله الصالحة لا تقبل منه ولا تسجل له في سجل حسناته ، لأن الشرك مفسد للعبادة بمفهومها الشامل .

هذه هي الصورة التي انتهت إليها العبادة في معظم أقطار العالم الاسلامي في العصر الحالي ، والفرق واضح بين مفهوم العبادة كما أنزل من عند الله ، وعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووعاه الجيل الأول ومارسه ، وبين المفهوم الشائه الهزيل الضامر الذي فهمته الأجيال المتأخرة ، سواء مارسته أم لم تمارسه .

"إن العبادة على هذا النحو الشائه الهزيل الضامر ، ولو قام بها الألف مليون كلهم الذين يعيشون من المحيط الى المحيط ، لن تنقذهم مما هم فيه ، ولن ترفعهم من وهدة الهوان والذل التي تحيط بهم من كل مكان .

لأمر بسيط .. لأنها ليست هي العبادة التي كتبها الله ، وكتب معها العزة لمن يقومون بها في صورتها الصحيحة .. وكتب لهم التمكين والإستخلاف في الأرض .. - قال تعالى - ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا)) يَعْبُدُونَنِي " لا يُشْرِكُونَ بِيَ شَيْئًا " (١) .

والمعول كله كما هو واضح من الآية هو تلك " العبادة - الخالصة لله - حين تودي على النحو الذي كتبه الله ..

أما العبادة التي يقوم بها الغناء الموجود اليوم من المحيط الى المحيط - إلا من رحم ربك - العبادة التي تفرغ لإله إلا الله من مقتضياتها ، وتجعلها مجرد كلمة تنطق باللسان ، وتخرج التكليف كلها من دائرة العبادة ، وتفرغ الشعائر - التعبدية - من شحنتها الحية الدافعة ، وتتركها أراء شائها هزيلة لا روح فيه ، (العبادة التي يصرف منها شيئاً لغير الله) فانها لا تحقق إلا هذا الخسران الذي يمارسه ذلك الغناء في واقع الأرض ..

والغثاء - بهذه العبادة الهزيلة الشائنة الضامرة (الغـــــير
خالصة لله) - لا يعجز عن انقاذ نفسه فحسب، بل هو كذلك
يصد عن السبيل ! " (١) .

إن سوء فهم المسلمين لمفاهيم عقيدتهم الإسلامية أبعدهم عن العقيدة
الإسلامية وأصبحت تصرفاتهم في جميع المجالات مخالفة لتعاليم عقيدتهم الإسلامية .
فسوء فهم العقيدة الإسلامية أدى إلى سوء في السلوك، وكلا الأمرين خطير
غاية الخطورة، ولكن الخطورة القصوى تكمن بلا شك في (سوء فهم العقيدة
الإسلامية) لأنه هو الذي يؤدى إلى سوء في السلوك من ناحية، ويؤخر علاجه
من ناحية أخرى، فحين تكون العقيدة صحيحة ومفهومة الفهم الصحيح، ويكون
الإحراف السلوكي ناشئاً من التفلت البشري الطبيعي من التكليف، فإن التذكير
يكفي لعلاجه، لأنه هو العلاج الرباني للعقيدة التي تؤدى إلى نسيان التكليف،
أما حين يكون (سوء فهم العقيدة) هو الداء فالتذكير وحده - بالصورة المعتادة -
لا يكفي - لأنه لا يجد استجابته الطبيعية في القلب، ويحتاج الأمر إلى إبراء القلب
ذاته مما ألم به من سوء في المفاهيم (٢) .

إن هذا الفهم السيئ للعقيدة الإسلامية، أو هذا التخلّف العقيدى كما
يسميه الأستاذ محمد قطب، هو عقدة العقد في حياة الأمة الإسلامية في العصر
الحالى، لأنه نشأت عنه كل ألوان التخلّف التى أصابت العالم الإسلامى ...
التخلّف العلمى والحضارى والاقتصادى والسياسى والحربى والثقافى .. (٣) .

ثانياً : الأسباب الخارجية :

تتمثل الأسباب الخارجية التى أدت إلى إبعاد المسلمين عن عقيدتهم
الإسلامية فى السيطرة الإستعمارية الصليبية الإستعبادية على معظم البلاد الإسلامية .

(١) محمد قطب: مفاهيم ينبغى أن تصحح، مرجع سابق، ص ٢٤٧ .

(٢) محمد قطب: واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ١٧٢ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٧٢، ١٧٣ .

ففى عام ١٨٣٠م احتلت فرنسا الجزائر، وفى عام ١٨٨١م احتلت تونس ، وفى عام ١٩١٢م احتلت مراکش، وفى عام ١٩٢٠م احتلت كذلك سوريا ، ولبنان .
وفى عام ١٨٥٧م احتلت بريطانيا الهند ، وفى عام ١٨٨٢م احتلت مصر ، واحتلت العراق فى عام ١٩١٤م ، وكذلك احتلت فلسطين عام ١٩٢٠م .
وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن الحقد الذى يحمله الصليبيون فى قلوبهم للاسلام والمسلمين ، قال تعالى :

« وَكَيِّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيَّاكُمْ كُفَّارًا
حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ » (١) .

وقال تعالى :

« وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ بَطْنَهُمْ » (٢) .

وقال تعالى :

« وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزُولَ عَنْ دِينِكُمْ وَإِنْ اسْتَطَاعُوا » (٣) .

فقد هدم على الاسلام والمسلمين منذ البعثة المحمدية وحتى الآن ، فهو حقد دائم ، مستقر فى قلوبهم ، فمجرد وجود الاسلام فى الأرض كافٍ لتحريك ضغائنهم وباعث لهم على التحرك ضد المسلمين ليردوهم عن دينهم إن استطاعوا . (٤)

وعندما استولت الدول الصليبية الكافرة على معظم البلاد الاسلامية عسكريا فى العصر الحديث ، أخذت تطبق وصية " لويس التاسع " - الذى سجن فى مصر بعد الحملة الصليبية الثامنة ، والذى استغل فترة السجن فى التفكير العميق لوضع سياسة جديدة تتبع للسيطرة على العالم الاسلامى - الذى يقول لهم فيها :
" إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده ،

(١) سورة البقرة ، آية : ١٠٩ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٢٠ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢١٧ .

(٤) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٩٠ .

فقد هُزمت أممهم في معركة السلاح - ولكن حاربوهم في عقيدتهم
فهى مكن القوة فيهم " (١) .

ويقصد بحرب العقيدة هنا ، إنتزاع العقيدة الاسلامية من قلوب المسلمين ،
وصرفهم عن التمسك بها ، لأنه علم من التجربة التى خاضها ضد المسلمين أن قوة
المسلمين تكمن فى تمسكهم بعقيدتهم .

وبالفعل عند ما سيطرت الدول الصليبية الكافرة على معظم البلاد الاسلامية ،
بعد ما أصابها من ضعف وتخلف فى جميع المجالات ، نتيجة بعد المسلمين عن
عقيدتهم الاسلامية ، والمتمثل فى سوء فهمهم لمفاهيم العقيدة الاسلامية ، أخذت
تغزوهم فكريا لابعادهم أكثر عن عقيدتهم الاسلامية ، ولكى تطفىء نور العقيدة
الاسلامية نهائيا فى العالم الاسلامى ، لأنه لم يبق فيها ، إلا نور ضئيل جدا ،
فلو انقشع الرماد فى يوم من الأيام عن هذه الجذوة التى لم يبق فيها إلا نور
ضئيل ، فإنها سوف تعيد المسلمين إلى أمجادهم السابقة ، وبالتالى تفقد الدول
الصليبية سيطرتها على بلاد المسلمين .

وقد استخدمت الدول الصليبية الكافرة ، الفكرة ، والكلمة ، والرأى ، والحيلة ،
والنظريات ، والشبهات ، وبراعة العرض ، وشدة الجدل ، وتحريف الكلم عن مواضعه ،
وغير ذلك كسلاح لهذا الغزو الفكرى (٢) .

ويمكن أن يبين الباحث هنا بإيجاز أهم الوسائل التى استخدمها الصليبيون
الكفرة فى إبعاد المسلمين عن عقيدتهم الاسلامية :

-
- (١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ .
 - (٢) عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ،
القسم الثانى ، بحث مقدم لمؤتمر الفقه الاسلامى الذى عقدته جامعة الامام
محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ، جامعة الامام محمد بن سعود
الاسلامية ، ١٤٠٤ هـ ، د . ط ، ص ١٧٩ .

١ - تشوية العقيدة الاسلامية :

يسعى الصليبيون بكل ما أوتوا من قوة لتشوية العقيدة الاسلامية ، فهم يزعمون أن من أكبر أسباب انحطاط المسلمين اليوم ، وتخلفهم العلمى والحضارى إنما هو تمسكهم بعقيدتهم الاسلامية ، ويزعمون بأن العقائد الدينية عموما والعقيدة الاسلامية بصورة خاصة لا تتفق مع العلم ، وأن التمسك بها لا يؤدى إلى التقدم العلمى والحضارى ، بل يقف حجر عثرة فى سبيل ذلك كله . (١)

فهم يظنون أن العقيدة الاسلامية ، مثل عقيدتهم المسيحية المحرفة التى عرقلت النهضة العلمية والحضارية فى أوروبا ، وأن علماء العقيدة الاسلامية ، مثل رجال الكنيسة المسيحية ، الذين قتلوا العلماء وأحرقوهم بالنار أحياء .

وما علموا أن العقيدة الاسلامية هى التى دفعت أتباعها لأن يقوموا بالنهضة العلمية والحضارية التى أنقذت العالم من الجهل والتخلف ، عند ما كانوا ملتزمين بها ومطبقين لتعاليمها التطبيق السليم .

وما علموا أيضا أن كل نهضة علمية وحضارية لا يمكن أن تبنى وتستمر إلا إذا قامت على ثلاثة عناصر :

أ - عقيدة صحيحة واعية ونامية .

ب - علم ثابت يكتشف رجاله نواحي الكون وأسرار الحياة .

ج - خلق قويم عظيم يحتمل أعباء النهضة وتضحياتها . (٢)

وهذه العناصر الثلاث هى التى قامت عليها نهضة المسلمين العلمية والحضارية فى القرون الاسلامية الأولى ، وإذا أراد المسلمون اليوم أن تكون لهم نهضة علمية وحضارية ، فما عليهم إلا أن يلتزموا إلتزاما فعليا بهذه العناصر أثناء بناء هذه النهضة وبعد البناء أيضا لكي يحافظوا على استمرارها .

(١) محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، الدمام ،

دار الاصلاح ، د . ت . د . ط ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

وهدف الصليبيون الكفار واضح من هذا التشويه في العقيدة الاسلامية ، فهم يريدون من المسلمين أن يزيحوا عقيدتهم الاسلامية عن جميع شئون الحياة ، لأنها لا تسائر ركب الزمن ، ولأنها لا تتفق مع العلم كما يزعمون .

ولم يكن الكفار بتشويه العقيدة الاسلامية ، وإنما أمتد التشويه إلى مصدرى هذه العقيدة ، القرآن الكريم ، والسنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

يقول (غلام ستون) :

" ما دام هذا القرآن موجوداً بين أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان " (١)

ومن أخطر من عبثوا بالقرآن الكريم ، وتعمد تشويهه المستشرق الكافر (ماك و نالد) ، حيث إنه يرى أن القرآن الكريم من عند محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس من عند الله ، وهذه هي الطعنة التي يوجهونها للقرآن ويكثرون من ترديد ها ، والهدف منها هو تشكيك المسلمين في مصدر عقيدتهم لكي يبعدونهم عنه . يقول (ماك و نالد) :

" كما أنه من المحقق أن أهل مكة جعلوا بينه وبين الجنة سباً .. وجعلوهم شركاء لله .. وقد موا لهم القرايين وكانوا يعوذون بهم ، ولسنا نعلم علم اليقين : هل كانت قد وجدت لديهم فكرة عن الملائكة أو أنهم جعلوهم شركاء لله ، وربما كان هذا تفسيراً من عند محمد " (٢)

أما المستشرق الكافر (هـ . جـ . ويلز) فإنه يرى أيضاً أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذي صنع القرآن الكريم نتيجة معرفته بالديانة اليهودية ، وفي ذلك يقول :

(١) نقلا عن : محمد أسد : الاسلام على مفترق الطرق ، ترجمة عمر فروخ ، د . م ،

دار العلم للملايين ، ١٩٧٤ م ، ط ٧ ، ص ٤١ .

(٢) نقلا عن : دائرة المعارف الاسلامية ، القاهرة ، دار الشعب ، د . ت ، د . ط ،

ج ٤ ص ٢٤٥ .

"حدث في مكة قرابة سنة ٥٧٠ ميلادية أن ولد محمد (صلى الله عليه وسلم) مؤسس الاسلام ، وولد له أطفال عد يدون ، كان اسم أحدهم (عبد مناف) * أي خادم الرب المكي (مناف) وهذا يدل على أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) لم يكن قد توصل في ذلك الوقت الى أية اكتشافات دينية ، ويحتمل أنه رأى كنائس مسيحية في سوريا ويكاد يكون محققا أنه كان يعرف الكثير عن اليهود وديانتهم ... ، ورأى جماهير الحجيج ، ولحظ أمارات الختل وعدم الإخلاص والخرافات المتجلية في وثنية البلدة ، فضاقت بذلك ذرها ، وربما كان اليهود قد هدوه إلى الاعتقاد في الرب الواحد .. وجاءت بآيات معينة أعلن أنها قد أوحيت إليه عن طريق ملك من السماء " (١) .

وكذلك المستشرق الكافر (جولد تسيهر) يزعم أن القرآن ما هو إلا مزيج من معارف وآراء دينية استقاها محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى ، فهو يقول :

"فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها ، التي تأثر بها تأثرا عميقا ، والتي رآها جذيرة بأن توظف عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه " (٢) .

ويرد الأستاذ عبدالكريم يونيس الخطيب على قول (جولد تسيهر) بقوله : " وهذا القول الآثم ، هو زعم زعمه المشركون منذ أربعة عشر قرنا ، في موقفهم العنادي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن رسالته ، وقد تولى القرآن الكريم رد هذا الزعم في حينه ، فما إن قال المشركون هذا القول والدعوة الاسلامية في أول مطلعها في مكة ، حتى فضحهم القرآن به ، والقي به في وجوههم فلم يرفع

(١) هـ . ج . ويلز : معالم تاريخ الانسانية ، ج ٣ ، ص ٦٢٦ .

(٢) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ، نقلا عن : الغزو الفكري

والتيارات المعادية للاسلام ، مرجع سابق ، ص ٤٤١ .

* لا أعرف أن للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ولد بهذا الاسم ، ولا أدري

من أين جاء (ويلز) بهذا الاسم .

أحد رأسه ، بعد أن تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله .. يقول تعالى على لسان المشركين « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ » (١) ، فرد الله تعالى عليهم بقوله « فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا » (٢) ... « وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا » (٣) فرد سبحانه وتعالى هـذا الباطل بقوله جل شأنه « قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا » (٤) ويقول سبحانه « وَلَئِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » (٥) ، وقد أفحم القوم ، وولوا أذبارهم منهزمين ، ولا يزال هذا التحدى المنتصر قائما إلى يوم الدين (٦) .

ومن تشويهااتهم للقرآن الكريم أيضا ، أنهم يتهمون القرآن بالتناقض ، وباللحن ، وبفساد النظم ، وبأنه ليس معجز ، حتى أنهم لم يتركوا عيبا إلا نسبوه إلى القرآن وألصقوه به (٧) .

والهدف من هذا التشويه ، هو أن تهتز ثقة المسلمين في عقيدتهم ، فإذا اهتزت ثقة المسلمين في عقيدتهم ، أصبح الواحد منهم يعاني من فراغ رهيب فسي نفسه وعقله وعاطفته ، ويصبح النظام الاسلامي في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية عنده لا يقنع ولا يحقق له شيئا من مطالبه ، وعندئذ تتلقاه دعايات هؤلاء الصليبيون الكفار لحضارتهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، فيصبح فريسة لها ، وما هو إلا أن يرتقى في شباكها فيضيع إعترازه بعقيدته ،

(١) سورة الفرقان ، آية : ٤ .

(٢) سورة الفرقان ، آية : ٤ .

(٣) سورة الفرقان ، آية : ٥ .

(٤) سورة الفرقان ، آية : ٦ .

(٥) سورة البقرة ، آية : ٢٣ .

(٦) عبد الكريم يونس الخطيب : الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، القسم

الرابع ، الرياض ، جامعة الامام محمد بن سعود ، ١٤٠٤ هـ ، ط ١ ، ص ٤٤ - ٤٤٢ .

(٧) محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية ، مرجع سابق ، ص ٨١ .

ويصبح تابعا خاضعا لعدوه ^(١) . كما يهدف هذا التشوية إلى تقليل أعداد الجموع البشرية المقبلة على الدخول في العقيدة الإسلامية ^(٢) .

وعندما علم أعداء العقيدة الإسلامية ، أن السنة النبوية المطهرة هي المفتاح الحقيقي لفهم القرآن الكريم ، وأنها الدرع الحصين للعقيدة الإسلامية ، وأن اتباعها يقي المسلمين أخطار الفوضى والضلال والإحلال والضياع ، عملوا على تشويهها والتشكيك فيها .

ومما سلكه أعداء العقيدة الإسلامية في تشوية السنة النبوية المطهرة والتشكيك فيها هو إثارة الشبهات حول أكابر روايتها وحملتها ومدونيتها ، وكان الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، أكثر من أشيرت حوله الشبهات ^(٣) ، لأنه كان من أكثر الصحابة رواية لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم * .

والهدف واضح من تشويه السنة النبوية المطهرة ، وهو إبعاد المسلمين عن العقيدة الإسلامية لكي لا يواجه أعداء العقيدة الإسلامية من جديد بأجيال من المسلمين تحسن التمسك بالعقيدة الإسلامية ، لأن في التمسك بالعقيدة الإسلامية صلاح جميع جوانب الحياة ، وفي التمسك بالعقيدة الإسلامية أيضا تحـدث الانتصارات في المعارك الحربية لصالح المسلمين ، وعندما ينتصر المسلمون ينتشر العدل والإحسان في الأرض ، وتنعم بهما البشرية كلها ، وهذا أخوف ما يخافه الصليبيون الكفرة ، إذ به تذهب ريحهم وتضيع أرباحهم ^(٤) .

(١) علي عبد الحليم محمود : الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، القسم الأول ، ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية .. ، مرجع سابق ، ص ١١٣ .

(٤) علي عبد الحليم محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣ .

* أنظر في هذا المجال : عبد المنعم صالح العلي العزى : دفاع عن أبي هريرة ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٨١ م ، ط ٢ .

٢ - إلغاء المحاكم الشرعية وإحلال القوانين الوضعية محلها :

ظلت المحاكم الشرعية الإسلامية تعمل في المجتمعات الإسلامية أكثر من ألف سنة، وكانت تلبي حاجات هذه المجتمعات، حيث كانت الأعراض مصونة، والدماء محقونة، والأموال محفوظة، والأمن مستتب، والناس في راطمئنان على حقوقهم وقضاياهم^(١).

لكن هذه المحاكم الشرعية الإسلامية، التي كانت منتشرة في كل بلد إسلامي، تعرضت لحملات ضارية من قبل الكفار المحتلين، تتمثل في التشكيك في صلاحيتها، ورميها بالجمود والتخلف عن مسيرة الحياة، وذلك لتنهية الشريعة الإسلامية عن الحياة، ولكي يبرر الكفار فرض قوانينهم الوضعية على المجتمعات الإسلامية، قال تعالى:

«وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدَّكُمْ عَنْ رِيبِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا»^(٢)

يقول (جلاد ستون) عند ما وقف يخطب وهو يشير إلى القرآن الكريم:

"إننا لن نستطيع الاستقرار في الشرق ما دام فيه هذا الكتاب"^(٣).

ويقول (وليم جيفور بالكراف) :

"متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن

نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا
محمد وكتابه"^(٤).

وبالفعل تحقق للكفار إلغاء المحاكم الشرعية الإسلامية، وإن كان هناك بقية

من هذه المحاكم الشرعية الإسلامية، فإنها محدودة الاختصاصات لا تحكم إلا في

(١) محمد محمود الصواف: المخططات الاستعمارية ..، مرجع سابق، ص ١٥٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٧.

(٣) نقلا عن: عبد الستار فتح الله سعد: الغزو الفكري والتيارات المعادية

للإسلام، القسم الثاني، مرجع سابق، ص ١٩٦.

(٤) نقلا عن: أ. ل. شاتليه: الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة محب الدين

الخطيب، مساعد اليافى، د. م، الدار السعودية، ١٤٠٠، ط ٣، ص ٥٨.

الأحوال الشخصية كالنكاح والطلاق والنفقة وما إلى ذلك ^(١).

كما تحقق لهم أيضا فرض القوانين الوضعية على أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي ، بالخدمة تارة ، وبالقدرة تارة أخرى ^(٢) ، أو بأيدي أبناء المسلمين الذين تربوا على أيديهم وتشربوا أفكارهم وتولوا زمام الأمور في البلدان الإسلامية .

والهدف من ذلك واضح ، وهو إبعاد الإسلام عن مجال السلطة التنفيذية ليحرموه الرهبة ، والهيبة والرغبة ، ولكي يبقى مجرد هيكل أقرب إلى الموت منه إلى الحياة ^(٣) ، ولكي تعم الفوضى بلاد المسلمين ، ويحل الظلم مكان العدل ، وتنتشر الفاحشة عيانا جهارا .

وكانت الهند أول بلد إسلامي ألغيت فيه المحاكم الشرعية الإسلامية ، يقول الاستاذ أبو الأعلى المودودي :

”إن أول قطر بدأ فيه إلغاء الشريعة الإسلامية هو الهند ، وكانت هذه الشريعة هي قانون الدولة العام في الهند حتى بعد أن قام فيها الحكم الإنجليزي ، فكانت يد السارق تقطع إلى سنة ١٧٩١ م ، ولكن الإنجليز أخذوا بعد ذلك يلغون القانون الإسلامي آتيا بعد أن ، ويستبدلون به القوانين الوضعية ، حتى تم الغاؤه في أواسط القرن التاسع عشر ، ولم يبق منه تحت النفاذ إلا ما كان يتعلق بمسائل النكاح والطلاق وغيرهما ، على اعتباره قانون المسلمين لأحوالهم الشخصية “ ^(٤) .

وقد تلت الهند عدة دول إسلامية - وقعت تحت سيطرة الكفار الصليبيون - ألغيت

(١) محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية .. ، مرجع سابق ، ص ١٥٤ .

(٢) عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ،

القسم الثاني ، مرجع سابق ، ص ٢٣٧ .

(٣) علي محمد جريشة ، محمد شريف الزبيق : أساليب الغزو الفكري للعالم

الإسلامي ، القاهرة ، دار الاعتصام ، د . ت . د . ط ، ص ٧٤ .

(٤) نقلا عن : عبد الستار فتح الله سعيد : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

ففيها المحاكم الشرعية الاسلامية .

فعندما احتل الكفار الانجليز مصر سنة ١٨٨٢ م، ظهرت آثار إلغاء المحاكم الشرعية بعد سنة واحدة من الاحتلال، حيث اقتصر القضاء الشرعي الاسلامي في مصر على "الأحوال الشخصية" أما بقية المعاملات الهامة، من تجارة ومالية وزراعة كالإجارة والرهن والبيع والمبادلات والشركات ونحوها فقد أحيلت إلى القانون الفرنسي الذي جعل شريعة لما أسماه "بالمحاكم الأهلية" ليتحاكم إليها أهل البلاد المسلمين في سائر معاملاتهم (١). وبهذا الكيد السافر وقع الشعب المصري المسلم وغيره من الشعوب الاسلامية التي وقعت تحت سيطرة الكفرة في انفصالية خطيرة ومدمرة بين مسمى "بالقضاء الشرعي"، ومسمى "بالقضاء الأهلي" وما يستلزمه كل منهما من تشريع مختلف المصادر والوجهة، وكان من أخبت أساليب التهوين تسمية هذه المحاكم "بالأهلية" (٢).

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨ م) خرجت تركيا من المعركة مهزومة، وقد فقدت معظم أراضيها، ولكن مصطفى كامل قائد الحركة الكمالية استطاع طرد اليونان من تركيا، ولكن عندما رأت بريطانيا قوة الجيش التركي وشدة بأسه، أخذت تعد العدة لضرب هذا الجيش مرة أخرى والإجهاز عليه (٣). وعندما علم مصطفى كامل أن الانجليز يعدون العدة لضربه، أرسل إليهم

زميله (عصمت اينونو) برسالة يحملها إلى الانجليز ويقول لهم فيها :

"لماذا تقاتلوننا مرة أخرى، لقد كنا امبراطورية كبيرة وكنتم تخشون جانبنا فانسلخت عنا اكثر البلاد، ولم يبق إلا العنصر التركي في الأناضول، وأصبحنا لا يخشى جانبنا فتركونا متمتعين باستقلالنا كعنصر تركي وحده" (٤).

-
- (١) عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكرى ..، مرجع سابق ، ص ٢٤٠ .
 (٢) المرجع السابق ، نفس المكان .
 (٣) محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية ..، مرجع سابق ، ص ١٢٧ .
 (٤) المرجع السابق ، نفس المكان .

فرد عليه الإنجليز بعد عدة مفاوضات بقولهم :

"إننا نخشى أن تعودوا فتصبحوا مركز تجمع المسلمين ونواة لوحدتهم"^(١)

لكن مصطفى كامل ، طمأن الإنجليز ، بأن تركيا لن تكون في يوم من الأيام مصدر إزعاج لبريطانيا . عندئذ أُملي الإنجليز شروطهم المعروفة بشروط (كرزون)^(٢) الأربعة المشثومة وهي :

- أ - إلغاء الخلافة الإسلامية نهائيا من تركيا .
- ب - أن تقطع تركيا صلتها بالاسلام .
- ج - أن تتعهد بإخماد كل حركة إسلامية يقوم بها أنصار الخلافة .
- د - أن تختار تركيا لنفسها دستورا مدنيا ، بدلا من الدستور العثماني المستمد من أحكام الشريعة الإسلامية .^(٣)

فقبل مصطفى كامل هذه الشروط ونفذها بحذافيرها ، وكان مما تفرع عن ذلك استعمال الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية ، ومنع إقامة الأذان باللغة العربية ، ومنع تعليم الدين والقرآن في المدارس ، وغير ذلك .^(٤)

وفي الكويت ، عندما تعهد الإنجليز بالخروج منه ، شرطوا إلغاء الحكم بالشريعة الإسلامية ، ووضع قانون مدني بدل الشريعة بدعوى أنه لا بد من قانون يحمي حقوق الأجانب والمواطنين .^(٥)

فعن طريق الهند ، ومصر وتركيا تغلغل تشريع الكفار في أحشاء الشعوب الإسلامية ، ثم لم تلبث هذه القوانين الوضعية - بمرور الوقت وارتباط مصالح الناس

(١) محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

(٢) هو وزير خارجية بريطانيا في ذلك الوقت .

(٣) عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، القسم الثاني ، مرجع سابق ، ص ٢٤٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٤٣ ، نقلا عن مذكرات مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني رحمه الله ، الحلقة (١١) المنشورة بمجلة آخر ساعة المصرية ، عدد ١٩٩٢ ، وتاريخ ٢٢ من ذي القعدة ١٣٩٢ هـ .

(٥) محمد محمود الصواف : المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

بها - أن اكتسبت صفة الثبات والاستقرار " والشرعية " الواقعية ، وصارت تنقل للشعوب الإسلامية بأسمائها الجديدة المزورة ، مثل القانون الهندي ، والقانون المصري ، والقانون العراقي .. ، ويمثل هذا العمل ذروة الخداع والتضليل ، حيث لا يفتن كثير من الناس إلى جذور هذه القوانين وأصولها الأجنبية المضادة للشرعية الإسلامية . (١)

وهكذا عندما حلت القوانين الوضعية محل الشريعة في البلاد الإسلامية ، عطلت الحدود ، وضروب التعزيرات في شرب الخمر ، والزنا ، .. الخ ، مما جعل الفرصة سانحة لشذاز الأفاق وطلاب الربح الحرام من الغربيين الكفرة ، فأقبلوا من كل صوب وحدب ، وشرعوا ينشرون الحانات ودور الفساد في جميع أرجاء البلاد الإسلامية المسيطر عليها من قبيل الكفار الصليبيون ، فكان هذا بداية إنقلاب أخلاقي واسع المدى ، يقوم على أساس الإنطلاق من قيود الأخلاق والدين ، حيث وإن الخطة العامة التي رسمها الكفار لبلوغ مآربهم تتطلب الإستعانة بالقوانين الوضعية لإطلاق سراح الشهوات من قيود الشريعة الإسلامية . (٢)

وقد سعى الإحتلال الكافر جاهداً بشتى الطرق ، حتى تمكن من تحطيم مظلة الأعراف الأخلاقية في المجتمعات الإسلامية ، ففشت فيها كل موبقات الحضارة الغربية ، حتى وصلت في ظل الإحتلال الكافر إلى مرحلة الشيوع والإستعلان ، ثم إلى مرتبة الإستقرار والإستحسان ، ثم إلى درجة الشرعية ! التي تحميها القوانين الوضعية الوافدة . (٣)

وقد كان لإلغاء المحاكم الشرعية عدة آثار سلبية من أهمها :

(١) عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ،

مرجع سابق ، ص ٢٤٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٩ ، نقلاً عن : إبراهيم اللبان : التربية الدينية التي

يحتاج إليها العالم الإسلامى .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

إلّا انحلال الخلقي الذي انتشر في المجتمعات الإسلامية، التي كانت تتميز بطابع خاص في الأخلاق والعادات الحميدة بالرغم من كل ما يروج بها من مخالقات لعقيدتها الإسلامية . وقد ظهر الإلّا انحلال الأخلاقي في البداية في السلوك الفردي، ثم انحرف معظم الناس عن "نهج الدين" واستهوتهم مظاهر الحضارة الغربية، فأقبل كثير منهم على الخمر والفجور والربا وغير ذلك، لأن القوانين الوضعية لا تعاقب على ارتكاب مثل هذه الإلّا انحرفات بل تحميها . والذي زاد الأمر سوءاً أن الإلّا انحلال الكافر يمثل حضارة غالبية، فيها الصحيح الجيد وفيها الردى البئى الفاسد، ويمكره وخذاعه أدخل في روع المغلوبين تلازم الأمرين، فتوهموا أن مظاهر الإلّا انحلال والفساد هي من ضرورات الحضرة والمدنية في جوانبها الصحيحة ! (١)

ومن أهم آثار إلغاء المحاكم الشرعية الإسلامية أيضا قلة الإقبال على طلب العلوم الشرعية، لأن طلاب العلم الشرعي عندما يتخرجون من المدارس الشرعية فانهم لا يجدون لهم محاكم شرعية إسلامية يقومون بأداء مهمتهم التي أعدوا من أجلها، لذلك عزفوا عن طلب العلم الشرعي، وبهذا العزوف كان للإستعمار الماكر ما أراد من قتل العلم الديني ومحاربة العلماء في كل ميدان حتى لا يبقى بين المسلمين من يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ويحاربون الإستعمار ويبشرون روح الجهاد بين المسلمين (٢) .

٣ - السيطرة على التعليم في البلاد الإسلامية :

من أنجح الأساليب التي استخدمها الصليبيون الكفار، لإبعاد المسلمين عن عقيدتهم الإسلامية، أسلوب السيطرة على التعليم في البلاد الإسلامية، لأن السيطرة على التعليم تعنى السيطرة على مستقبل الأمة في جميع المجالات، وما دخل

(١) عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكري ...، مرجع سابق، ص ٢١٣ .

(٢) محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية ..، مرجع سابق، ص ١٥٦ .

الاستعمار بلدا إسلاميا إلا وكانت ضربته الأولى نحو سياسة* التعليم في هذا البلد،
 وذلك لكي يقوم المستعمر بوضع سياسة تعليمية يحقق بها الأهداف التي يسعى
 إليها، والتي منها تنشئة أجيال من أبناء المسلمين تدين له بالولاء والطاعة
 وتحترق عقيدتها وتاريخها وتراثها. (٢)

ومن سياسة المستعمرين في وضع سياسة تعليمية لأي بلد إسلامي يخضع
 لسلطان دولتهم المتسلطة المستعمرة، أنهم يجعلون من أول المواد التي يقررونها
 في هذه السياسة التعليمية، تربية جيل يدين لهم ولقومهم بالولاء والطاعة،
 وينسلخ عن ولائه لعقيدته الإسلامية، وينتصهر بالتدريج في قومية ودين الشعب
 الغالب المستعمر، ويتفمص بالتدريج كل مفاهيم هذا الشعب المستعمر وأنواع
 سلوكه الفردي والاجتماعي، وبالتالي يصبح هذا الجيل مسخرا مستذلا منهوب
 الذات والأرض والثروات والكرامة، لهذا المستعمر مهما طال زمن الاستعمار، ثم
 يقررون وراء هذا الهدف الرئيسي أهدافا أخرى قد تكون وسائل لتحقيقه،
 كالعلمانية، وقد تكون من فروعها، مثل الإلزام بأن تكون لغة الدولة المستعمرة هي
 اللغة التي يتم بها التعليم في جميع المراحل الدراسية ولكل المواد الدراسية. (٣)

فمثلا عندما احتلت بريطانيا مصر سنة ١٨٨٢م، رسمت لها سياسة تعليمية
 تحقق الأهداف دون أن تثير مشاعر المسلمين في مصر، وكان الهدف الذي تسعى

(١) علي عبد الحليم محمود: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، القسم

الأول، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٢) أنور الجندی: من التبعية إلى الأصاله، القاهرة، دار الاعتصام، د. ت.،
 د. ط، ص ٧٧.

(٣) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: غزو في الصميم، دمشق، دار القلم،
 ١٤٠٥هـ، ط ٢، ص ١٤٠.

(٤) المرجع السابق، ص ١٥.

* يقصد بالسياسة التعليمية المواد الدستورية العامة للتعليم، وهي التي تبين
 الأسس العامة التي يقوم عليها، والتخطيط لإنشاء مؤسساته، وتبين أهداف
 العملية التعليمية، وتحدد مقاصدها، والسياسة التعليمية توصي بها
 وتحدد عقائد واضعي هذه السياسة، أو مصالحهم القومية أو الشخصية
 المرجع السابق، ص ١٣.

إليه بريطانيا من خلال السياسة التعليمية التي وضعتها لمصر هو القضاء على العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين .^(١)

وقد وضع سياسة التعليم في مصر القسيس (د نلوب) المستشار البريطاني لوزارة المعارف المصرية ، وكان من دهاء هذا الرجل ومكره أن استغل تعليم اللغة العربية والدين والتاريخ الإسلامي في القضاء على العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين بطريق غير مباشر .^(٢)

فبالنسبة للغة العربية - لغة القرآن الكريم ، التي كانت وما تزال مرتبطة بالاسلام في نفوس المسلمين عامة - فقد خطط (د نلوب) لتحقيرها والزراية بها ، وذلك لكي تنتقل الزراية والتحقيب إلى ما يرتبط بها من معاني الدين .^(٣) فقد كان يتعمد إعطاء مدرّس اللغة العربية راتبا أدنى بكثير من مدرّس المواد الأخرى ، فبينما كان الراتب الشهري الذي يتقاضاه المدرسون من أصحاب التخصصات الأخرى إثني عشر جنيها ، كان راتب مدرّس اللغة العربية أربعة جنيها !^(٤) في حين كان العمل الذي يقوم به مدرّس اللغة العربية ماثلا للعمل الذي يقوم به أي مدرّس آخر من أصحاب التخصصات الأخرى .

وكان لهذا الوضع انعكاساته على مدرّس اللغة العربية ، وعلى اللغة التي يدرسها سواء في داخل المدرسة أو في المجتمع الخارجي .

ففي داخل المدرسة لم يعد مدرّس اللغة العربية هو المقدم ، بل أصبح في ذيل القافلة ! يتقدمه المدرسون جميعا حتى ذوو المؤهلات المتوسطة ، بل يتقدمه - في الراتب - فراش المدرسة إذا كان ذا أقدمية طويلة !! ، وبذلك لم تعد له كلمة في المدرسة ، فلا هو يستشار في شئونها ، ولا هو يشارك في شيء من

(١) محمد قطب : هل نحن مسلمون ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ ، د . ط ، ص ١٣٢ .

(٢) الثقافة الإسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المستوى الرابع ، ص ٦٦ .

(٣) محمد قطب ، المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٤) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢١٩ .

إدارتها ، ولم يعد له كذلك عند التلاميذ إحترام .

أما في المجتمع الخارجى فهو أشد ضياعا منه فى المدرسة ! فالناس جميعا يعلمون وضعه المالى ، ويعلمون أنه فى ذيل القافلة ، وأن المدرسين الآخرين مقدمون عليه فى الراتب وفى الاحترام سواء !

وبذلك ينحدر وضع مدرس اللغة العربية فى المجتمع بقدر ما ينحدر راتبه ، ويصبح مدرس اللغة العربية مادة دائمة للسخرية والتنكيت ، يتحدث الناس عن جهله ، وتخلفه ، وضيق أفقه ، وفقره ، وانحطاط مستواه الاجتماعى والفكرى .. وأشد ما يعاب على مدرس اللغة العربية ويزدري من أجله أنه لا يعرف لغة أجنبية !! (١)

وحين يصبح مدرس اللغة العربية فى هذا الوضع المهين الذى لا يبعث على الإحترام والتقدير فى داخل المدرسة وخارجها ، فإن وضعه يؤثر على اللغة العربية والدين ، وهذا هو الهدف المقصود من وراء ذلك التدبير الخبيث الذى خطط له (دنلوب) .

وبالفعل قد انتقل الوضع المهين المزدري من المدرس إلى المادة ، حيث أصبحت اللغة العربية موضع الازدراء والتحقير والنفور .

" فالطلاب يشكون من صعوبة اللغة العربية نحوا وصرفا وبلاغة ونصوصا وأدبا .. والكتاب يشكون من جمود اللغة - العربية - وعدم مرونتها وعدم طواعيتها ، وعدم قدرتها على نقل المعانى .. كما تستطيع ذلك اللغات الأجنبية - وبالذات الانجليزية ! - فى طلاقة ويسر ورشاقة وعمق ! .. . و مترجمو العلوم يشكون من أن اللغة العربية لغة غير علمية !! إن صلحت للأدب - أى الأدب الردى ! - فإنها لا تصلح للعلم .. جامدة .. معقدة .. محدودة .. متخلفة - لذلك - لا بد من اتخاذ اللغات الأجنبية - وبالذات الانجليزية - لدراسة العلوم ، ولا بد أن نعلمها لأبنائنا فى المدارس إذا أردنا أن يكون لدينا فى يوم من الأيام علماء ! وكأنما لم يكن لهذه

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢٢٠ .

اللغة صلة بالعلم من قبل - فى عصور الإزدهار - بل لأنها لم تكن فى وقت من الأوقات هى لغة العلم ، يوم قال (روجربىكون) :
من أراد أن يتعلم فليتعلم العربية ، فهى لغة العلوم !! " (١)

وكذلك أنتقل الوضع المزرى من اللغة العربية ذاتها إلى ما هو مكتوب بها ، وكان هذا هو الهدف من وراء تخطيط (دلوب) .

" فالكتاب باللغة العربية هو تراث الأمة كله .. وعلى رأسه القرآن !! والمطلوب هو صرف الأمة عن تراثها كله .. وعلى رأسه القرآن !! وانصرف الناس بالفعل عن قرآنهم وتراثهم بالتدريج ، فلم يعودوا يشعرون أنه هو (الزاد) .. إنما الزاد هو المكتوب بلغة السادة الغالبين " (٢)

أما درس الدين فلا يقل سوءاً عن اللغة العربية إن لم يكون أسوأ . فمدرس الدين وضعه مثل وضع مدرس اللغة العربية ، ولكن يزيد عليه أنه أكبر سناً منه ، بل إن مدرس الدين الذى يختار لتدريس الدين كان ينتقى دائماً من العجزة المسنين ، وكذلك كانت حصة الدين توضع فى نهاية الجدول المدرسى يومياً ، والقصد من ذلك أن التلاميذ يتلقون درس الدين وهم فى حالة من الضجر والإعياء فى نهاية اليوم الدراسى ، ويتلقونه كذلك وهم ينتظرون دق الجرس لينفلتوا إلى الشوارع وإلى البيوت ، ويتلقونه أيضاً من مدرس عجوز فإن .. فيقترب درس الدين فى نفوسهم بالعجز والفناء والضجر والضيق والرغبة فى الإنفلات ! بالإضافة إلى أنه درس ميت فى طريقة تدريسه ، فهو مجموعة من النصوص تلقى لتحفظ حفظاً وتستظهر .. وليس له أثر فى سلوك التلاميذ (٣)

وبالإضافة إلى ما ذكر فإن درس الدين فى منهج (دلوب) ما هو إلا رقعة فى المنهج الدراسى غير متجانسة معه ، بل متنافرة معه ، لأن منهج (دلوب) الذى

(١) محمد قطب: واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٢٠-٢٢٢ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٢ .

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٣ .

وضعه منهج علماني بحث، لا علاقة له بالدين على الإطلاق، فهو قائم على الطريقة الغربية اللادينية التي فصلت الدين عن العلم وفصلته عن الحياة، فإذا جاء درس الدين ذكر الله ورسوله ... ولكنه - حتى في أفضل أحواله - صوت ضعيف لا يكاد صداه يبلغ الآذان فضلا عن القلوب . (١)

ولكى يبعد (د نلوب) أبناء المسلمين عن عقيدتهم الإسلامية أكثر، فقد جعل درس الدين ضمن (المواد الإضافية) التي تلغى في نهاية العام مع المواد الإضافية التي لا تعتبر من صميم الجدول، وبذلك يصبح درس الدين في حـسـن التلاميذ مادة (هامشية) ليس لها اعتبار! (٢)

بهذا المخطط الدلوي الخبيث تخرجت أجيال كثيرة من أبناء المسلمين لا تحس بأي توقير نحو الدين! (٣)

أما درس التاريخ الإسلامي، فكان يبدأ بتلك الجمل التقليدية:

أ - نزل الإسلام في قوم وثنيين يعبدون الأصنام فدعاهم إلى عبادة الله الواحد .

ب - وكانوا يئذون البنات فنهاهم عن ذلك .

ج - ثم دعاهم لنشر الدعوة الإسلامية، فكانت الغزوات والفتوح التي انتهت بانتشار الإسلام في البقاع التي يوجد فيها اليوم!

ومن ثم يكون الإسلام قد استنفذ أغراضه، ولم تعد له مهمة يوءى بها في واقع الحياة! فلم يعد هناك أولئك الوثنيون عباد الأصنام الذين يدعوهم الإسلام إلى عبادة الله الواحد الأحد، ولم يعد أحد يئذ البنات حتى يحتاج إلى دعوة الإسلام للقضاء على هذه الفعلة الشنيعة، ونشر الدعوة - أو الجهاد - قد توقف

(١) محمد قطب: واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٢٣ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٤ .

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٤ .

بحكم الظروف الدولية الحديثة، ولم يعد له مكان في العالم الحديث ^(١).

وهذا هو الإحياء المطلوب من تدريس التاريخ الاسلامي، فالإسلام جاء لزمن معين كان يتسع له ويحتاج إليه، ولكن لم تعد هناك حاجة إليه في الوقت الحاضر، فهو جزء من التاريخ الغابر ولا زيادة ^(٢).

ثم يدرس للتلاميذ عصر البعثه وصدر الاسلام بطريقة، قد تكون وافية، ولكن تدرس هذه الفترة بإيجاز، وتنحى صورة عصر البعثه وصدر الاسلام في أذهان التلاميذ وتخرب بسرعة، لأن الذي يدرس للتلاميذ بعد ذلك هو (التاريخ السياسي) للإسلام والتاريخ السياسي للإسلام هو أسوأ شيء في التاريخ الاسلامي، وهذا شيء يسعى (د نلوب) إلى تحقيقه، لأنه يريد أن يقتل إعتراز المسلمين بتاريخهم الاسلامي، لذلك نجده قد أخفى الصفحة البيضاء كلها، أو بالأحرى يخفي ما في صفحة التاريخ الاسلامي من بياض ويبرز الخط الأسود وحده على أنه هو التاريخ ^(٣).

فهو قد أخفى نشر العقيدة الاسلامية الصحيحة في مساحة واسعة من الأرض تعبت من المحيط إلى المحيط وإخراج الناس فيها من الظلمات إلى النور، ونشر العدل بين الناس، حتى بين من بقى على دينه في تلك الرقعة الواسعة من الأرض، ولم يكتف بذلك بل أخذ يشوه هذه الحقائق، حيث إنه اعتبر حركة الفتوحات الاسلامية، حركة توسع حربي لا هدف من ورائه إلا بسط النفوذ والبحث عن الطعام.

وأخفى بقاء المجتمع الاسلامي في عمومه فترة طويلة من الزمن نظيفا من الفاحشة آثما على أعراضه، آثما على أنسابه، آثما على دماءه وأمواله في ظل شريعة الله التي تحكم بها الدولة الاسلامية.

وأخفى الحركة العلمية الاسلامية الهائلة التي نشرت نورها في الأرض لجميع

(١) محمد قطب: هل نحن مسلمون، مرجع سابق، ص ٣٨-١٣٩.

(٢) محمد قطب: واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٢٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٨.

الشعوب، والتي تعلمت أوروبا منها، وأخذت منها المنهج التجريبي - الذى ابتكره العلماء المسلمون بدافع من عقيدتهم الاسلامية - والذى أهّلها لأن تصل إلى ما وصلت إليه من تقدم فى جميع المجالات فى القرون الأخيرة .

وأخفى أيضا الحركة الحضارية الاسلامية بشقيها المعنوى المتعلق بالقيم الأخلاقية الاسلامية، والمادى المتعلق بالعمارة المادية للأرض والأشكال التنظيمية للحياة (١) .

يقول الاستاذ محمد قطب:

" وحين يخفى (دلوب) هذا كله (من منهج التاريخ الاسلامى)

فماذا يبقى ؟ ! يبقى إحياء ان خبيثان مقصودان :

أولهما : أن الاسلام لم يحكم إلا فترة قصيرة جدا فى عهد الخلفاء الراشدين ثم انتهى إلى غير رجعة .

والثانى : أن التاريخ الاسلامى - بعد صدر الاسلام - خال من كل القيم التى تقيم الحياة الانسانية الصحيحة ، وأنه عبارة عن عمليات دموية من أجل السلطان ! " (٢) .

وبعد أن قدم للتلاميذ الخط الأسود من التاريخ الاسلامى ، فإنه يقدم لهم فى

نفس الوقت الخط الأبيض من التاريخ الأوربى ، وبين لهم أن :

" أوروبا هى العلم ! ، أوروبا هى الحضارة ! ، أوروبا هى القيم ! أوروبا

هى الديمقراطية ! أوروبا هى حقوق الانسان ! ، أوروبا هى التقدم

الصناعى ! ، أوروبا هى الصورة الصحيحة للوجود البشرى فى

جميع المجالات ! " (٣) .

و حين يقدم التاريخ الاسلامى بصورته الكاذبة ، والتاريخ الأوربى بصورته

الكاذبة أيضا فماذا تكون النتيجة ؟ ! .

تكون تخريج أجيال متعاقبة من أبناء المسلمين المتعلمين منسلخين من

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢٢٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

الاسلام باعتبار أنه دين قد استنفد أغراضه ولم تعد له مهمة يؤدّيها في الوقت الحاضر، ومتجهين إلى أوروبا على أنها بلد العلم والحضارة، وأنها منبع النور، ومنتجع الصحة لمن يريد الإستشفاء من التخلف العلمي والحضارى (١) .

بهذا الأسلوب الخبيث إستطاع (د نلوب) أن يستخدم درس اللغة العربية، والدين، والتاريخ الاسلامى فى إبعاد المسلمين عن عقيدتهم الاسلامية .
و (د نلوب) قام بهذا كله دون أن يتعرض للأزهر، بل جعل الأزهر على وضعه السابق، ولكن بتخطيطه الماكر، استطاع أن يصرف أبناء المسلمين عن الالتحاق بالأزهر .

لقد كان المتخرج من الأزهر يلقي إهمالا من قِبل المسؤولين عن توظيف الخريجين، ففرص التوظيف أمام المتخرجين من الأزهر ضئيلة ، ورواتب المتخرجين من الأزهر ضئيلة جدا أيضا، أما المتخرج من المدارس المدنية (المصرية) التى أنشأها (د نلوب) فإنه يعين فور تخرجه فى دواوين الحكومة براتب أكثر بكثير من الراتب الذى يستلمه المتخرج من الأزهر (٢) . وحين رأى الآباء ثمار التعليم المدنى فى الوظيفة المحترمة، والراتب الكبير، تسابقوا فى إلحاق أبناءهم بالمدارس المدنية، وبذلك أصبحت المعاهد الدينية لا يقبل عليها إلا بعض أبناء الأسر التى لها صلة بالدين، أو أبناء الفقراء (٣) .
وقد استطاع المستعمرون الكفار بمدارسهم العصرية التى أنشأوها فى البلاد الاسلامية التى وقعت تحت سيطرتهم أن يقضوا على كل مقومات الأصالة الدينية فى نفوس الطلاب، بحيث يتخرج الطالب من هذه المدارس وهو لا يعرف عن دينه وعقيدته وقيمه وأمته الاسلامية شيئا (٤) .

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٣) أحمد الببلى : التصور الاسلامى لمناهج التربية والتعليم ، مكة المكرمة ، المركز

العالمى للتعليم الاسلامى ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٨ .

(٤) أنور الجندى : من التبعية الى الأصالة ، مرجع سابق ، ص ٨٢ .

فقد حرص القائلون على المدرسة "العصرية" على إهمال القيم والعقائد والأخلاق والعلوم العلمية والمعارف الكونية، ووجهوا أبناء المسلمين إلى صرف أوقاتهم في فلسفات نظرية وعلوم خيالية سقيمة وتفاهاات تشغل الوقت، ودراستات جانبية لا نفع لها في الحياة العملية، وأحاطوا ذلك كله بشيء من القداسة والإهتمام حتى يحولوا دون تغييره إلى ما هو خير منه . ومن ذلك تدريس الخلافات المذهبية والإصراف عن فهم روح الإسلام الحق ، وتدريس الخصومات التي وقعت بين الحكام والخلفاء ، وتجاهل جوانب البناء والإنشاء في مجالات الحضارة والعلوم .^(١) كذلك عمدت نظم التعليم الغربية في البلاد الإسلامية إلى خلق تـلـك الإزدواجية الخطيرة في مجال التعليم والهدف من ذلك هو فصل الدين عن المجتمع والحياة ، ولكي يبقى العلم بعيدا عن الدين ومنفصلا عنه ، ولكي يبقى الدين كأنه نظام لا هوته لا صلة له بالحياة .^(٢)

وكذلك حرصت المدرسة العصرية الغربية على عدم تعريف الطلاب بالإسلام تعريفا صحيحا ، وعدم تدريس القرآن الكريم دراسة صحيحة .^(٣)

كما تعمدت المدرسة العصرية الغربية تدريس الطب والعلوم مقطوعة الصلة عن بداياتها الإسلامية ، فالطلاب المسلمون لم يعرفوا الدور الذي قام به أجدادهم في بناء مناهج هذه العلوم ، ولا قيل لهم أن المسلمين كان لهم دور أساسي في إنشاء مادة الطب ، والجغرافيا ، والكيمياء ، والمنهج العلمي التجريبي .^(٤)

ولم يكتف المستعمرون الكفار بكل ما فعلوه في الشعوب الإسلامية من إبعادهم عن العقيدة الإسلامية بل أخذوا في استدراج أرتال من أبناء المسلمين إلى بلادهم ، لكي يدرسوا لديهم الآداب والفنون والعلوم الانسانية ، وبعض العلوم

(١) أنور الجندى : من التبعية إلى الأتالة ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٤) المرجع السابق ، ص ٨٤ .

الأخرى التى لا تمتد الشعوب الإسلامية بأسباب النمو الصناعى الحقيقى ، وأسباب القوة الحقيقية ، حتى العلوم العربية والعلوم الإسلامية يدرسها أبناء المسلمين فى بلاد الكفرة على أيدي المستشرقين الكفرة .^(١)

وهدف المستعمرون الكفار من إستدراج أعداد كبيرة من أبناء المسلمين إلى بلدانهم هو :

” أن يضعوهم فى المناخ الملائم لتغيير عقائدهم ومفاهيمهم وأخلاقهم وسلوكهم الفردى والإجتماعى ، وأن يصنعوهم بأيديهم وتحت رقابتهم صناعة دقيقة ضمن منهج مرسوم يعدّهم ليكونوا معلمين على وفق أهداف الغزاة متى عادوا إلى أوطانهم . وليكونوا موجّهى العلم فيها ، وواضعى السياسات التعليمية والخطط والمناهج والكتب الدراسية لها . وليكونوا المشرفين على المؤسسات التعليمية المختلفة فيها . وليكون منهم من تسنّم مراكز الإدارة والحكم فيها . كل ذلك بعد أن يكونوا قد تشبعوا بالأفكار والمذاهب وأنواع السلوك الفردى والإجتماعى التى ربّاهم عليها الغزاة ” .^(٢)

بهذه الطريقة استطاع الغزاة أن يصنعوا من أبناء المسلمين عملاء أمناء ، يقومون بتحقيق الأهداف المرسومة لهم فى داخل أوطانهم ، دون أن يخسر الغزاة شيئاً من المال والرجال ، ودون أن يتعرضوا للمشكلات التى يتعرض لها الغزاة عادة فى البلدان المستعمرة ، إنهم لا يخسرون إلا توقعيات على شهادات لا يؤمنون هم بجديتها .^(٣) إن هؤلاء العملاء الذين تربوا على يد الكفرة ، وتشربوا أفكارهم وآراءهم ،^(٤) إذا تولوا الأمور فى أوطانهم - بتخطيط ومساعدة دول الاستعمار -

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى : غزو فى الصميم ، مرجع سابق ، ص ٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٤) انظر وسائل الغزاة لصناعة الدارسين لديهم وفق مخططاتهم ، غزوفى

الصميم ، ص ٧١ - ٧٥ .

فإنهم يعملون على هدم الاسلام، وعلى إبعاد المسلمين عن عقيدتهم الاسلامية أكثر مما يعمل الغزاة لو كانوا مستعمرين للأوطان إستعماراً مباشراً . فهم ينفذون مخططات أعداء الاسلام في أوطانهم بمكر وخبت وتدرج ، وإن أحوج الأمر إلى استخدام العنف فإنهم يلجؤون إليه ، لأنهم يجدوا مؤازرة من القوى العالمية الكبرى المعادية للاسلام^(١) . وهذا النوع من العملاء ، يوجد بكثرة في العالم الاسلامي ، لدرجة أن مقاليد الأمور أصبحت في أيديهم فهم المسيطرون على الأنظمة السياسية في معظم البلاد الاسلامية ، والأنظمة السياسية في العالم الاسلامي هي السيطرة والموجهة لجميع الأنظمة الأخرى ، وهذا هو مكن الداء في معظم الدول الاسلامية .

وكان للسيطرة على التعليم والمعلمين في معظم البلاد الاسلامية من قبل الدول المستعمرة آثار سلبية ، من أهم هذه الآثار :

- ١ - تحول ولاء كثير من المعلمين والمتعلمين إلى الثقافة الغربية والحضارة الغربية، متجاهلين ثقافتهم الاسلامية ، وحضارتهم الراشدة ، وآداب كتابهم وسنة رسولهم صلى الله عليه وسلم .^(٢)
 - ٢ - ظهور دعوات خبيثة تنادي بأن العقيدة الاسلامية ليس لها أدنى صلة بالنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في الحياة ، وليس لها أدنى صلة بالمعايير الأخلاقية ، لذلك يجب أن لا يكون لها أي صلة مؤثرة في الحضارة أو الثقافة أو الفنون .
- وهذه الدعوات تستهدف عزل العقيدة الاسلامية عن حياة المسلمين ، ومسح الشخصية الاسلامية بتحويل انتمائها الى الحضارة الغربية .^(٣)

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : غزو في الصميم ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

(٢) علي عبد الحليم محمود : الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام ، القسم

الاول ، مرجع سابق ، ص ١١٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢١ .

٣ - ظهور دعوات تنادى بالإلحاد والزيف والفساد ، وتنادى بتحرير المرأة ومخالطتها الرجال ، لكي يمكن تحويلها بعد ذلك إلى ممثلة وراقصة ومغنية ومسامرة على موائد الخمر في الملاهي . (١)

٤ - ومن الآثار السلبية الناتجة عن السيطرة على التعليم والمتعلمين في العالم الإسلامي ، تمهيد الطريق أمام الأعداء لكي ينشئوا مراكز وهيئات ومؤسسات معادية للإسلام محاربة لفكره وحضارته وأخلاقه وآدابيه مثل :

مراكز التربية الأساسية في بعض الدول الإسلامية ، فهي تستهدف القضاء على القيم الإسلامية بدعوى التطوير والتنمية ، وهذه المراكز من أهم ركائز الغزو الفكري في العالم الإسلامي ، فهي تعمل جاهدة لتحويل العادات والتقاليد الموروثة إلى عادات وتقاليد غريبة لا تعرف الحياء ولا تستحي من الأحياد يث الجنسية المكشوفة بين الناس . (٢)

هذه أهم الآثار السلبية - في نظر الباحث - الناتجة عن السيطرة على التعليم من قبل الدول المستعمرة لبعض الدول الإسلامية ، والهدف الكبير من وراء كل ذلك ، تذويب العقيدة الإسلامية من نفوس المسلمين ، ليصبحوا نهبا للفكر الغربي والحضارة الغربية . (٣)

يقول محمد إقبال* عن أثر التعليم الغربي في العالم الإسلامي :

-
- (١) على عبد الحليم محمود : الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، القسم الأول ، مرجع سابق ، ص ١٢١ .
- (٢) المرجع السابق ، نفس المكان .
- (٣) المرجع السابق ، نفس المكان .

* هو محمد إقبال بن نور محمد ، ولد في مدينة " سيالكوت " إحدى مدن مقاطعة البنجاب سنة ١٨٧٧ م ، تلقى دراسته العليا في " لاهور " و " لندن " و " ميونيخ " ، له عدة محاضرات في الفلسفة والاقتصاد والسياسة ، ترجمت أكثر كتبه إلى الإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، والبلغارية ، والروسية ، توفي سنة ١٩٣٨ م .

انظر : الندوى : الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية في الأقطار الإسلامية ، ص ٧٧ .

لقد أضعف نظام التعليم الغربي المطبق في العالم الاسلامي الروح المعنوية في الشباب المسلم ، وجنى على رجولته ، فأصبح شبابا رخوًا رقيقًا ، ضائعًا ، متحللاً من القيم الخلقية ، جبانًا لا يستطيع الجهاد في سبيل الله ولا يحتمل المكروه (١) .

وله أنشودة رائعة يصف فيها الشباب المثقف ثقافة غربية يقول فيها :

" الشباب المثقف فارغ الاكواب ظمآن الشفتين ، مصقول الوجوه ، مظلم الروح ، مستنير العقل ، كليل البصر ، ضعيف اليقين ، كثير اليأس ، هؤلاء الشبان ينكرون أنفسهم ويؤمنون بغيرهم ، شباب ناعم رخو رقيق يموت الأمل في مهدده في صدورهم ، إن المدرسة نزعته منها العاطفة الدينية ، وأصبحوا خبر كان ، أجهل الناس لنفوسهم وأبعدهم عن شخصياتهم ، شغفهم بالحضارة الغربية ، يبيعون أرواحهم في سبيلها ، إن المعلم لا يعرف قيمتهم فلم يخبرهم بشرفهم ولم يعرفهم بشخصيتهم ، .. يشترون من الفرنج اللات ومناة ، مسلمون ولكن عقولهم تطوف حول الأصنام ، كل ما عندهم من علم وفن ودين وسياسة وعقل وقلب يطوف حول الماديات ، قلوب باردة لا لوعة فيها ولا حرارة ونظر غير عفيف ، قلب لا يعرف الخشوع وعين لا تعرف الدموع .. هذا الجيل ليس حيًا قائمًا بنفسه مفكرًا بعقله ، إنه ظل لأوربا ... " (٢) .

ويقول : " إن نظام التعليم الغربي ، إنما هو مؤامرة على الدين والخلق والمرءة (٣) . بهذه الوسائل وغيرها استطاع الصليبيون الكفرة أن يبعدوا أبناء الأمة الاسلامية عن العقيدة الاسلامية ، وبذلك أصبحت الأمة الاسلامية - نتيجة للأسباب الذاتية والخارجية - في تخلف عقدي رهيب نتج عنه كل ألوان التخلف التي أصابت الأمة الاسلامية في العصر الحالي في كافة المجالات .. التخلف في المجال العلمي والحضاري والسياسي والاقتصادي والحربي .. .

(١) أنور الجندی : من التبعية الى الأصاله ، مرجع سابق ، ص ٧٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) أبو الحسن علي الحسنی الندوی : الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية

في الأقطار الاسلامية ، الكويت ، دار القلم ، ١٤٠٥ هـ ، ط ٥ ، ص ١٧٥ .

وسوف يتحدث الباحث الآن عن أهم آثار البعد عن العقيدة الإسلامية ففى

المجالين العلمى والحضارى :

أولا : أهم آثار البعد عن العقيدة الإسلامية فى المجال العلمى :

١ - الجمود الفكرى :

من أهم آثار البعد عن العقيدة الإسلامية فى المجال العلمى ، الجمود الفكرى الذى عمَّ معظم أرجاء العالم الإسلامى فى العصر الحالى ، وهذا بعكس ما كان عليه العالم الإسلامى فى القرون الأربعة الأولى والقرون التى تلتها حتى القرن التاسع الهجرى .

فقد كان العالم الإسلامى فى القرون الأربعة الأولى للمهجرة يمر بمرحلة بناء وإبداع فى جميع العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والفلسفية وفى الرياضيات والعلوم الطبيعية، حتى أنه قد أطلق على عصور تلك القرون عدة مسميات وذلك بحسب ما برز فى ذلك العصر من تقدم علمى . ففى البداية كان هناك عصر الإجماع والفقهى ، وعصر أئمة التفسير والحديث وأعلام المؤرخين والجغرافيين ... ، وعصر كبار الأدباء والنقاد واللغويين ، وعصر إرتقاء العلوم والرياضيات ، وإبتكار علوم جديدة فيها ، وإرتقاء الطب وكبار الأطباء العالميين .

ثم كان عهد الموسوعات الكبرى وروائع الإبداع الفكرى فيما بين القرن السابع والتاسع للمهجرة حيث ظهر أمثال : العز بن عبد السلام (٦٦٠ هـ) صاحب " قواعد الأحكام فى مصالح الأنام " ، وابن تيمية (٧٢٨ هـ) ، وابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ) .. وغير ذلك .

ثم كان عهد الركود والجمود والإحساس الذى بدت بوادره فى القرن التاسع والعاشر بعد عهد الحركة والإبداع والإبتكار^(١) ، وهو فى ذروته فى العصور الحالية ،

(١) محمد المبارك : بين الثقافتين ، د. م. ، دار الفكر ، ١٤٠٠ هـ ، د. ط . ،

حيث أصبح الناس في هذه العصور مقلدين لمن سبقهم من العلماء ، ومقدسين لهم تقديسا يقرب من العصمة ، وآخذين لأقوالهم من غير معرفة الدليل النقلى فى الشرعيات ، والدليل العقلى فى العقلیات . (١)

ويصف الشيخ محمد المبارك يرحمه الله حال العلوم على اختلاف أنواعها فى عصور الجمود الفكرى فى العالم الاسلامى بقوله :

تحولت العقيدة الاسلامية من إيمان ووعى شامل لدى الصحابة إلى فلسفة فكرية لدى المتكلمين والفلاسفة فى القرون الخمسة الأولى من الهجرة ، ثم إلى متون مكثفة تشمل على جزئيات مجمدة من بقايا تلك الآراء الكلامية والفلسفية كمتن جوهرية التوحيد للقانى (٤١٠ هـ) الذى كان شائع الإستعمال بكثرة فى القرن الثالث عشر الهجرى والقرن الرابع عشر الهجرى فى كثير من بلاد العالم الاسلامى . وكان من أبرز النتائج التى جاءت نتيجة انحدار علم الكلام إبطال فكرة السببية ورفضها بحجة أنها منافية على زعمهم لكون الله خالقا ومريدا . وأعان على ذلك مهاجمة الصوفية لفكرة الأخذ بالأسباب ، وإرشاعتهم فكرة الخوارق والكرامات ، واتخاذهم من البدع الخرافية المخالفة لمنطق العقل طريقا لمعالجة شئونهم بدلا من الأخذ بسنن الله التى أجراها فى مخلوقاته . فتعاونت هذه العوامل كلها على تعطيل التفكير العلمى لدى المسلمين . (٢)

ونتج عن هذا الاتجاه الذى اتجه نحوه المتكلمون والمتصوفة إنحسار فى العلوم والبحث والرياضيات ، حيث أهمل تدريس الرياضيات التى كانت مفخرة من مفاخر الفكر الاسلامى والحضارة الاسلامية بما ابتدع فيها المسلمون من الجبر والمثلثات وغيرها . وأهملت أبحاث الكيمياء والفيزياء كعلم البصريات (الضوء) وعلم الحيل (الميكانيكا) وغيرها من العلوم التى اشتهر فيها أعلام عالميون فى تاريخ العلم من المسلمين كالبيرونى وابن سينا وغيرهم . وكذلك أهمل تدريس الطب

(١) الثقافة الاسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المستوى الرابع ، ص ١٠٤ .

(٢) محمد المبارك : بين الثقافتين ، مرجع سابق ، ص ٥٨ - ٥٩ . (بتصريف)

والفلك الذى تقدم وارتقى فى العهد الاسلامى الأول ، كما أهمل علم الجغرافيا بعد إزدهاره على يد ابن حوقل واليعقوبى والإدريسى . وكذلك أهمل تدريس جميع فروع العلوم المتعلقة بالكون واكتشاف سننه (١) .

وعند وصفه للحالة التى وصل إليها علم الفقه قال :

" انتقل الفكر الفقهي الرائع المبدع الذى حلق فى عهد الصحابة رضوان الله عليهم الذين استطاعوا أن يحلوا المشاكل التى واجهتهم فى المناطق التى خضعت لهم نتيجة الدعوة والفتوحات ، وفى عهد تلاميذهم التابعين ، ثم فى عهد الإجتهد والإبداع ، عهد الأئمة المجتهدين الذين لا يكاد يحصى عددهم ، ثم فى عهد مؤلفى الموسوعات الفقهية الكبيرة كالمغنى لابن قدامة الحنبلى ، والمجموع للنووى الشافعى ، والمبسوط للسرخسى الحنفى ، حيث تستعرض آراء المذاهب وأدلتها ويوازن بينها ، انتقل الفكر الفقهي من هذه المستويات العالية إلى مستوى المتن المكثفة المعقدة التى قلما تستوعب جميع أبواب الفقه ، فلا يكاد يذكر باب السير والجهاد أو باب الإمامة والخلافة أو باب المعادن والركاز (٢) .

لأن هذه المتون مذهبية صرفة ، تقتصر على مذهب واحد ، وتتألف من جزئيات فقهية بعيدة عن فهم كليات الشريعة ومقاصدها والقواعد الكلية ، وهى كذلك منفصلة إنفصالا تاما عن أدلتها من القرآن والسنة . لذلك فإن دراسة هذه المتون ، وشروحها . وحواشيها لن تنشئ مجتهدين ولا مدركين واعين لفقه المجتهد يسن المدعوم بالأدلة من القرآن والسنة . فوقفت بذلك الحركة الفقهية الرائعة وجمدت ، ولم يعد الفكر الفقهي قادرا على حل المشكلات الطارئة ، لأنه فقد الملكة التى تكونها دراسة الفقه بأدلة من القرآن والسنة ومناقشة مختلف آراء المذاهب وأدلتها (٣) .

(١) محمد المبارك : بين الثقافتين ، مرجع سابق ، ص ٥٩ - ٦٠ " بتصرف " .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٠ - ٦١ .

وعند حديثه للحالة التي وصل اليها الأدب قال :

انحط الذوق الأدبي في العصور الحالية ، فهي لم تخرج أعلاما فسي الأدب أمثال ابن المقفع والجاحظ .. ، وأمثالهم من القمم الأدبية العالية ، بل انحط الأسلوب والذوق الأدبي في القرون الأربعة الأخيرة إلى أدنى الدرجات (١) .

وبصفة عامة انحطت سائر العلوم الإسلامية الأخرى كالأخلاق والعلوم الإنسانية التي ابتدعها المسلمون انطلاقا من المفاهيم المستمدة من الكتاب والسنة .

وننتج عن هذا الجمود الفكري في العالم الإسلامي تأخر المجتمع الإسلامي فكريا بوجه عام ، وركود الحركة العلمية المتعلقة بالكون والطبيعة بوجه خاص ، فقد ضعف الإبداع العلمي تدريجيا حتى زال واختفى في العصور الحالية ، وفقد المسلمون القدرة على التفكير الكلي الشامل الذي يستطيع أن يستخرج من الجزئيات الكليات ، ومن الحوادث سننها وقوانينها العامة ، وشاع فيهم التفكير الذي يقتصر على النظر في الجزئيات مبعثرة مشتتة دون القدرة على وضعها في مواقعها من نظام عام شامل (٢) .

ويقول أبو الأعلى المودودي في هذا المجال :

"إذا استعرضنا .. حالتنا الفكرية والعلمية في هذه القرون - الأخيرة - ظهر - لنا - أن باب التحقيق والإجتهاد العلمي موصدا عندنا إلى ما تركه لنا أوائلنا وأسلافنا والفكرة التي سادت وكانت لها جذور متأصلة في نظام تعليمنا أن كل شيء قد تم على يد أسلافنا ، هو آخر لبنة في بناء العلم والتحقيق ، لا يضاف ولا يمكن أن يضاف إليه بعدها شيء أبدا . وأن أعظم خدمة يمكن أن يقدمها إلى الأمة هي أن يذلل ما كتبه الأولون بحواشي وشروح يوفونها ويشتغلون بتدريسها . فلا نكاد نعثر في هذه القرون على أثر فكرة مبتكرة واختراع مبتدع واكتشاف جديد ،

(١) محمد المبارك : بين الثقافتين ، مرجع سابق ، ص ٦٢ .

(٢) الثقافة الإسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المستوى الرابع ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

وبذلك طرأ علينا جمود فكري وغشى أجواءنا العقلية سحابة سوداء
من العقم والتبلد .. " (١).

كما بين أن الجمود الذي أصيب به العالم الاسلامي كان ناتجا عن بعد
المسلمين عن مصدرى العقيدة الاسلامية ، حيث يقول :

" - لقد حدث - أن المسلمين لطول ممارستهم للحكم بالقلـم
والسيف غلبهم التعب والكلام . فخدمت فيهم روح الجهل—
وضعفت قوة الاجتهاد . فجعلوا كتاب الله الذي منحهم نور العلم
وقوة العمل تذكارا مقدسا غلفوه ووضعوه في المحاريب وتركوا اتباع
السنة النبوية ، التي شكلت حضارتهم في صورة نظام مكتمل للفكر
والعمل . فكانت النتيجة أن توقف سير رقيهم ، وتحول ذلك النهر
الذي بقي جاريا منهما على طول القرون الى مستنقع ساكن فى
وادي الجمود . فانعزل المسلمون عن منصب الإمامة فى العالم
وضعف ما كان لأفكارهم وعلومهم وغلبتهم السياسية من سلطان
على أمم العالم . " (٢).

٢ - التخلف العلمى :

يعتبر التخلف العلمى سمة بارزة فى الأمة الاسلامية فى العصر الحديث ،
فبعد أن كانت الأمة الاسلامية فى القرون الأولى تقود العالم وتترعمه بفضل ما وصلت
إليه من قوة فكرية وعلمية ناتجة عن تمسكها بتعاليم عقيدتها الاسلامية أصبحت فى
القرون الحالية تابعة لغيرها من أمم الأرض التى استعملت قواها الفكرية فى
الكشف عن سنن الكون ، وفى البحث عن ذائر القوى الفطرية المكنونة فى جوف
الأرض وأعماق البحار (٣) ، وذلك لأنها ابتعدت عن التمسك بعقيدتها الاسلامية

(١) أبو الأعلى المودودى : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، بيروت ، مؤسسة

الرسالة ، ١٤٠٢ هـ ، ط ٥ ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٢) أبو الأعلى المودودى : نحن والحضارة الغربية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،

١٤٠٣ هـ ، ط ٥ ، ص ٤٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠ - ١١ .

التي تحثها دائما على مزاولة التفكير والبحث والتدقيق ، وعلى الاجتهاد وتحصيل العلم .

فالمسلمون اليوم توقفوا عن السير في كشف سنن الكون وأعرضوا عن ذلك إعراضا يكاد يكون تاما ، فأهملت العلوم الطبيعية لديهم ، وضعف الإبداع العلمي لديهم (بل زال واختفى في العصر الحاضر) ، وفقدوا القدرة على التفكير الكلى الشامل الذي بموجبه يستطيع الإنسان أن يستخرج من الجزئيات الكليات ومن الحوادث سننها وقوانينها العامة ، وشاع فيهم التفكير الذي يقتصر على النظر في الجزئيات بمعشرة مشتتة دون القدرة على وضعها في مواقعها من نظام عام شامل^(١) . إن فقدان الإبداع العلمي الذي عرف به المسلمون الأوائل في القرون الأولى للإسلام في شتى مجالات العلوم النظرية والعلمية والدينية والدنيوية كان نتيجة لغلبة روح التقليد للسابقين ، وتقديس الرجال تقديسا يقرب من العظمة ، حتى غدت حياة أعلام الإسلام وعظمائه منسوجة في نظر أهل العصر - الحديث - من الخوارق والكرامات ، وغدت الخوارق والكرامات هي المقياس الوحيد لصلاحهم وتقواهم ومنزلتهم في الإسلام ، وأهملت جوانب عظمتهم الحقيقية^(٢) .

وحيثما تلقى نظرة خاطفة على الواقع العلمي في العالم الإسلامي المعاصر ، نجد أن الأمة الإسلامية عالة على الأمم الغربية والشرقية في كل ما يتعلق بالمكتشفات والمخترعات العلمية في كافة مجالات الحياة المختلفة ، وهذا راجع في نظر الباحث إلى بعد الأنظمة السياسية عن التمسك بالعقيدة الإسلامية والعمل بتعاليمها لأن الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي هي المسيطرة والمحركة لكافة الأنظمة المختلفة في الدول الإسلامية .

ونجد أن الإنفاق الذي تنفقه الدول الإسلامية على عمليات التقدم العلمي والتقني لا يتعدى ٠.٣ ٪ من إجمالي ناتجها القومي ، بينما نجد أن الدول

(١) الثقافة الإسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المستوى الرابع ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

الكبرى تنفق على عمليات التقدم العلمى والتقنى ما بين ٢٪ و ٤٪ من إجمالى ناتجها القومى ^(١) . وكذلك نجد ما يسمى بدولة إسرائيل تنفق على البحث العلمى ٥.١٪ من دخلها القومى ^(٢) .

ونجد أن عدد الطلاب فى جامعات العالم الاسلامى يبلغ حوالى الثلاثة ملايين طالبا فى عام ١٩٨٥ م بينما يبلغ عدد الطلاب المسجلين فى جامعات الدول المتقدمة علميا عشرة أضعاف عدد الطلاب المسجلين فى جامعات العالم الاسلامى فى نفس الفترة ^(٣) .

ونجد أن معظم الدراسات التى يقوم بها طلاب الجامعات فى العالم الاسلامى دراسات نظرية وأدبيه واجتماعية أما الدراسات العلمية والتقنية فإنها مهمة فى أكثر الجامعات فى العالم الاسلامى . ويهمل هذه الدراسات ندرت الخبرات العلمية والتقنية فى العالم الاسلامى المعاصر، حيث بلغت نسبة العلماء التقنيين إلى مجموع تعداد السكان فى الدول الاسلامية رقما لا يذكر إذا قرن بنسبتهم فى الدول المتقدمة علميا وتقنيا، إن تتراوح نسبة العلماء والتقنيين فى "بنجلادش" عشرين فى المليون، وأما نسبتهم فى مصر فإنها تبلغ مائة وتسعين فى المليون، بينما تتراوح نسبة العلماء والتقنيين عند غير المسلمين بين (٤٣٠٠) فى المليون "فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية" و (٨٢٠٠) فى المليون "فى الكتلة الشرقية المكونة من الاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية والصين" ^(٤) .

(١) زغلول راغب النجار: قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الاسلامى،

قطر، مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية، ١٤٠٩ هـ، ص ١٢٢ .

(٢) جريدة الرياض، ٩ ربيع الثانى عام ١٤٠٣ هـ، ص ١٤ .

(٣) زغلول النجار، المرجع السابق، ص ١٢٣ .

(٤) المرجع السابق، ص ١٢٢ .

* يبلغ عدد الجامعات فى دول العالم الاسلامى أكثر من ٢٢٤ جامعة .

زغلول النجار، المرجع السابق، ص ١٢٣ .

ونجد أن الأمية متفشية في هذا العصر بين أبناء المسلمين البالغين (أكبر من ١٥ سنة) ، حيث تتراوح نسبتها بين ٥٠ ٪ و ٨٠ ٪ ، في حين تقل نسبة الأمية عن ٢ ٪ بين أبناء دول الشمال ^(١) ، وتبلغ نسبة طلاب المدارس (بين عمر خمسة أعوام وتسعة عشر عاما) ٣٧ ٪ من مجموع تعداد السكان في العالم الاسلامي المعاصر ، في حين تبلغ نسبة طلاب المدارس ٧٥ ٪ في دول الشمال ^(٢) .

ولو نظرنا إلى دولة إسلامية واحدة كمصر مثلا نجد أنه يوجد بها (٢٠٠) ألف طفل ينضمون إلى الأمية سنويا نتيجة قصور الإحتياجات في المدارس ^(٣) .

وهناك إحصائية صدرت عن هيئة اليونسكو ورد فيها أن العالم سيضم عام ٢٠٠٠ م ما يقرب من ١٠٠٠ مليون أمي أكثرهم من العالم الاسلامي ^(٤) .

إن هذا الواقع العلمي المحزن للعالم الاسلامي ، لا يوءهله أن يحرز أى تقدم علمي أو حضارى ، لأن أى تقدم علمي أو حضارى يحتاج إلى عقولا مستنيرة ، ونفوسا صابرة ، وحواس مستوعبة ، وذاكرة حاضرة ، وتدريب متواصل ، وعملان ووبا ، وتجمعا بشريا لا يقل عن مائة مليون نسمة ، وإنفاقا سخيا ، وتشجيعا متوصلا ، والالتزام أخلاقي ناتج عن تعاليم العقيدة الاسلامية ^(٥) .

إن الاستبداد السياسى فى معظم البلاد الاسلامية يعتبر من أهم الأسباب التى أدت الى تخلف المسلمين فى كافة المجالات ، وخاصة فى مجال التقدم العلمى والحضارى ، لأن معظم الأنظمة السياسية فى العالم الاسلامي أنظمة علمانية لا تطبق تعاليم العقيدة الاسلامية فى جميع شئون الحياة ، ولا تقسم للعقيدة الاسلامية وزنا .

(١) زغلول راغب النجار : قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الاسلامي ،

مرجع سابق ، ص ١١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٣) مجلة السلمون ، العدد (٦٥) ، ٦ - ١١ - ١٤٠٦ هـ ، ص ٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣ .

(٥) زغلول النجار ، المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

ولا سبيل للمسلمين اليوم إذا أرادوا النهوض من هذا التخلف العلمي إلا إذا أحيوا في نفوسهم معنيين أصوليين هامين .

" أولهما شمول (العقيدة الإسلامية لكافة جوانب الحياة) وثانيها وحدة الأمة الإسلامية ، فإذا آمنت القيادة السياسية والفكرية في عالمنا الإسلامي المعاصر بهذين الأساسين الشرعيين ، ودعت إليهما ، وعملت جاهدة على تحقيقهما بخطى وعيدة متزنة ، وتخطيط بعيد النظر عميق الرؤية ، تبلور الأمل في إمكانية نهضة الأمة من كبوتها ولوجتياز فترة التخلف التي عاشتها ، وفي مقدمة ذلك التخلف العلمي (والحضاري) ... الذي يمكن أن توظف كل طاقات الأمة المادية والبشرية لإجتيازه وتخطيه (إذا طبقت الأمة تعاليم العقيدة الإسلامية في جميع شئون الحياة) وإذا توحدت الأمة وتكاثفت إمكانياتها وطاقاتها " (١) .

وقد تحدث (جوستاف لوبون) عن التقدم العلمي وإرتباطه بالعقيدة الإسلامية فقال : " إن السبب في انحطاط الشرق (المسلم) هو تركه روح الدين ، وتشبثه بالعقائد الباطلة ... ، وقال : إن الشعب الذي يريد الرقي يجب ألا يقطع الصلة التي تربطه بماضيه ، وأن العلوم الحديثة لا تفيد المسلمين إلا إذا اقترنت بدِينهم ولم تنفصل عنه " (٢) .

فنقول للذين يقولون إن التزام المسلمين بالعقيدة الإسلامية هو سبب تخلفهم في جميع المجالات ، وخاصة في المجال العلمي والحضاري نقول لهم : إن التخلف الذي يعاني منه العالم الإسلامي اليوم في جميع المجالات وخاصة المجال العلمي والحضاري لا دخل للعقيدة الإسلامية فيه ، ولا تتحمل العقيدة الإسلامية وزره ، بل هو عقوبة إلهية أوقعها الله بالمسلمين جزاء تخليهم عن عقيدتهم الإسلامية .

(١) زغلول النجار : قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .

(٢) نقلا عن : أنور الجندى : قضايا العصر ومشكلات الفكر ، مرجع سابق ، ص ١٩٠ .

ونقول لهم — :

إنه لا يوجد دليل علمي يثبت لنا أن الالتزام بالعقيدة الإسلامية هو سبب تخلف المسلمين علميا وحضاريا ، بل إن هناك الكثير من الأدلة العلمية التي تثبت أن الالتزام بالعقيدة الإسلامية هو السبب في تقدم المسلمين الأوائل في القرون الأولى . وهناك أيضا الكثير من الأدلة العلمية التي تثبت أن تخلف المسلمين في جميع المجالات كان سببه عدم التزام المسلمين بتعاليم عقيدتهم الإسلامية في كافة مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية وغيرها .

٣ - التبعية الفكرية للغرب :

في الوقت الذي أصيب المسلمون بالجمود الفكري والتخلف العلمي بسبب بعدهم عن العقيدة الإسلامية التي تحثهم على الاجتهاد في طلب العلم ، وعلى اعمال العقل في تدبر الكون وما فيه من مخدرات ، واستغلالها الاستغلال الأمثل ، كانت دول الغرب قد بلغت فيها الحضارة أوج كمالها ، وفي الوقت نفسه أيضا أبتليت معظم الدول الإسلامية بغلبة الدول الغربية عليها في الحكم والسياسة ، وأصبحت معظم الدول الإسلامية مستعبدة سياسيا وعسكريا من قبل الدول الغربية الصليبية .

وحينما سيطرت الدول الغربية الصليبية عسكريا وسياسيا على معظم العالم الإسلامي نتيجة لقوتها المادية ، كانت تتمتع في نفس الوقت بقوة معنوية فكرية ، وبذا أصبحت بعض الدول الإسلامية مستعبدة سياسيا وعسكريا ومعنويا ، والبعض الآخر مستعبدة إستعبادا معنويا ، لأنها لم تستغل ما آتاه الله من قوى الفكر والعقل في البحث والتحقيق والإكشاف .^(١)

”إن الغلبة والإستيلاء المعنوي يقوم بنيانه في الحقيقة على

(١) أبو الأعلى المودودي : نحن والحضارة الغربية ، مرجع سابق ، ص ٨ .

الإجتهاد والتحقيق العلمى . فكل أمة تسبق غيرها إليه تتولى قيادة العالم وزعامة الأمم ، وتستولى أفكارها هى على العقول . وأما الأمة التى تتخلف فى هذا الطريق فلا تجد مناصا من اتباع الغير وتقليده ... " (١) .

إن المسلمين عندما كانوا ملتزمين بتعاليم عقيدتهم الإسلامية فى كافة المجالات ، كانوا قادة العالم وكانت جميع الأمم تابعة لهم وسائرة فى ركبهم ، وكان الفكر الإسلامى غالبا على أفكار النوع الإنسانى بأجمعه .

ولكن عندما ابتعد المسلمون عن الالتزام بعقيدتهم الإسلامية ، وتركوا مزاولته التفكير والبحث والتدقيق والإجتهاد فى تحصيل العلم ، انتقلت قيادة العالم إلى أم الغرب التى أستغلت قواها الفكرية فى التنقيب عن أسرار هذا الكون ، وفى البحث عن دوائر القوى الفطرية المكنونة فى جوف الأرض وأعماق البحار . (٢)

واضطر المسلمون فى بعض الدول الإسلامية المستعبدة عسكريا وسياسيا ومعنويا إلى الخضوع لسلطان الدول الغربية الصليبية ، التى فرضت الفكر الغربى من خلال سيطرتها على التعليم والصحافة والثقافة . فنشأ الجيل الجديد من أبناء المسلمين على أشد ما يكون من الإنفعال والتأثر بالأفكار الغربية ، وظلت عقلياتهم تتلون بلون الغرب .

" فهم لا يفكرون إلا بعقول غربية ولا يبصرون إلا بأعين غربية ولا يسلكون إلا الطرق التى قد مهدها لهم الغرب . وقد رسخ فى نفوسهم ، سواء أشعروا به أم لم يشعروا ، أن الحق هو ما عند أهل الغرب حق والباطل ما يعدونه باطلا ، إن المقياس الصحيح للحق والصدق والآداب والأخلاق والإنسانية والتهديب هو الذى قد قرره الغرب لكل ذلك . فيقيسون بهذا المقياس ما بأيديهم من العقيدة والإيمان ويختبرون ما عندهم من الأفكار والتصورات والمدنية والتهديب والأخلاق والآداب . فكل ما يطابق

(١) أبو الأعلى المودودى : نحن والحضارة الغربية ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠-١١ .

منها ذلك المقياس يطمئنون إلى صدقه ويفتخرون بمجيب أمر من أمورهم موافقا للمعيار الأوربي . وأما ما لا يطابقه منها فيظنون خطأ وباطلا ، شعروا بذلك أم لم يشعروا ، ثم يأتي المتعسف منهم فيتبرأ منه ويرفضه علنا ، ويقف المقتصد منهم باخعا نفسه عليه ، أو يعود يعالجه جذبا ومدا حتى ينطبق على المعيار الغربي بوجه من الوجوه " . (١)

ولا يخفى على متبصر ما لقوة نظم التعليم من قوة في تغيير الأفكار والقيم والتصورات ، فكل نظام تعليمي يحمل بين طياته معتقدات وتصورات وأفكار ومفاهيم واضحة . يقول أبو الحسن الندوي :

" إن لنظام التعليم روحا وضميرا كالكائن الحي ، له روح وضمير ، إن روح نظام التعليم وضميره إنما هو ظل لعقائد واضعياته ونفسياتهم ، وغايتهم من العلوم ودراية الكون ، ووجهة النظر إلى الحياة ومظهر لأخلاقهم ، وذلك ما يمنح نظام التعليم شخصية مستقلة وروحا وضميرا بذاتهما ، إن هذه الروح هي التي تسرى في هيكله تماما ، إنها تسرى في جميع العلوم ، في الأدب والفلسفة والتاريخ والفنون والعلوم العمرانية ... " (٢)

وعند ما يطبق أي نظام تعليمي على أبناء أي مجتمع ما ، فانهم يتأثرون بالمعتقدات والتصورات الموجودة في هذا النظام ، وهذا هو عين ما فعله الاستعمار الصليبي الغربي عند ما سيطر على بعض الدول الإسلامية ، فقد طبق نظامه التعليمي على أبناء المسلمين ، مما كان له الأثر الكبير في تغيير أفكارهم وقيمهم ولغتهم . حتى أن بعض المستشرقين جعل من تفريب البلاد الإسلامية مقياسا لقوة النظام التعليمي الغربي ، فها هو " جب " في كتابه وجهة الاسلام يقول :

" والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التفريب " أو الفرنجة "

(١) أبو الأعلى المودودي : نحن والحضارة الغربية ، مرجع سابق ، ص ٩ .

(٢) أبو الحسن علي الحسيني الندوي : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الاقطار الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

هو أن نتبين إلى أي حد يجرى التعليم على الأسلوب الغربي ،
وعلى المبادئ الغربية ، وعلى التفكير الغربي " (١) .

وقد كان للعلوم الاجتماعية أثر واضح في تكوين التبعية الفكرية للغرب ، حيث
إنها أثرت بما تحتويه من نظريات وآراء على أفكار الطلاب . فتدريس الأدب الغربي
للطلاب يؤدى إلى :

" حمل العقول الناشئة الغضة ... على أن تتشرب روح المدنية
الغربية بثقة عمياء واندفاع كبير قبل أن يتاح لها أن تعرف النواحي
السلبية فيها معرفة كافية ، وهكذا لا تكون الطريق معبدة لحسب
ذلك الأدب حبا عذريا فقط ، ولكن تساعد على التقليد العملي
لتلك المدنية الغربية التي لا يمكن أن تتفق مع روح الاسلام " (٢) .

وفى درس التاريخ كان يفسر تاريخ الأمة الإسلامية وفكرها ولغتها بطريقة
تعطى للطالب صورة :

" للتخلف البشرى فيه .. كى يفسح مكانا للحاجة إلى قيادة متقدمة
فى خطوات الانسانية ... وفى مقابل هذا التفسير يفسر تاريخ
الدول الغربية ولنتاجها فى الفكر واللغة ، بما يجعلها ذات
أهلية للتقدم لقيادة المجتمعات والشعوب من أجل إسعاد
البشرية نفسها " (٣) .

أما تدريس علم الاجتماع ونظرياته الغربية لأبناء المسلمين فقد أشاع فى أفكارهم
" أن الدين ظاهرة اجتماعية حسيه كغيرها وأن الإله فكرة تعليلها
كل نظرية اجتماعية على طريقته على أساس أنها فكرة طارئة فى
حياة البشر الاجتماعية لا على أساس أنها تتضمن حقيقة خارجية " (٤) .

(١) نقلا عن : محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ،
مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٢) محمد أسد : الاسلام على مفترق الطرق ، ترجمة عمر فروخ ، د . م ، دار
العلم للملايين ، ١٩٧٤ م ، ط ٧ ، ص ٧٤ .

(٣) محمد البهى : الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر مشكلات الحكم والتوجيه ،
بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٥ م ، ط ٢ ، ص ٣٨٤ .

(٤) محمد المبارك : بين الثقافتين الغربية والإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

والأخلاق لا تدرس بهدف تنمية الضمير الإنساني ، إنما تدرس باعتبارها فرعاً من فروع علم الاجتماع ، وباعتبار الفضائل والرياضات والقيم ظواهر اجتماعية نسبية تختلف من بلد إلى بلد ومن عصر إلى عصر . (١)

ونتيجة لهذه العلوم المصبوغة بالفكر الغربي والنظريات الغربية ، والتي كانت تدرس لأبناء المسلمين ، ظهرت طبقة من المثقفين من أبناء المسلمين تنادى بالأخذ بالأفكار والنظريات الغربية ، لأنها تأثرت بها ، لدرجة أنها أصبحت لا تفكر إلا بعقول غربية ولا تبصر إلا بأعين غربية . فهي ترى أن كل قضايا الفكر لابد أن تفسر من خلال ما قاله العلماء والفلاسفة في الغرب ، وكل مشاكل المسلمين لابد أن تحل عن طريق الفكر الغربي ، وترى أن الإنسان المثقف هو الشخص الذي يلم بالأفكار الغربية ، ويستشهد بأقوال العلماء الغربيين ، ويسير على النمط الغربي في كافة المجالات . (٢)

وكمثال لهذا الصنف من المثقفين الذين ينادون بالأخذ بالأفكار الغربية أو ينادون بالتجديد * قاسم أمين ، طه حسين .

فقاسم أمين نجد أنه يدعو من خلال كتابه " المرأة الجديدة " إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية ، فيقول بعد أن ذكر أن إعجاب المسلمين وافتخارهم الشديد بالماضي إنما هو ناتج لشعورهم بالضعف والعجز :

-
- (١) محمد المبارك : بين الثقافتين الغربية والإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .
 (٢) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ ، ط ٧ ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ .

* التجديد هو : محاولة أخذ الطابع الغربي ، والأسلوب الغربي في تفكير الغربيين ، سواء في تعبيرهم عن الدين ، أو في تحديد مفاهيمهم ومفاهيم الحياة التي يعيشونها ، أو في تقديرهم للثقافات الشرقية الدينية والانسانية . انظر : محمد البهي ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ص ٢٠٠ .
 وقيل : هو أخذ كل ما عند الغربيين من فكر ، ومنهج للبحث ، وحضارة ، وعادات ، وتقليد في فصل الدين عن السياسة ... الخ .
 انظر : محمد البهي ، مرجع سابق ، ص ٢٠٦ .

" هذا هو الداء الذى يلزم أن نبادر إلى علاجه . وليس له دواء إلا أننا نربى أولادنا على أن يتعرفوا شئون المدنية الغربية ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها . إذا أتى ذلك الحين - ونرجو أن لا يكون بعيدا - انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس ، وعرفنا قيمة التمدن الغربى ، وتيقنا أنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما فى أحوالنا إذا لم يكن مؤسسا على العلوم العصرية الحديثة ، وأن أحوال الانسان مهما اختلفت ، وسواء كانت مادية أو أدبية ، خاضعة لسلطة العلم . لهذا نرى أن الأمم المتقدمة على اختلافها فى الجنس واللغة والوطن والدين متشابهة تشابها عظيما فى شكل حكومتها وإدارتها ومحاكمها ونظام عائلتها وطرق تربيتها ولغاتها وكتابتها ومبانيها وطرقها ، بل فى كثير من العادات البسيطة كاللبس والتحية والأكل . هذا هو الذى جعلنا (نضرب الأمثال بالأوروبيين) ونشيد بتقليدهم^(١) .

كما يدعوا فى كتابه " تحرير المرأة " إلى السفور ، لأنه يعتبر السفور ليس فيه خروج على الدين أو مخالفة لقواعده ، فهو يقول :

إن الشريعة الإسلامية ليس فيها نص يوجب الحجاب على الطريقة المعروفة لدى المسلمين^(١) . ويزعم أن الطريقة المتبعة فى الحجاب لدى المسلمين إنما هى عادة عرضت لهم من مخالطة الأمم ، فاستحسنوها وأخذوا بها ، وألبسوها لباس الدين ، كسائر العادات الضارة التى تمكنت فى الناس باسم الدين ، والدين منها براء^(٢) .

فلو كان قاسم أمين فاهما لعقيدته الإسلامية الفهم الصحيح وملتزما بتعاليمها ، هل يصدر منه مثل هذه الأقوال ؟ .

(١) قاسم أمين : المرأة الجديدة ، ص ١٨٥ - ١٨٦ . نقلا عن : محمد محمد حسين :

الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ج ١ ص ٣١٠ - ٣١١ .

(٢) قاسم أمين : تحرير المرأة ، ص ٥٩ . نقلا عن : محمد محمد حسين :

الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ج ١ ص ٢٩٤ .

أليس بالأحرى أن يطالب قاسم أمين بأن تعود الأمة إلى التمسك بعقيدتها الإسلامية، وتربي أبنائها التربية الإسلامية الصحيحة، وأن يُعرف الأمة على عوامل القوة التي دفعت المسلمين الأوائل لأن يأتوا بكل ما أتوا به في جميع المجالات وخاصة في المجالات العلمية والحضارية ! ولكن إنبهار قاسم أمين بالغرب جعله ينادى بالأخذ بالأفكار الغربية، والحياة الغربية لدرجة أنه أصبح لا يرى أن السفور فيه خروج على الدين .

أما طه حسين فإنه يدعو من خلال كتابه " مستقبل الثقافة في مصر " إلى مساهمة الغربيين في تفكيرهم وفي خطواتهم في الحياة، وفي فصل الدين عن السياسة، وفي إبعاد الدين واللغة لأنهما لا يحققان الوحدة السياسية، فهو يقول : يجب أن نتعلم كما يتعلم الغربي .. ، ولنشعر كما يشعر الغربي ، ولنحكم كما يحكم الغربي ، ثم لنعمل كما يعمل الغربي ، ونصرف الحياة كما يصرفها .^(١) ويقول أيضا : " ومن المحقق أن تطور الحياة الانسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ، ووحدة اللغة لا تصلحان أساسا للوحدة السياسية ، ولا قواما لتكوين الدول .^(٢) "

ويدعو أيضا إلى الأخذ بالحضارة الغربية، خيرها وشرها، حلوها ومرها ، ما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب !^(٣) .

وهو يرى أن الاستقلال الفكري والنفسى لا يكون إلا بالاستقلال العلمى والأدبى والفنى ، وأن وسائل هذا الاستقلال هى : أن نتعلم كما يتعلم الغربى ، ونفكر كما يفكر الغربى ، ونطبق النظم الغربية كما يطبقها الغرب ، ونصرف حياتنا بالأساليب التى يصرف بها الغرب حياته !^(٤) .

(١) طه حسين : مستقبل الثقافة في مصر ، د . م . مطبعة المعارف ، ١٩٣٨ م ، د . ط .

ج ١ ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ص ١٥ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ص ٤٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ص ٤٩ - ٥٠ .

وهذا ليس إستقلالاً فكرياً بل إستعباد وتبعية فكرية .

ولو كان طه حسين فاهماً لعقيدته الاسلامية ، وملتزماً بتعاليمها ، التزاماً واقعياً لما صدر منه مثل هذه الآراء والدعوات والمطالبات التي لا تصدر من إنسان مسلم . ولكن الإنبهار بالحضارة الغربية جعله ينادى بالأخذ بها وبمعيوبها أيضاً ! وهناك الكثير من أبناء الأمة الاسلامية الذين تأثروا بالأفكار والنظريات الغربية ، والتي تظهر جليلة في مؤلفاتهم العلمية ، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن عباس محمود العقاد في كتابه " الله " كتاب في نشأة العقيدة يقول :
" ترقى الانسان في العقائد كما ترقى في العلوم والصناعات .. ، فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى ، وكذلك كانت علومه وصناعاته ، فليست أوائل العلم والصناعة بأرقى من أوائل الأديان والعبادات .. " (١) .

فهو يرى أن الانسان من لدن آدم عليه السلام أخذ يترقى في عقائده حتى وصل في النهاية الى عقيدة التوحيد ، أى أن أبونا آدم عليه السلام وذريته التي كانت معه كانوا منحرفي العقيدة ، وكانوا يعبدون آلهة أخرى غير الله ، ثم أخذت ذريته من بعده تترقى في الاعتقاد شيئاً فشيئاً حتى وصلت الى عقيدة التوحيد . ومفهوم العقاد هذا مفهوم يخالف المفهوم الاسلامي في هذا المجال ، والظاهر أن العقاد تأثر بأفكار الغربيين في هذه الناحية ، خاصة علماء المقابلة بين الأديان الذين يرون أن الأمم البدائية مرت بثلاثة أطوار في إعتقادها بالآلهة والأرباب وهي :
أ - دور التعدد . ب - دور التمييز والترجيح . ج - دور الوحدةانية . (٢)

ولا ريب أن مفهوم العقاد هذا يتناقض مع المفهوم الاسلامي في هذه الناحية ، فأادم عليه السلام كان نبياً موحداً ، والناس جميعاً كانوا موحدين ، ولكن مع ——— الزمن حدثت هناك إنحرافات في عقائد الناس ، فأرسل الله سبحانه وتعالى الرسل

(١) عباس محمود العقاد : " الله " كتاب في نشأة العقيدة ، مصر ، دار المعارف ،

د . ت ، ط ٧ ، ص ١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

للناس لكي يردونهم الى جادة الطريق طريق الفطرة التي فطر الله الناس عليها .
وعلى هذا فإن عقيدة التوحيد هي أقدم عقيدة عرفت لها البشرية ، وأن البشرية
لم تترقى في العقائد كما يزعم العقاد .
ويوضح أبو الحسن الندوي الحد الذي وصل إليه تأثر أبناء المسلمين
بالأفكار الغربية بقوله :

” .. فلا يقرأ إنسان لعالم مستشرق في الغرب بحثاً ولا يعرف له
نظرية إلا ويجد أدبياً أو مؤلفاً - في العالم الاسلامي - يتبنى هذه
النظرية بكل إخلاص ، ويشرحها ويدعو إليها في كل لباقة وبلاغة ،
مثل : بشرية القرآن ، وفصل الدين عن السياسة ، وأن الاسلام
دين لا دولة ، والدعوة إلى العلمانية ، والشك في مصادر العربية
الأولى ، والشك في قيمة الحديث العلمية ، وإنكار مكانته وحجيته
ومكانة السنة في الاسلام ، والدعوة إلى تحرير المرأة ومساواتها
بالرجل وإلى السفور ، وكون الفقه الاسلامي مقتبساً من القانون
الروماني وتأثيره في روحه وسبكه ، والدعوة إلى إحياء الحضارات
السابقة على الاسلام ، ... والدعوة إلى العامة والتأليف فيها ،
واقتباس الحروف اللاتينية ، والتقنين المدني (الاسلامي) على أساس
القانون المدني الغربي ، والدعوة إلى القومية العربية والإشتركية
المادية ... ، ترى ظلال الفكر الغربي ، بل التعبير الغربي وارفة
ممدودة على العقول (الاسلامية) والأقلام (الاسلامية) ، مسيطرة
عليها كسيطرة الأشجار الكبيرة على الحشائش الصغيرة ، منعكسة
فيها انعكاس الشمس في المرأة الوضيئة ” . (١)

٤ - سوء اختيار مواد العلوم التي تترجم :

لا خلاف في أن العلوم النظرية والتطبيقية تراث إنساني قابل للأخذ والعطاء ،
أما الأفكار الفلسفية والسياسية والعقائدية الخاصة بأمة من الأمم فإنها لا تنقل

(١) أبو الحسن علي الحسن الندي : الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة

الغربية في الأقطار الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

لأمة أخرى إلا لغرض الدراسة والنقد والمقارنة، وذلك لأن الأفكار الفلسفية والسياسية والعقائدية فى أى أمة من الأمم تتأثر بالذات القومية والتاريخية وبالعقائد الدينية وبالأخلاق السائدة فى تلك الأمة ^(١).

ومن الأمور المتعارف عليها أن أى أمة من الأمم لا تترجم إلى لغتهم إلا ما يضيف جديداً لديها فى مجال العلوم التجريبية والمادية بكل فروعها الكيميائية والطبيعية والميكانيكية النظرية والتطبيقية .

ولكن الأمة الإسلامية اتجهت فيها حركة الترجمة فى العصر الحاضر إتجاهها يختلف عن ما هو متعارف عليه لدى الأمم فى عملية الترجمة . فهى قد ترجمت للمسلمين ما ليسوا فى حاجة إليه أصلاً، ونحت عنهم ما هم فى حاجة إليه . فهى قد ترجمت لهم الفكر الوثنى والفلسفات والمذاهب المادية والإباحية فى مجالات النفس والإجتماع والأخلاق والتربية ^(٢) . فى حين أنها حالة بينهم وبين ترجمة العلوم التجريبية والمادية بكل فروعها الكيميائية والطبيعية والميكانيكية النظرية والتطبيقية . والسبب فى ذلك أن القائمين على حركة الترجمة فى معظم البلاد الإسلامية من دعاة التجديد الذين نبذوا تعاليم عقيدتهم الإسلامية وأخذوا يلهمشون وراء الأفكار الغربية، ويتسابقون لإرضاء أساتذتهم من المستشرقين الذين يوجهونهم لتنفيذ ما يطالبونهم به، فهم كأدوات فى يد الغرب ينفذون له خطط المؤتمرات التى تحاك ضد أبناء الأمة الإسلامية، لأن الغرب الكافر حريص غاية الحرص على حجب العلوم الحديثة عن الأمة الإسلامية، والحيلولة دون ولوج المسلمون فى ميدان العلم الحديث، لأنه لا يريد لهذه الأمة أن تمتلك إرادتها بل يريد لها تابعة له، مستهلكة لمنتجاته .

(١) أنور الجندى : الشبهات والأخطاء الشائعة فى الفكر الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

(٢) أنور الجندى : محاذير وأخطار فى مواجهة أحياء التراث والترجمة من الفكر الغربى ، القاهرة ، دار الاعتصام ، د . ت ، د . ط ، ص ١٩ - ٢٠ .

إن ترجمة الفكر الوثني والفلسفات والمذاهب المادية والإباحية في مجالات النفس والأخلاق والتربية لأبناء الأمة الإسلامية قد ترك آثارا بعيدة المدى فسيهدم طبائع الأمة الإسلامية، لأن هذه المترجمات تقدم مفاهيم وأعرافا ليسست إسلامية مما كتب دعاة الفلسفة المادية والإحلال الخلقى أمثال فرويد، ودوركايم، وسارتر وغيرهم^(١) فهي قد سممت الكثير من عقول أبناء الأمة الإسلامية وأفسدت كثيرا من النفوس، وخلقت أجيالا مضطربة لأنها استطاعت أن تقرأ الفكر الغربي القائم على عقائد ومفاهيم وقيم تختلف عن الفكر الإسلامى^(٢).

تقول نازك الملائكة :

"إن اتجاهات الكتب المترجمة عن الغرب تقلقنا حتى أصبحنا نخشى على نفسية القارئ: (المسلم) من رشاش هذه الموجة التي تأتينا .. من الغرب، وقد نصف هذه الموجة بالتبذل وذلك لأن التبذل هو صفتها من وجهة نظر الأمة (الإسلامية)"^(٣).

ويقول أبو الحسن الندوى :

إن ترجمة كتب دعاة الإلحاد والثورة والإضطراب الفكرى فى المجتمع الغربى قد ساعد فى إنشاء التبليد الفكرى والإضطراب الاجتماعى ، وفى ضعف شخصية الفكر الإسلامى والأدب الإسلامى ، وفى إحداث إضطراب الأفكار والمثل ومناهج الفكر.

ويقول محمد محمد حسين :

إن الإشتغال بترجمة كتب الأدب والفلسفة والتربية يضر مرتين :

(١) أنور الجندى : العودة الى منابع، د. م، دار الاعتصام، د. ت، د. ط، ص ٣٠٣ .

(٢) أنور الجندى : محاذير وأخطار فى مواجهة احياء التراث والترجمة من الفكر الغربى ، مرجع سابق ، ص ٢٠ .

(٣) نقلا عن : أنور الجندى : محاذير وأخطار ... ، ص ٢٤ .

(٤) أبو الحسن على الحسنى الندوى : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

" يضر بإفساد أذواق شبابنا وتد مير كيانهم ، وتحويل شخصيتهم بحيث يصبحون غرباء بين قومهم . ثم يصبح قومهم بعد قليل - من الوقت - هم الغرباء بينهم حين يكثّر عدد هم ويكثف جمعهم . ويضر ثانية بتبديد الجهد والمال في غير وجهه ، وصرف (المسلمين) عن الطريق الصحيح إلى تحررهم ثم سيادتهم" (١) .

إن الأمة الإسلامية اليوم تحتاج إلى الترجمة من الغرب في مجال العلوم التجريبية والمادية بكل فروعها الكيميائية والطبيعية والميكانيكية النظرية والتطبيقية، لأن هذه المجالات تنقصها ، وإذا توفرت لديها هذه المجالات فإنها تقدم لها ما يعينها على النهوض والقوة ولتمتلك إرادة الحياة ، أما ما يتصل بالمفاهيم النفسية والاجتماعية والأخلاقية ، وما يتصل بالفنون والقصص والآداب فإن الأمة الإسلامية ليست في حاجة إليه لأن لها آدابها وقيمها المستمدة من عقيدتها الإسلامية . ولو نظرنا إلى حركة النقل الأولى التي تمت على يد الأجيال الأولى من أبناء الأمة الإسلامية الذين كانوا ملتزمين بالعقيدة الإسلامية لوجدنا أن الأجيال الأولى من أبناء الأمة الإسلامية عند ما كانوا يأخذون ما يحتاجون إليه من الإغريق والرومان والفرس في المجال العلمي أو المجال المادي والتنظيمي يأخذون وهم في موقف العزلة والإستعلاء .

" كان ملء نفوسهم الإستعلاء بالإيمان والإعتزاز به ، فلم يشعروا - وهم ينقلون عن الإغريق والرومان والفرس - أنهم أقل منهم ، ولم يشعروا بالضآلة أمامهم أو بالذلة لهم لأنهم في حاجة إليهم ، بل شعروا أنهم هم الأعلى وإن كانوا في حاجة إلى غيرهم ، لأنهم مؤمنون وغيرهم ليسوا مؤمنين . ومن أجل ذلك لم يفتنوا ولم ينبهروا بما عند الجاهليين من حولهم ، فأخذوا ما أخذوا في عزلة ، وأخذوا ما رأوه نافعا لهم ولم يأخذوا ما رأوه مخالفا لعقيدتهم ، لأن موقف الإستعلاء يتيح لهم أن يتخيروا وينتقوا ،

(١) محمد محمد حسين : حصوننا مهددة من داخلها ، بيروت ، مؤسسة

بينما موقف الضعف والإستخذاء والإنبهار لا يتيح لصاحبه الفرصة للإختيار، ولا القدرة على الإختيار (كما هو واقع اليوم)، فيأخذ الغث والthin، ويأخذ من الغث أكثر مما يأخذ من thin.. (١).

وكانوا يطوعون كل ما يأخذونه من الغير - سواء في الجوانب المادية أو التنظيمية - لمنهجهم الخاص في الحياة، فأصبحوا بذلك أصلاء فيه لا مقلدين. (٢)

يقول محمد قطب :

"إن الأصالة أمر له أهميته البالغة في وقت النقل عن الغير بصفة خاصة. فالأصالة لا تمنع الإستفادة من ثمار العلم وثمار الحضارة المادية... ولكنها تمنع الذوبان وفقدان الشخصية بتأثير النقل. وأوثق أسباب الأصالة أن يكون الإنسان صاحب عقيدة وصاحب منهج خاص في الحياة، وقمة ذلك أن يكون الإنسان مسلماً لأنه يكون عندئذ صاحب العقيدة الصحيحة ومنهج الحياة الصحيح. فإذا كان مسلماً على النحو الذي كانت عليه الأجيال الأولى فقد تحققت له الأصالة في أعلى قممها، لا التي تمنع الذوبان وفقدان الشخصية بتأثير النقل فحسب، بل التي سرعان ما تكسب الحاسة الخاصة، وتنتقل في فترات وجيزة من الزمن من التلمذ إلى التمكن إلى الأستاذية." (٣)

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

* طالب القائمون على حركة الترجمة في اللجنة الثقافية بجامعة السودان العربية السفارة الأمريكية بمصر أن تختار لهم ماتراه نافعا من الكتب لكى يترجموه الى اللغة العربية ! .

فاختارت لهم من ضمن ما اختارت كتاب " مختارات من امرسون " وهو من أشد الكتب فتكا بالدين الاسلامي والأخلاق الاسلامية، وأفعلها في قتل الشخصية الاسلامية ومحو مقوماتها وتدمير تفكيرها وتسميم ينابيع الثقافة فيها . انظر: محمد محمد حسين : حصوننا مهددة من داخلها ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ ، ١٢٤ .

ثانيا : أهم آثار البعد عن العقيدة الإسلامية في المجال الحضارى :

١ - التبعية الحضارية للغرب . (١)

لكل أمة من الأمم عقيدتها ومفاهيمها وقيمها وتصوراتها الخاصة التى تقيم عليها حضارتها ، والتى توجه سلوكها وتحدد ملامحها بين الأمم الأخرى . فالأمة الإسلامية أمة قائمة على أساس العقيدة الإسلامية ، فهى أمة تقيم تصرفاتها وحضارتها على الاعتراف بالله والإعتقاد بوجوده ووحدانيته ، وأى عمل أو فكر أو إنجاز إنما يجب أن يتم فى إطار هذا الإعتقاد ، لذلك نجد أن الحضارة الإسلامية قائمة منذ البداية على مراعاة رضا الله سبحانه وتعالى فى كل خطوة ، وفى كل عمل صغير أو كبير . فهى حضارة روحها الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، ومراعاة رضاه بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه .

أما الأمتين الغربية والشرقية فإنهما لا يقيمان وزنا لله فى الحياة . فالحضارة الغربية قامت ..

” على أساس تنحية الدين المسيحى وعزله عن تنظيم الحياة ، بعد الثورة الفرنسية وغيرها فى أوروبا على تحكيم رجال الكنيسة ، ففصلوا الدين عن الدولة ، ونظموا حياتهم كما يشاءون بعيدا عن مراعاة الله فى أى نظام يخطونه لحياتهم ، فانطلقوا كما يريدون وتريد شهواتهم ، وتخطه عقولهم ، وترسم أهواءهم ، فكانت حضارة مادية ليس لله فيها نصيب ، كل همها الرقى المادى والمتعة المادية : جسدية جنسية أو غير ذلك مع إهدار القيم الروحية ” (٢) .

أما الحضارة الشرقية الماركسية فإنها قائمة على جحود الله ، ولنكار وجوده ،

(١) . نعى بالتبعية الحضارية للغرب : اقتباس الأفكار والقيم والمفاهيم الغربية التى تشكل الحياة وتصبغها بالصبغة الغربية ، بما فيها من قوانين و نظم وعادات وسلوك .

(٢) عبد المنعم النمر : حضارتنا وحضارتهم ، القاهرة ، دار المعارف ، د . ت ، د . ط ، ص ١٠ .

ومحاربة كل من يؤمن به ، فهي بذلك تقيم جميع أنظمتها على هذا الأساس (١) .
ومن المتعارف عليه أن إدخال نظام أمة من الأمم على نظام أمة أخرى يعتبر
تخريباً له واعتداءً عليه ، وتدخل في أموره الخاصة . لذلك نجد أن كل أمة — من
الأمم تحرص على استقلال الأنظمة الخاصة بها ، وتقاوم بشدة وصرامة أى نظام
غريب يحاول الدخول إلى أنظمتها الخاصة بها (٢) .

فالمسلمون يعتزون بنظامهم الإسلامى باعتباره نظاماً ربانياً منفرداً يخالف
ما عند المعسكرين الشرقى والغربى ، ويرفضون أى فكر أو نظام دخيل يؤثر على الفكر
الإسلامى والحضارة الإسلامية والنظم الإسلامية والمجتمع الإسلامى .

والغربيون يعتزون بنظامهم الرأسمالى ، ويحاربون تسرب أى فكر شيوعى إليه ،
ويحاكمون كل إنسان يحاول هدم النظام الذى أقاموه على أسس مخالفة للأسس التى
قام عليها المجتمع الشيوعى (٣) .

والشيوعيون لن يقبلوا أن يدخل على الأنظمة الشيوعية أى فكر أو نظام يخالف
أفكارهم وأنظمتهم الشيوعية ، أو ينال من المجتمع الشيوعى ويزعزعه . فهم يعتبرون
أى تسرب للفكر الإسلامى أو الغربى إلى مجتمعهم خطراً يهددهم (٤) .

وكل نظام من هذه الأنظمة — سواء الإسلامى أو الغربى أو الشيوعى — لن يدوم
ولن يكون قوياً سائداً متحكماً فى سير الحياة ، إلا إذا كان أصحابه المؤمنون به ،
محافظين عليه ، حريصين على تنفيذه ، غيارى على شخصيته . رافضين كل دخيل
عليه ، يخدمه أو يحد من هيئته ، ويواجهه فى تنظيم مجتمعه ، مدافعين عنه ضد كل
غزو من الخارج ، كما يدافعون عن أوطانهم وأموالهم بل أشد (٥) .

(١) عبد المنعم النمر: حضارتنا وحضارتهم ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٥ .

ومن الطبيعي بعد ذلك أن تحمى كل أمة من الأمم مفاهيمها وقيمها —
وتصوراتها وحضارتها ، وتحافظ عليها من أى غزو خارجى فى أى مجال من مجالات
الحياة .

ولكن فى العصر الحاضر ابتليت الأمة الإسلامية بدعاة (التجديد) الذين
تساندهم الأنظمة السياسية ، والذين يدعون إلى الأخذ بالحضارة الغربية والشرقية ،
خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، ما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب . وذلك
لأن الطبقة المثقفة ، والقادة وولاة الحكم فى بعض البلاد الإسلامية كلهم إنتاج
نظام التعليم الغربى ووليدى حضارته .

وبالفعل بدأت بعض الأنظمة السياسية فى بعض الدول الإسلامية بالأخذ
بالحضارة الغربية ، وقامت بتطبيق النظم والمبادئ الغربية فى البلاد الإسلامية
على أبناء المسلمين ، لأن هذه الأنظمة المتسلطة ترى أن الحضارة الغربية كتلة
واحدة إما أن تؤخذ كلها وإلا لا فائدة من أخذ بعضها وترك البعض الآخر ، (١)
فلو أخذ جزء من الحضارة وتركت بقية الأجزاء فإنه لا يتم التقدم العلمى والحضارى
المنشود . وهذه دعوى باطلة ، ولكن بعض ولاة الأمر على الأنظمة السياسية فى
بعض الدول الإسلامية مقتنعين بما أوهمهم به أساتذتهم فى الغرب ، فغزت بذلك
الحضارة الغربية معظم الدول الإسلامية بخيرها وشرها ، وحلوها ومرها ، حتى
غدت كل الأنظمة فى بعض الدول الإسلامية أنظمة غربية ، فالنظام السياسى نظام
غربى ، والنظام الاقتصادى نظام غربى ، والنظام القانونى نظام غربى ، والأخلاق
السائدة فى المجتمع أخلاق بالمفهوم الغربى ، والثقافة السائدة ثقافة غربية* ،

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٣٤٤ .

* أنظر : أبو الأعلى المودودى : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، مرجع

سابق ، ص ١٥٤ - ١٦٠ .

وكذلك أنظر : محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ،

ص ٣٤١ - ٣٥١ .

ونظام التعليم المطبق هو نظام التعليم الغربى* ، وكذلك النواحي المادية كخطيط المدن وبناء المساكن والفنادق تسير وتنفذ حسب المفاهيم والتصورات الغربية* . حتى أن المسلم أصبح لا يرى فى بعض البلاد الإسلامية أى شئ يذكره بالإسلام أو يذكره بأنه فى بلد إسلامى ، لأن جميع جوانب الحياة فى بعض الدول الإسلامية صبغت بطابع الحضارة الغربية الذى لا يتلاقى أبداً مع طابع الحضارة الإسلامية .

ويجب أن نلاحظ هنا أن الإسلام لا يمنع الاستفادة من المنجزات الحضارية المادية ، ولكنه فى نفس الوقت يحرم تطبيق النظم الغير إسلامية على أبناء المسلمين . إن الأمة الإسلامية عندما أخذت من قبل - من الفرس والبيزنطيين - بعض الأمور التنظيمية وبعض الأشكال المادية التى احتاجت إليها - والتى لم تكن فى رصيدها السابق من قبل - لتقيم الدولة على مستوى الكفاءة اللازمة لدولة متنامية القوة ، لم تجد فى نفسها حرجاً من ذلك . ولكن تمت عملية الأخذ وفق قاعدتين مهمتين :

"الأولى : أن الأمة لم تشعر بالصفار والإنكسار وهى تأخذ ما هى محتاجة إليه من (حضارة) أعدائها ، بل كانت تحس بالإستعلاء ، الناشئ من الإيمان : ((وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ))^(١) أى من كونهم مؤمنين وكون أعدائهم غير مؤمنين فالمؤمن هو الأعلى - بسبب إيمانه - أيّاً كانت حالته المادية أو العسكرية وغير المؤمن هو الأدنى - بسبب كفره وإعراضه عن الهدى الربانى - أيّاً كانت حالته المادية والعسكرية . فهم يشترون هذه (البضاعة) الحضارية ممن يملكها ، دون أى خضوع

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٣٩ .

* انظر : محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢١٧ - ٢٣٤ .

** انظر : ابو الحسن على الحسنى الندوى : أهمية الحضارة فى تاريخ

الديانات ، مرجع سابق ، ص ١٥ - ٣٠ .

روحى له ، ودون أى إكبار له ، لأنه لا يستحق الإكبار وهو معرض عن دين الله .

والثانية : أن الأمة - فى حركة الأخذ هذه - لم تأخذ إلا ما كانت فى حاجة إليه .. فهى لم تأخذ كل ما كان عند أعدائها من التنظيمات والأشكال المادية من الحضارة ، إنما أخذت فقط ما شعرت أنها محتاجة إليه من هذه (البضاعة الحضارية) . وأهم من ذلك أنها حين أخذت تلك التنظيمات والأشكال المادية لم تأخذ معها قط المبادئ والنظم التى كانت لاصقة بها عند الذين أخذت عنهم - فقد كانت تلك المبادئ والنظم قائمة على عقائد وتصورات جاهلية ، لا تصلح للمسلمين البتة ، وليس المسلمون فى حاجة إليها ، لأن دينهم فيه الغناء عنها ، بل هم مأمورون أمراً ألا يتخذوا شيئاً منها ، وإلا فهى ردة جاهلية لا تستقيم مع الاسلام " (١) .

لقد كان الأجدد بدعة التجديد ، والقائمين على النظم السياسية فى بعض الدول الاسلامية ، أن يقلدوا الغرب فى مظاهر الجِد والعمل والإبتكار والإتقان الذى يبدو فى الغرب ، والذى تطالبنا به عقيدتنا الاسلامية .

وكان الأجدد ربهم أن يأخذوا من الحضارة الغربية ما يحتاجون إليه فى الأمور التنظيمية أو الأشكال المادية المجردة من الأفكار اللاصقة بها .

لكن الذى حدث بالفعل من قبل دعاة التجديد ، والقائمين على النظم السياسية فى بعض الدول الاسلامية أنهم أخذوا من مساوئ الحضارة الغربية أكثر من أخذهم لمنافعها . فهم قد اتجهوا إلى الأشياء النافعة ، ولكن اتجاههم إليها كان بجهد متعاض متخاذل متعثر الخطوات (٢) . أما الأشياء الفاسدة فقد سارعوا إليها واستوعبوها كلها ، وعبوا منها عباً كأنما هى الزاد (٢) ، وأما النظم فقد سعوا إلى إستيرادها وتطبيقها فى المجتمعات الإسلامية ، ضاربين بذلك

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٤ .

صفحة ١١١ - أنزل الله (١) .

وهذا كله راجع إلى بعد هؤلاء^٢ عن العقيدة الإسلامية ، وعن تعاليمهم — السمحاء ، مما جعلهم يرتمون في أحضان الغرب ، ويستوردوا حضارته التي لا تتلاقى مع المفاهيم والقيم والمبادئ الإسلامية . وبهذا أصبحت النظم الإسلامية ليست هي السائدة ، وليست هي الموجهة لكافة جوانب الحياة المختلفة ، لأن أبناءها تخلو عنها ، ولم يدافعوا عنها ، بل قاوموها ، وأحلوا مكانها نظاما غير إسلامي — شرقية كانت أم غربية — وأخذوا يدافعون عن هذه النظم المستوردة بكل غال ورخيص ! .

إن هذه التبعية الحضارية للغرب ، التي بدون ضابط ، أدت إلى تجميع اكوام كبيرة من منتجات الحضارة الغربية لم تصنع شيئا للأمة الإسلامية سوى أنها جعلتها أمة إستهلاكية من الدرجة الأولى . وأدت أيضا إلى تنمية التخلف في الأمة الإسلامية الناتج عن تطبيق النظم التربوية والتعليمية المستوردة من الغرب والتي وضعت خصيصا لجعل الأمة الإسلامية أمة إستهلاكية ومتخلفة (٢) .

٢ - التخلف الزراعي :

يعتبر التخلف الزراعي في العالم الإسلامي مظهرا أساسيا من مظاهر التخلف الحضاري* الناتج عن البعد عن العقيدة الإسلامية . فمعظم الدول الإسلامية ليست مكنته إكفاء ذاتيا في مواردها الغذائية ، فهي تأكل مما لاتزرع وذلك بالرغم من توفر المقومات الزراعية لديها .

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٣٤٤ .

(٢) مجلة منار الإسلام ، العدد الثاني ، شهر صفر الخير ، ٤٠٨ هـ ، ص ١٠٢ .

* هناك مظاهر كثيرة للتخلف الحضاري في العالم الإسلامي ، وسوف يكفى الباحث بعرض بعض المظاهر التي من خلالها نتعرف على الواقع الحضاري المؤلم الذي يعيشه العالم الإسلامي بسبب بعده عن العقيدة الإسلامية .

وبالنظر إلى الإحصائية التالية تتضح لنا كمية المواد الغذائية التي استوردتها
بعض الدول الإسلامية في عام ١٩٨٤ - ١٩٨٥ م^(١).

الدولة	كمية الاستيراد	النوع
بنغلاديش	٢٦٥ مليون طن	حبوب
تركيا	٣٥٠.٠٠٠ طن	قمح
تونس	٨٠٠.٠٠٠ طن	قمح
الجزائر	٢٨٨ مليون طن	حبوب
سورية	أكثر من مليون طن	قمح
العراق	٣٢٢ مليون طن	قمح
مالى	٣٣٠.٠٠٠ طن	حبوب
ماليزيا	٥٠٠.٠٠٠ طن	أرز

وتعتبر إندونيسيا وهي أكبر دولة إسلامية من حيث عدد السكان (١٦٥ مليون نسمة) أكبر دولة مستوردة للأرز في العالم ، فهي تشتري من ربع إلى ثلث مجموع الصادرات العالمية من الأرز^(٢).

ولو نظرنا إلى الدول العربية باعتبارها جزءاً مهماً من أجزاء العالم الإسلامي ، لوجدنا أن المساحة الكلية للعالم العربي تبلغ (١٣٢٧٧١٠.٠٠٠) كيلو متراً مربعاً ، وأن المساحة المزروعة تمثل حوالي ١٦ ٪ فقط من هذه الأراضي ، يروى ٢٥ ٪ منها رياً دائماً يسمح بأكثر من محصول في السنة ، بينما ٧٥ ٪ منها تعتمد على مياه الأمطار ، ولا يزرع فيها سوى محصول واحد في السنة^(٣) . لذلك نجد أن العجز الغذائي في القمح زاد في الدول العربية من ٥٧ ٪ (في الفترة من ٧٥-١٩٧٩ م) إلى ٦٦ ٪ (من ٨٠-١٩٨٤ م) ! أي أن واردات الدول العربية من القمح زادت

(١) مجلة الأمة ، عدد ذي الحجة ، ١٤٠٦ هـ ، ص ١٣-١٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٣) مجلة منار الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٨٠ .

من (٤٨) مليون طن سنة ١٩٧٠ م إلى (١٩٩) مليون طن سنة ١٩٨٣ م أي
بزيادة قدرها ٣١٤٪ في مدة ١٢ سنة ! (١)

وقد دفع الوطن العربي عام ١٩٧١ م حوالي (٢) مليار دولار ثمنًا لاستيراد
القمح ، وفي عام ١٩٨٠ م أصبحت مدفوعاته عشرة أضعاف ذلك أي (٢٠) مليار
دولار ، ويتوقع الخبراء أن يصبح الرقم عام ١٩٩٠ م ما مقداره (٩٠) مليار دولار (٢)
فلو عمل القائمون على الأنظمة السياسية في العالم الاسلامي على إستصلاح
الأراضي الزراعية ، وانفقوا ولو جزءًا يسيرًا من الأموال التي دفعوها لشراء القمح
لبناء السدود وحفر الآبار وشق الترع ، ودعم القطاع الزراعي في أوطانهم لما
أصبحت الحالة الزراعية في العالم الاسلامي على هذه الحالة المزرية ، ولما أنتشرت
المجاعات في الكثير من الدول الاسلامية . ولكن البعد عن العقيدة الاسلامية
وعن تعاليمها هو الذي أدى إلى هذا الوضع الزراعي المشين في العالم
الاسلامي . قال تعالى :

« وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (٣)

إن الإنسان ليعجب عندما يرى كثيرا من الدول الاسلامية التي تتوفر لديها
جميع المقومات الزراعية ، تستورد المواد الغذائية الأساسية من غيرها ! ، في حين
استطاعت دولة كالمملكة العربية السعودية لا تتوفر لديها جميع المقومات الزراعية
أن توفر لنفسها الإكتفاء الذاتي من أهم غذاء أساسي هو القمح ، ولم تتوقف عند
ذلك الحد ، بل أخذت في زيادة الإنتاج حتى أصبحت من الدول المصدرة للقمح !
فالعراق ، وسوريا ، ومصر مثلا ، من الدول الاسلامية التي تتوفر لديها جميع
المقومات الزراعية (أرض خصبة + مياه متوفرة + أيدي عاملة + مناخ ملائم) لكنهم

(١) مجلة منار الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٨٢-٨٣ .

(٢) مجلة الحوادث ، عدد ٢٨ تشرين الأول ، ١٩٨٣ م ، ص ٥٩ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ٩٦ .

يعتمدون على غيرهم في توفير المواد الغذائية الأساسية لهم ! .

فالجمهورية العراقية استوردت في عام ٨٤-٩٨٥ م (٣٢٢) مليون طن من القمح ، وسورية استوردت في نفس الفترة أكثر من مليون طن من القمح ،^(١) ومصر تستورد الطعام بما قيمته (٨) ملايين دولار في اليوم الواحد !^(٢) .

من هنا نستطيع أن نتبين الفارق بين النظم السياسية التي تلتزم بالعقيدة الإسلامية في كافة جوانب الحياة ، والنظم السياسية التي لا تلتزم بالعقيدة الإسلامية ، بل تجدها وتوصمها بالرجعية والتخلف . فالمملكة العربية السعودية ، قامت أصلاً على العقيدة الإسلامية ، والنظام السياسي في المملكة العربية السعودية هو النظام الوحيد في العالم الإسلامي الملتزم بالعقيدة الإسلامية ، لذلك نجد أن جميع النظم الأخرى المتعلقة بكافة جوانب الحياة فيها تسير وفق العقيدة الإسلامية التي توجه كافة جوانب الحياة وتوجيهها ربانيا مستمداً من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فلا عجب إذًا عندما نرى إخلاص القائمين على الأمور في كافة مناحي الحياة في المملكة العربية السعودية ، لأنهم يقومون بهذا بدافع من عقيدتهم الإسلامية التي تربوا عليها .

ويحضر الباحث في هذه الأثناء الحديث الذي دار بين وزير الزراعة السعودي (عبد الرحمن آل الشيخ) ، ووزير الزراعة الأمريكي (جون بلوك) ، حيث قال الثاني للأول عندما بدأت المملكة العربية السعودية العمل في مشروعها الزراعي الطموح قال له :

لماذا تتعبون أنفسكم وتتفقون هذه الأموال الطائلة لزراعة القمح ؟ ! ، ونحن باستطاعتنا أن نوفر لكم ما تحتاجون إليه من القمح بمبالغ أقل من المبالغ التي تنفقونها في إستصلاح الأراضي الزراعية لزراعة القمح بكثير .

(١) مجلة الأمة ، مرجع سابق ، ص ١٣-١٤ .

(٢) نبيل صبحي الطويل : الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ، قطر ، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ، ٤٠٤ هـ ، ص ٥٩ .

فقال له وزير الزراعة السعودي :

ونحن بإستطاعتنا أن نوفر لكم ماتحتاجون إليه من البترول بمبالغ أقل من المبالغ التي تنفقونها في البحث والتنقيب عن البترول . فتوقفوا عن التنقيب والحفر واستخراج البترول ونحن نتوقف عن إستصلاح الأراضي الزراعية ، وزراعة القمح .

فأمريكا تستغل القمح كسلعة سياسية للسيطرة على شعوب العالم ، وخاصة العالم الاسلامي ، باعتبار أنها تملك أكبر فاعل منه . وللأسف الشديد فإن بعض الأنظمة السياسية في العالم الاسلامي تعتمد على ما يسمى بالمعونات الزراعية الأمريكية التي تكون في البداية غير مشروطة بشروط معينة ، وتهمل العناية بالإنتاج الزراعي في أراضيها ، وبعد سنوات توضع لها شروط معجزة ، فإذا رفضت الأنظمة السياسية هذه الشروط أوقفت المعونة . لذلك نجد أن بعض النظم السياسية في العالم الاسلامي واقعة بسبب بعدها عن العقيدة الإسلامية - تحت فخ ما يسمى بالمعونة أو ذل المعونة الأمريكية (١) .

٣ - التخلف الصحي :

ومن مظاهر التخلف الحضاري في العالم الاسلامي الناتج عن البعد عن العقيدة الإسلامية التخلف الصحي . حيث إن معظم الشعوب الإسلامية في العالم الاسلامي تعاني كثيرا من إنتشار الأمراض فيما بينها ، لأنها لا تجد الرعاية الصحية المطلوبة من قبل النظم السياسية التي تسيطر عليها .

ولذا ألقينا نظرة على الحالة الصحية في الشرق الأوسط المسلم والذي يبلغ عدد السكان فيه حوالي (٢٥٠) مليون نسمة ، والذي يعتبر من أحسن المناطق في العالم الاسلامي نجد أن فيه تقديريا : مليون حالة من السل ، وسبعة ملايين ونصف مليون فقدان البصر (العمى) ، و (٢١٧) مليوناً من السكان معرضون

(١) جان سيمون : صحة الشرق الأوسط ، إصدار منظمة الصحة العالمية ، ١٩٨٠ م .

نقلا عن : نبيل صبحي الطويل ، الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

للإصابة بمرض الملاريا ، بالإضافة إلى عدة ملايين من المصابين بضعف البصر .^(١)

ونجد أن نسبة وفيات الرضع تتراوح فيه ما بين ٥ إلى ٢٠ ٪ ، في حين نجد النسبة في الولايات المتحدة الأمريكية ٨ ٪ (إحصاءات عام ١٩٧٥ م) .^(٢) فمن مجموع أحد عشر مليوناً من المواليد في الشرق الأوسط المسلم سنوياً يموت مليونان : مليون ونصف طفل يموتون في سن الرضاعة (أقل من سنة) ، ونصف مليون طفل يموتون قبل سن الثالثة ،^(٣) وذلك لعدم توفر الرعاية الصحية المطلوبة لهؤلاء الأطفال ، مما تسبب في انتشار بعض الأمراض كالإسهالات المعوية ، والأُمراض السارية كالملاريا والحصبة وغيرها من الأمراض التي تتسبب في وفاة الكثير من هؤلاء الأطفال .^(٤)

وإذا نظرنا إلى ما توفره بعض الدول في الشرق الأوسط المسلم من رعاية صحية لأبنائها مقارنة ببعض الدول الغربية والشرقية نجد أنها غير كافية . فمثلاً نجد أنه لا يوجد إلا سرير واحد في المستشفيات لكل ٤٦٤ مواطناً في مصر ، و ١٠٥٤ في سوريا ، و ١٠٩٧ في السودان ، و ٩٣٧ في الأردن ، مقابل سرير واحد لكل ١٤٩ مواطناً في الولايات المتحدة الأمريكية ، و ٩٨ في فرنسا ، و ٨٦ في الاتحاد السوفياتي ،^(٥) وكذلك نجد أن نسبة السكان في العالم العربي - باعتباره يشكل الجزء الأكبر في الشرق الأوسط المسلم - الذين يشربون الماء النقي

(١) جان سيمون : صحة الشرق الأوسط ، إصدار منظمة الصحة العالمية ، ١٩٨٠ م .

نقلاً عن : نبيل صبحي الطويل : الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

(٢) نبيل صبحي الطويل : الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ، مرجع سابق ، ص ٨٢ .

(٣) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(٥) جريدة الرياض ، العدد (٥٣٣٥) ، الأحد ٩ - ٤ - ١٤٠٣ هـ ، ص ١٤ .

لا تزيد عن ١٥ ٪ فقط (١).

إن الإنفاق على الخدمات الطبية في الشرق الأوسط المسلم يكاد يكون معدوماً إذا قورن بالإنفاق على السلاح، فالنظم السياسية القائمة في الشرق الأوسط المسلم تنفق أموالاً طائلة لشراء السلاح، فهي قد اشترت عام ١٩٨٠ م سلاح ب (٤٩٢٦) مليون دولار، واشترت عام ١٩٨١ م سلاح ب (٤٢٨٧) مليون دولار (٢). فلو دفعت هذه النظم جزءاً بسيطاً من هذه الأموال الطائلة للخدمات الطبية لما كان في الشرق الأوسط المسلم اليوم مليون شخص مصابون بمرض السل، و (٦٠) مليون طفل معرضون للإصابة بفقدان البصر. حيث تقدر تكاليف علاج المليون شخص المصابون بمرض السل ب (٢٥٠) مليون دولار إذا عولجوا بأعلى أنواع العقاقير الحديثة (٣)، كما تقدر تكاليف وقاية (٦٠) مليون طفل من الإصابة بمرض فقدان البصر ب (٦) ستة ملايين دولار أمريكي (٤).

إن حماية الإنسان ووقايته من الأمراض من الأهمية بمكان، حيث يجب أن يصبح الإنفاق على حمايته من الأمراض متقارباً ولو جزئياً مع الإنفاق على السلاح الذي توفره النظم السياسية لحماية الأوطان والشعوب. ولكن الأمر المؤسف حقاً هو أن ميزانية وزارة الصحة في معظم دول العالم الإسلامي - باستثناء بعض الدول النفطية - ليست من الأولويات، لذا فهي في ذيل القائمة من حيث المخصصات إذا قورنت ببقية الوزارات في الدولة الواحدة، وكذلك إذا قورنت بوزارات الصحة في بعض الدول الكافرة. فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن دولة كالسويد أنفقت في عام ١٩٧٦ م على الخدمات الطبية (٥٥٠) دولاراً على كل

(١) جريدة الرياض، العدد (٥٣٣٥)، الأحد ٩-٤-١٤٠٣ هـ، ص ١٤.

(٢) نبيل صبحي الطويل: الحرمان والتخلف في ديار المسلمين، مرجع سابق،

ص ٩١.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٤) المرجع السابق، ص ٨٩.

مواطن في العام، في حين نجد أن دولة إسلامية كبنغلادش تنفق على كل الخدمات الطبية (٤) سنتات على كل مواطن في العام (١).

مما سبق يتضح لنا مدى التخلف الصحي الذي تعاني منه شعوب العالم الإسلامي، والذي يمثل مظهراً من مظاهر التخلف الحضاري الناتج عن عدم الالتزام بالعقيدة الإسلامية .

٤ - التخلف الاقتصادي :

ومن مظاهر التخلف الحضاري في العالم الإسلامي الناتج عن عدم الالتزام بالعقيدة الإسلامية، التخلف الاقتصادي، الذي يعاني منه المسلمون في كثير من الدول الإسلامية .

فالدخل القومي في أكثر بلاد العالم الإسلامي يضع الشخص المسلم في أقل مستوى الأدميين، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن دخل الفرد في مصر بلغ عام ١٩٧٤ م ٨٧ دولار أمريكي في العام، وفي سيراليون عام ١٩٧٧ م ٨٠ دولار أمريكي، وفي الصومال عام ١٩٧٦ م ٦٥ دولار أمريكي، وفي بنغلاديش عام ١٩٧٥ م ٤٦ دولار أمريكي، وفي أندونيسيا عام ١٩٧٧ م ٣٨ دولار أمريكي (٢).

ويسود معظم الدول الإسلامية فقر مدقع وحرمان شديد، فقد ذكرت مصادر البنك الدولي أن في سنة ١٩٧٨ م كان حوالي (٨٠٠) مليون شخص يعيشون في فقر مطلق، وأغلبهم من المسلمين الذين يعيشون في جنوبي آسيا ولبنان ونيسيا وأفريقيا الاستوائية (٣). كما ذكرت مصادر الأمم المتحدة أن أكثر من نصف سكان "بنغلاديش" البالغ عددهم (٩٢) مليوناً من البشر، يعيشون دون مستوى الكفاف وذكرت وكالة رويتر للأخبار أن ١٠٪ من سكان العاصمة البنغلاديشية "دكا"

(١) نبيل صبحي الطويل : الحرمان والتخلف في ديار المسلمين، مرجع سابق، ص ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠ .

(٣) المرجع السابق، ص ٣١ .

والبالغ مجموعهم ٢٥ مليون نسمة هم من الشحاذيين (١) .

وفيما يلي إحصائية تبين لنا نسبة الفقريين السكان في بعض الدول الإسلامية :

الصومال	:	تبلغ نسبة الفقر فيها عام ١٩٧٦ م	٧٠٪
اندونيسيا	:	، ، ، ، عام ١٩٧٧ م	٨٠٪
بنغلاديش	:	، ، ، ، عام ١٩٧٥ م	٧٤٪
تنزانيا	:	، ، ، ، عام ١٩٦٩ م	٦٥٪
سيراليون	:	، ، ، ، عام ١٩٧٧ م	٥٥٪
ماليزيا	:	، ، ، ، عام ١٩٧٠ م	٥٥٪ (٢)

إن الفقر المنتشر بهذه الصورة في معظم الدول الإسلامية ناتج عن عدم إخلاص النظم السياسية في معظم الدول الإسلامية لشعوبها ، لأن الأراضي الإسلامية تحتوي على ثروات كبيرة ، فلو استغلت هذه الثروات الموجودة في العالم الإسلامي الاستغلال الأمثل لما أصبح حال معظم المسلمين بهذه الحالة التي يرثي لها . فالعالم العربي على سبيل المثال لا الحصر نجد أنه يشغل مساحة كلية من الأراضي قدرها (١٣٥٢) مليون هكتار (أى أنه يحتل المركز الرابع من حيث المساحة في العالم بعد الصين والهند والاتحاد السوفيتي) (٣) ، يستغل منها ما يقرب من خمسين مليون هكتار فقط ، ويحتوى ٢٤٤ مليون هكتار من المراعى ، وتنتشر فيه الغابات على مساحة تقدر بـ ١٣٨ مليون هكتار ، ويملك ثروة حيوانية تقدر بـ ٢٥٪ من جملة الموجود في العالم ، فضلا عن الثروة النفطية التي تشمل ٣٠٫٧٪ من الإنتاج العالمى لعام (١٩٧٢ م) كما يمثل احتياطيه ٥٦٫٥٪ من مجموع الاحتياطى العالمى ، بالإضافة إلى وجود الثروات المعدنية المتنوعة فيه ، حيث بلغ إنتاج العالم العربى منها عام ١٩٧١ م ٢٧٢٪ من مجموع إنتاج الفوسفات في العالم ، و ٣٥٪ من مجموع إنتاج الأنتيمون ، و ٣٪ من إنتاج الرصاص ،

(١) نبيل صبحى الطويل : الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ، مرجع سابق ، ص ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٣) مجلة منار الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٨٠ .

و ٢٠.٣٪ من إنتاج الحديد ... مما يشكل في مجموعه ثروات هائلة . ومع توفر هذه الثروات فإن أكثرية الشعب العربي المسلم تعيش فقيرة بائسة تعيش لا تتجاوز قوتها العاطلة ٣٠٪ من المجموع ^(١) . ومتحملة لديون كثيرة أثقلت كاهلها وحرمتها الكثير من الحقوق التي تتمتع بها الشعوب الأخرى . فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن ديون مصر بلغت عام ١٩٨٢ م (١٩٢٠٠) مليون دولار ، وديون السودان بلغت عام ١٩٨٢ م (٧٨٠٠) مليون دولار ، وديون سوريا بلغت عام ١٩٨١ م (٣٩٠٠) مليون دولار ^(٢) .

ومن العجيب أن بعض هذه القروض أموال إسلامية مودعة في البنوك الغربية؟! أى أن بعض الدول الإسلامية تقترض الأموال الإسلامية من طرق ثالث بتكلفة اقتصادية وسياسية أعلى ! .

فقد بلغت بعض الأرصدة الإسلامية في الخارج عام ١٩٨٣ م حوالى (٤٠٠) بليون دولار ، منها (٨٠٪) أودعت في دول منظمة التعاون الإقتصادي ، و ١٤٪ منها في العالم الثالث بما فيها الدول الإسلامية ، و ٦٪ من المؤسسات المالية الدولية ؟! ^(٣) .

إن بُعد بعض النظم السياسية في العالم الإسلامى عن العقيدة الإسلامية وتعاليمها هو السبب في إثقال كاهل الشعوب الإسلامية بالديون الخارجية التي هي في غنى عنها لو أخلص القائمون على هذه الشعوب في إستغلال الثروات الطبيعية لديهم الإستغلال الأمثل . وهو السبب في جعل الدول الكبرى الدائنة تؤثر على الدول الإسلامية الفقيرة المدينة - بسبب النظم السياسية - على

(١) جريدة الرياض، العدد (٥٣٣٥) ، الأحد ، ٩ / ٤ / ١٤٠٣ هـ ، ص ١٤ .

(٢) نبيل صبحي الطويل ، الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ، مرجع سابق ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) مجلة منار الإسلام ، صفر ١٤٠٨ هـ ، ص ٨١ ، ٨٢ .

سياساتها الداخلية والخارجية . (١)

مما سبق يتضح لنا مدى التخلف الإقتصادي الذي تعاني منه الشعوب الإسلامية ، والذي يمثل مظهرا من مظاهر التخلف الحضاري الناتج عن عدم الالتزام بالعقيدة الإسلامية .

(١) نبيل صبحي الطويل : الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ، مرجع سابق ،

الفصل الختامي

- النتائج
- التوصيات
- قائمة المصادر والمراجع

النتائج

توصل الباحث من خلال هذه الدراسة الى عدة نتائج من أهمها مايلي :

- ١ - ان العقيدة الاسلامية هي القوة الحقيقية الدافعة لكل عمل خير ، فهي الدافعة للتعليم ، وهي الدافعة للتخلق بالأخلاق الحسنة ، وهي الدافعة لانشاء نهضة علمية مباركة مقيدة بتقوى الله سبحانه وتعالى وحشيته ، ومتحلية بالأخلاق الاسلامية الحميدة ، وهي الدافعة لعمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني الذي ينشئ حضارة انسانية شاملة ، لا مادية ولا آلية متجردة من الانسانية ، والذي ينشئ كذلك حضارة انسانية ملتزمة بالأخلاق الحميدة في كافة مجالات الحياة .
- وحيث التزمت الاجيال الأولى من أبناء الامة الاسلامية - التي لم تكن من قبل أمة علم ولا حضارة ولا نظام - بهذه العقيدة ، والتزمت بالمنهج التربوي المنبثق عنها حسنت تربيتها ، فأنشأت أكبر حركة علمية وقتئذ ، وأنشأت أكبر حركة حضارية وقتئذ ، وأنشأت أكبر دولة اسلامية منظمة وقتئذ .
- ٢ - ان الامة الاسلامية عندما ابتعدت عن العقيدة الاسلامية في العصور الحالية حدث لها كل أنواع التخلف في مختلف المجالات ، حدث لها التخلف العلمي والحضاري والاقتصادي والحربي والسياسي والفكري والثقافي .
- ٣ - اذا التزم العالم المسلم بالعقيدة الاسلامية الصحيحة وتربى وفق المنهج التربوي المنبثق عن هذه العقيدة ، فان ذلك ينعكس على علمه ، بحيث لا يصدر منه الا كل علم نافع ومفيد ، سواء كان ذلك في مجال العلوم الاجتماعية أو في مجال العلوم الطبيعية .
- ٤ - اذا طبقت العقيدة الاسلامية الصحيحة التطبيق الصحيح في أي زمان ومكان ، فانها تأتي بنفس النتائج الايجابية التي جاءت بها الاجيال الأولى . وهذا مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم : " تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي " .
- ٥ - أن الغرب يخطط لبقاء العالم الاسلامي في حالة من التخلف ، وذلك بالفصل بينه وبين عقيدته الصحيحة التي هي مصدر قوته .
- ٦ - ان الدول الاسلامية سهلت مهمة الغزو الثقافي بقصد أو بدون قصد حين وضعت المناهج التعليمية متأثرة بتوجيهات الغرب .

التوصيات

- ١ - الهبادة بالعمل على نشر العقيدة الاسلامية الصحيحة بين المسلمين في كافة أرجاء العالم الاسلامي ، لأن العقيدة الاسلامية الصحيحة هي الدافع لكل عمل خير ينشده المسلمون اليوم .
- ٢ - على القائمين على نظم التعليم في البلاد الاسلامية أن يعملوا بجهد على جعل التعليم في بلدانهم تعليماً إسلامياً ، وذلك عن طريق صياغة كافة مناهج المواد الدراسية في كل المراحل التعليمية صياغة إسلامية صحيحة ووفق المنهج الرباني .
- ٣ - على القائمين على نظم التعليم في البلاد الاسلامية أن يركزوا على تعليم العقيدة الاسلامية الصحيحة وثبيتها في نفوس الطلاب منذ الصغر ، وذلك عن طريق وضع مادة دراسية باسم " العقيدة الاسلامية " توضح من خلالها العقيدة الاسلامية الصحيحة على أساس أنها منهج حياة متكامل يهدف إلى إخراج الإنسان الصالح الذي يحقق المنهج الرباني في واقع الأرض ، وتقرر هذه المادة على مراحل التعليم كل بقدر ما يناسبه ابتداءً من الصف الأول الابتدائي ، وانتهاءً بآخر مراحل التعليم الجامعي ، ويمكن للدول الاسلامية أن تستفيد من خبرة المملكة العربية السعودية في هذا المجال .
- ٤ - على النظم السياسية في العالم الاسلامي أن تمنع نشر أي فكر أو تصور يخالف مبادئ وتصورات العقيدة الاسلامية ، وهذا من أوجب الواجبات على الحكومات في العالم الاسلامي لأن حماية العقيدة والفكر الاسلامي من الضرورات التي يجب أن تقوم بها أي حكومة إسلامية .
- ٥ - ضرورة وضع مادة علمية دراسية جديدة باسم " مفاهيم ينبغي أن تصحح " توضح المفاهيم الاسلامية التي ينبغي للمسلم أن يلتزم بها ، مع بيان المفاهيم الخاطئة في نفس الوقت ، وذلك لكي يتضح الفرق بين المفهوم الصحيح والمفهوم الخاطيء ، ومن ثم يوضح السلوك العملي الناتج من كلا المفهومين ،

المصادر والمراجع
~~~~~

### قائمة المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - أبو الأعلى المودودي .  
نحن والحضارة الغربية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ ، د . ط .
- ٣ - أبو الأعلى المودودي .  
واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢ هـ ، ط ه .
- ٤ - أبو زيد شلبي .  
تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٦ م ، ط ه .
- ٥ - أبي القاسم بن حوقل النصيبي .  
صورة الأرض ، بيروت دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٩ م ، د . ط .
- ٦ - أبو اليزيد أبو زيد العجمي .  
السلوك الخلقى للمسلم ، ملحق مجلة الجندى المسلم ، المملكة العربية السعودية ، وزارة الدفاع والطيران ، العدد ٣٩ ، د . ت .
- ٧ - أحمد إبراهيم الشريف .  
دراسات فى الحضارة الإسلامية ، د . م ، دار الفكر العربى ، ١٩٨١ م ، ط ٢ .
- ٨ - أحمد أمين .  
كتاب الأخلاق ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٩٧٤ م ، د . ط .
- ٩ - أحمد أمين .  
ضحى الإسلام ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، د . ت ، ط ١ ، ج ٢ .
- ١٠ - أحمد البيلسى .  
التصور الإسلامى لمناهج التربية والتعليم ، مكة المكرمة ، المركز العالمى للتعليم الإسلامى ، ١٤٠٣ هـ .



- ١١- أحمد شلبي .  
التربية الإسلامية، نظمها، فلسفتها، تاريخها، القاهرة، مكتبة النهضة،  
 ١٩٨٢م، ط ٧ .
- ١٢- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .  
الايان، دمشق، المكتب الاسلامي، ١٤٠١هـ، ط ٣ .
- ١٣- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .  
العبودية، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٤هـ، طبعة جديدة .
- ١٤- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .  
العقيدة الواسطية، تقديم مصطفى العالم، جدة، دار المجتمع،  
 ١٤٠٦هـ، ط ٨ .
- ١٥- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .  
مجموعة الفتاوى / جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الرباط،  
مكتبة المعارف، د. ت. د. ط، ج ٨ .
- ١٦- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .  
فتح الباري بشرح صحيح البخاري، د. م. دار الفكر، د. ت. ج ١ .
- ١٧- أحمد بن علي الخطيب البغدادي .  
تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت. د. ط، ج ٤ .
- ١٨- أحمد بن علي المقرئ .  
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرئية،  
بيروت، دار صادر، د. ت. د. ط، ج ٢ .
- ١٩- أحمد علي الملا .  
أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، دمشق، دار الفكر،  
 ١٤٠١هـ، ط ٢ .
- ٢٠- أحمد بن علي بن شعيب النسائي .  
سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي والامام السندى، د. م. دار  
الفكر، ١٣٤٨هـ .

- ٢١- أحمد بن فارس بن زكريا .  
معجم مقاييس اللغة مصره مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٩١ هـ ، ط ٤ ، ج ٢ .
- ٢٢- أحمد فؤاد باشا .  
التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة  
 ج ١٠٠ ، ع ، دار المعارف ، ١٤٠٣ هـ .
- ٢٣- أحمد فؤاد باشا .  
فلسفة العلوم بنظرة إسلامية مصره دار المعارف ، ١٤٠٤ هـ .
- ٢٤- أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة .  
عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د . ت ، د . ط .
- ٢٥- أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان .  
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، د . ت ، د . ط ، ج ١ .
- ٢٦- أحمد بن محمد بن محمد المكناسي .  
أشرف المقاصد في شرح المقاصد ، د . م ، المطبعة الخيرية ، مالكةا عمر حسين الخشاب ، ١٣٢٥ هـ .
- ٢٧- أحمد محمد محمود سليمان .  
دراسات في العقيدة في ضوء العقل والعلم ، القاهرة ، دار الطباعة المحمدية ، ١٤٠١ هـ ، ط ٢ .
- ٢٨- أحمد بن محمد بن مسكوة .  
تهذيب الأخلاق في التربية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠١ هـ .
- ٢٩- أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده .  
مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ ، ج ٢ .
- ٣٠- أحمد نوفل ، وآخرون .  
في الثقافة الإسلامية ، عمان ، دار عمار للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤ هـ .

٣١- آدم مستر .

الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري / ترجمة محمد  
عبد الهادي أبوريدة، القاهرة، لجنة التأليف والنشر، ١٣٦٠ هـ، د. ط.

٣٢- اسماعيل بن حماد الجوهري .

الصاحح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين،  
١٣٩٩ هـ، ط ٢، ج ٢ .

٣٣- اسماعيل بن عباد .

المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن آل ياسين، بغداد، مطبعة  
المعارف، ١٣٩٥ هـ، ج ١ .

٣٤- اسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) .

البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٧٧ م، ط ٢، ج ١ .

٣٥- أنور الجندي .

الاسلام تاريخ وحضارة، م. د. دار الاعتصام، د. ت. د. ط .

٣٦- أنور الجندي .

تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة، م. د. دار الاعتصام، د. ت. د.  
د. ط .

٣٧- أنور الجندي .

سقوط العلمانية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٣٩٣ هـ .

٣٨- أنور الجندي .

الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الاسلامي، م. د. دار الاعتصام،  
د. ت. د. ط .

٣٩- أنور الجندي .

العودة الى منابع، م. د. دار الاعتصام، د. ت. د. ط .

٤٠- أنور الجندي .

قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الاسلام، بيروت، مؤسسة  
الرسالة، ١٤٠١ هـ .

- ٥٢- جابر الجزائرى . أبوبكر .  
العلم والعلماء ، القاهرة ، دار الكتب السلفية ، د . ت ، د . ط .
- ٥٣- جابر الجزائرى ، أبوبكر .  
منهاج المسلم ، د . م ، دار الفكر ، ١٣٩٦ هـ ، ط ٨ .
- ٥٤- جابر عبد الحميد جابر / أحمد خيرى كاظم .  
مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، القاهرة ، النهضة العربية ،  
 ١٣٨٨ هـ ، ط ٢ .
- ٥٥- جاك س . رسيلىر .  
الحضارة العربية / ترجمة غنيم عبدون ، القاهرة ، الدار المصرية ،  
 د . ت ، د . ط .
- ٥٦- جلال محمد عبد الحميد موسى .  
منهج البحث العلمى عند العرب ، بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ،  
 د . ت ، د . ط .
- ٥٧- جلال مظهر .  
حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العالمى ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ،  
 ١٩٧٤ م ، د . ط .
- ٥٨- جودت سعيد .  
حتى يغيروا ما بأنفسهم ، دمشق ، دار الثقافة للجميع ، ١٣٩٥ هـ ، ط ٢ .
- ٥٩- حافظ بن أحمد حكى .  
٢٠٠ سؤال وجواب فى العقيدة الاسلامية ، القاهرة ، دار الاعتصام ،  
 د . ت ، د . ط .
- ٦٠- حسن ابراهيم حسن .  
تاريخ الاسلام السياسى ... ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧ ،  
 ج ٤ .
- ٦١- حسن ابراهيم عبد العال .  
مقدمة فى فلسفة التربية الاسلامية ، الرياض ، عالم الكتب ، ١٤٠٥ م ،  
 د . ط .

- ٦٢- حسن أحمد البنا .  
العقائد ، د . م ، دار الشهاب ، د . ت ، د . ط .
- ٦٣- حسن الباشا .  
مدخل الى الآثار الاسلامية ، مصر ، دار النهضة المصرية ، ١٩٧٩ م ،  
د . ط .
- ٦٤- حسن الترابسى .  
الايمان وأثره في حياة الانسان ، الكويت ، دار القلم ، ١٤٠٣ هـ ، ط ٤ .
- ٦٥- حسنين محمد مخلوف .  
كلمات القرآن تفسير وبيان ، د . م ، د . ن ، د . ت ، د . ط .
- ٦٦- الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني .  
المفردات في غريب القرآن ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، بيروت ، دار  
المعرفة ، د . ت ، د . ط .
- ٦٧- حكمت نجيب عبد الرحمن .  
دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، وزارة التعليم العالي والبحث  
العلمي ، جامعة الموصل ، ١٩٨٥ م ، ط ٤ .
- ٦٨- زغلول راغب النجار .  
قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الاسلامي ، قطر ، مركز  
البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية ، ١٤٠٩ هـ .
- ٦٩- زكريا هاشم زكريا .  
فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ، القاهرة ، دار نهضة  
مصر ، د . ت ، د . ط .
- ٧٠- زيفريد هونكة .  
شمس العرب تسطع على الغرب / ترجمة فاروق بيضون - كمال دسوقي ،  
بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠٦ هـ ، ط ٨ .
- ٧١- سعيد اسماعيل على .  
معاهد التعليم الاسلامي ، القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٧٨ م ، د . ط .
- ٧٢- سعيد اسماعيل على .  
دراسات في التربية الاسلامية ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٢ م ، د . ط .

- ٧٣ - سعيد اسماعيل على .  
معاهد التربية الاسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٦م، د. ط.
- ٧٤ - سعيد الديوه جى .  
التربية والتعليم فى الاسلام، الموصل، مكتب التراث العربى، د. ت،  
 د. ط.
- ٧٥ - سليمان بن الأشعث .  
سنن أبى داود، بيروت، دار الفكر، د. ت، د. ط، ج٤ .
- ٧٦ - سليمان بن حسان الأندلسى المعروف بابن جليل .  
طبقات الأطباء والحكماء / تحقيق فؤاد سيد، بيروت، مؤسسة  
 الرسالة، ١٤٠٥هـ، ط ٢ .
- ٧٧ - سيد سابق .  
العقائد الاسلامية، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ، د. ط.
- ٧٨ - سيد قطب .  
دراسات اسلامية، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٣٩٣هـ، د. ط.
- ٧٩ - سيد قطب .  
خصائص التصور الاسلامى ومقوماته، الكويت، الاتحاد الاسلامى  
 العالمى للمنظمات الاسلامية، ١٣٩٨هـ، د. ط، القسم الاول .
- ٨٠ - سيد قطب .  
معالم فى الطريق، بيروت، دار الشروق، ١٣٩٩هـ، ط ٦ .
- ٨١ - سيد قطب .  
فى ظلال القرآن، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٢هـ، ط ١،  
 ٦ مجلدات .
- ٨٢ - سيد قطب .  
أفراح الروح، الدمام، دار ابن القيم، ١٤٧٧هـ، ط ٢ .
- ٨٣ - سير توماس أرنولد .  
تراث الاسلام / ترجمة جرجيس فتح الله، بيروت، دار الطليعة،  
 ١٩٧٨م، ط ٣ .

- ٨٤ - شاكِر عبد الجبار .  
المنهج العلمى للاعتقاد ، بغداد ، مكتبة القدس ، ١٩٨٤ م .
- ٨٥ - صالح بن أحمد بن حنبل .  
سيرة الامام أحمد بن حنبل / تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ،  
 الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٤٠١ هـ .
- ٨٦ - طه حسين .  
مستقبل الثقافة في مصر ، د . م . مطبعة المعارف ، ١٩٣٨ م ، د . ط .  
 ج ١ .
- ٨٧ - ظهير الدين البيهقي .  
تاريخ حكماء الاسلام / تحقيق محمد كرد علي ، دمشق ، مطبعة المفيد  
 الجديدة ، ١٣٩٦ هـ ، ط ٢ .
- ٨٨ - عابد توفيق الهاشمي .  
مدخل الى التصور الاسلامي للانسان والحياة ، عمان ، دار الفرقان ،  
 ١٤٠٢ هـ .
- ٨٩ - عباس محمود العقاد .  
" الله " كتاب في نشأة العقيدة ، مصر ، دار المعارف ، د . ت . ط ٧ .
- ٩٠ - عبد الجواد رجب .  
الايمان بالبرهان ، د . م . دار التراث العربي ، د . ت . د . ط .
- ٩١ - عبد الحكيم قاسم .  
الايدولوجية والتربية بين المسيحية والاسلام ، د . م . دار الفكر  
 العربي ، د . ت . د . ط .
- ٩٢ - عبد الحليم الجندى .  
احمد بن حنبل وامام أهل السنة ، العراق ، لجنة التعريف بالاسلام ،  
 الكتاب الخامس والستون ، ١٣٩٠ هـ ، د . ط .
- ٩٣ - عبد الحميد الصيد الزنتاني .  
أسس التربية الاسلامية في السنة النبوية ، ليبيا ، تونس ، الدار العربية  
 للكتاب ، د . ت . د . ط .

- ٩٤ - عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي .  
الاتقان في علوم القرآن ، بيروت ، دار الفكر ، د . ت ، د . ط ، ج ٢ .
- ٩٥ - عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي .  
تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي / تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ،  
 القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٣٨٥ هـ ، ط ٢ ، ج ١ .
- ٩٦ - عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد الرازي .  
كتاب الجرح والتعديل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، عن الطبعة  
 الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن  
 الهند ، ١٢٧١ هـ ، ج ١ .
- ٩٧ - عبد الرحمن بن الجوزي .  
تليس ابليس ، د . م ، دار الفكر ، د . ت ، د . ط .
- ٩٨ - عبد الرحمن بن الجوزي .  
ذم الهوى / تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مراجعة محمد الفزالي ، د . م ،  
 د . ن ، ١٣٨١ هـ .
- ٩٩ - عبد الرحمن بن الجوزي .  
مناقب الامام أحمد بن حنبل ، بيروت ، خانجي وحمدان ، د . ت ، ط ٢ .
- ١٠٠ - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني .  
أسمى الحضارة الاسلامية ووسائلها ، دمشق ، بيروت ، دار القلم ،  
 ١٤٠٠ هـ ، ط ٢ .
- ١٠١ - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني .  
غزو في الصميم ، دمشق ، دار القلم ، ١٤٠٥ هـ ، ط ٢ .
- ١٠٢ - عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب .  
خمس رسائل ، ضمن مجموعة كتاب الجامع الفريد ، قدم له زيد بن  
 عبد العزيز بن فياض ، د . م ، د . ن ، د . ت ، د . ط .
- ١٠٣ - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون .  
مقدمة ابن خلدون ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٨١ م ، ط ٤ .



- ١٠٤ - عبدالرحمن النحلاوي .  
التربية الاسلامية والمشكلات المعاصرة ، بيروت ، المكتب الاسلامي ،  
 ١٤٠٢ هـ .
- ١٠٥ - عبدالرزاق نوفل .  
المسلمون والعلم الحديث ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٣٩٣ هـ ،  
 ط ٣ .
- ١٠٦ - عبدالعزيز محمد السلطان .  
الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية ، الرياض ، مطابع المجدد  
 التجارية ، ١٤٠١ هـ ، ط ١١ .
- ١٠٧ - عبدالعزيز محمد السلطان .  
الاسئلة والأجوبة الأصولية ، د. م. د. ن. ، ١٤٠٣ هـ ، ط ١٢ .
- ١٠٨ - عبدالغني الدقر .  
أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ، دمشق - بيروت ، دار القلم ، ١٣٩٩ هـ .
- ١٠٩ - عبدالله عزام .  
العقيدة وأثرها في بناء الجيل ، عمان ، مكتبة الأقصى ، ١٤٠٠ هـ ، ط ٣ .
- ١١٠ - عبدالمجيد النجار .  
العقل والسلوك في البنية الاسلامية ، مدين ، مطبعة الجنوب ،  
 د. ت. د. ط .
- ١١١ - عبدالمنعم النمر .  
حضارتنا وحضارتهم ، القاهرة ، دار المعارف ، د. ت. د. ط .
- ١١٢ - عز الدين فراج .  
فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوربية ، د. م. ، دار الفكر العربي ،  
 ١٩٧٨ م ، د. ط .
- ١١٣ - عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الأيجي .  
المواقف / تحقيق على بن محمد الجرجاني ، مصر ، مطبعة السعادة ،  
 ١٣٢٥ هـ ، ج ١ .

- ١١٤ - عفيف عبد الفتاح طيارة .  
روح الدين الاسلامي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٥ م ، ط ٢٥ .
- ١١٥ - علي أحمد الجرجاوى .  
حكمة التشريع وفلسفته ، د . م . د . ن ، ١٣٨١ هـ ، ط ٥ ، ج ٢ .
- ١١٦ - علي الطنطاوى .  
تعريف عام بدين الاسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١ هـ ، ط ١١ .
- ١١٧ - علي عبد الحليم محمود ، وآخرون .  
الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، بحث مقدم لمؤتمر الفقه الاسلامي الذي عقدته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ، جامعة الامام محمد بن سعود ، ١٤٠٤ هـ ، د . ط ، أربعة أقسام .
- ١١٨ - على عبد الله الدفاع .  
لمحات من تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، القاهرة - الرياض ، الخانجي ، الرفاعي ، د . ت ، د . ط .
- ١١٩ - على عبد الله الدفاع .  
نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات ، نيويورك ، دار جون وايلي وابناؤه ، د . ت ، د . ط .
- ١٢٠ - على عبد المنعم عبد الحميد .  
العقيدة الاسلامية ، الكويت ، دار القلم ، ١٤٠٠ هـ .
- ١٢١ - على محمد جريشة - محمد شريف الزبيق .  
أساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي ، القاهرة ، دار الاعتصام ، د . ت ، د . ط .
- ١٢٢ - على بن محمد بن علي الجرجاني .  
التعريفات ، مصر ، مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٢ هـ ، د . ط .
- ١٢٣ - علي الحسنى الندوى ابو الحسن .  
ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، الكويت ، دار القلم ، ١٣٩٣ هـ ، ط ١٠ .

- ١٢٤ - على الحسنى الندوى أبو الحسن .  
أهمية الحضارة فى تاريخ الديانات ، المدينة المنورة ، مكتبة الدار ،  
 ١٤٠٢ هـ .
- ١٢٥ - على الحسنى الندوى أبو الحسن .  
الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الاسلامية ،  
 الكويت ، دار القلم ، ١٤٠٥ هـ ، ط ٥ .
- ١٢٦ - على الحسنى الندوى أبو الحسن .  
الاسلام أثره فى الحضارة وفضله على الانسانية ، القاهرة ، دار الصحوة ،  
 ١٤٠٦ هـ .
- ١٢٧ - على بن يوسف القفطى .  
إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، بغداد ، مكتبة المثنى ، د . ت . د . ط .
- ١٢٨ - عماد الدين خليل .  
معاول فى جدار العلمانية ، مقال فى مجلة الوعى الاسلامى ، العدد  
 ١٣٨٩ ، ٥٥ هـ .
- ١٢٩ - عمر سليمان الأشقر .  
العقيدة فى الله ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٩٨٤ م ، ط ٥ .
- ١٣٠ - عمر فروخ .  
تاريخ العلوم عند العرب ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٤ م ،  
 ط ٤ .
- ١٣١ - عمر محمد التومى الشيبانى .  
فلسفة التربية الاسلامية ، طرابلس ، المنشأة العامة للنشر ، ١٩٨٦ م ،  
 ط ٦ .
- ١٣٢ - قدرى حافظ طوقان .  
تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، بيروت ، دار الشروق ،  
 د . ت . د . ط .
- ١٣٣ - لويس معلوف اليسوعى .  
المنجد فى اللغة والأعلام ، بيروت ، دار المشرق ، د . ت . ط ٥ .

- ١٣٤ - محمد ابراهيم الصيحي .  
أثر العرب في الحضارة الأوربية ، القاهرة ، مكتبة الوعى العربى ،  
 ١٩٦٨ م ، ط . ١ .
- ١٣٥ - محمد ابراهيم الصيحي .  
التجارة والاقتصاد عند العرب ، القاهرة ، مكتبة الوعى ، ١٩٦٩ م ، ط . ١ .
- ١٣٦ - محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى .  
مختار الصحاح / ترتيب محمود خاطر ، القاهرة ، دار الحديث ، د . ت ،  
 د . ط . ١ .
- ١٣٧ - محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية .  
روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، مكة المكرمة ، دار الباز للطباعة  
 والنشر ، د . ت ، د . ط . ١ .
- ١٣٨ - محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية .  
زاد المعاد فى هدى خير العباد / تحقيق محمد حامد فقى ، مصر ،  
 مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧١ هـ ، د . ط . ١ .
- ١٣٩ - محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية .  
الفوائد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٣ هـ ، ط ٢ .
- ١٤٠ - محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية .  
مدارج السالكين / تحقيق محمد حامد فقى ، بيروت ، دار الكتاب العربى ،  
 ١٣٩٣ هـ ، ط ٢ ، ج ٢ .
- ١٤١ - محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية .  
مفتاح دار السعادة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د . ت ، د . ط ، ج ١ .
- ١٤٢ - محمد أبوزهرة .  
ابن حنبل حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، القاهرة ، دار الفكر العربى ،  
 د . ت ، د . ط . ١ .
- ١٤٣ - محمد أبو الفيط الفرت ، محمد رواس قلعة جى .  
العقيدة الاسلامية فى مواجهة المذاهب الهدامة ، الكويت ، دار  
 البحوث العلمية ، ١٤٠٣ هـ .

- ١٤٤ - محمد بن أبى يعلى .  
طبقات الحنابلة ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧١هـ ،  
د . ط ، ج ١ .
- ١٤٥ - محمد بن أحمد الأزهرى .  
تهذيب اللغة / تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، د . م ، المؤسسة  
المصرية العامة ، ١٣٨٤هـ ، ج ١ .
- ١٤٦ - محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى .  
الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٣٧٣هـ ،  
ط ٢ ، ج ٢٠ .
- ١٤٧ - محمد بن أحمد بن جبير ( ت ١٤٦١هـ ) .  
رحلة ابن جبير ، بيروت ، دار صادر ، ١٤٠٠هـ ، د . ط .
- ١٤٨ - محمد بن أحمد السفارنى .  
لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة  
فى عقد الفرقة المرضية ، د . م ، د . ن ، د . ت ، د . ط ، ج ١ .
- ١٤٩ - محمد أحمد الغمراوى .  
الاسلام فى عصر العلم ، د . م ، دار الكتب الحديثة ، ١٣٩٣هـ ، د . ط .
- ١٥٠ - محمد بن اسحاق بن النديم .  
الفهرست ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٩٨هـ ، د . ط .
- ١٥١ - محمد أسد .  
الاسلام على مفترق الطرق / ترجمة عمر فروخ ، د . م ، دار العلم  
للملايين ، ١٩٧٤م ، ط ٧ .
- ١٥٢ - محمد بن اسماعيل البخارى .  
صحيح البخارى ، د . م ، د . ن ، د . ت ، د . ط ، ج ٩ .
- ١٥٣ - محمد أعلى بن على التهانوى .  
موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات  
الفنون ، بيروت ، خياط ، د . ت ، د . ط ، ج ٤ .

- ١٥٤ - محمد أمين المصري .  
لمحات في وسائل التربية الاسلامية وغاياتها ، بيروت ، القاهرة ، دار  
 الفكر ، ١٣٩٨ هـ ، ط ٤ .
- ١٥٥ - محمد البهـى .  
الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر مشكلات الحكم والتوجيه ، بيروت ،  
 دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٥ م ، ط ٢ .
- ١٥٦ - محمد بيصار .  
العقيدة والأخلاق ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٣ م ، ط ٤ .
- ١٥٧ - محمد جلال كشك .  
الطريق الى مجتمع عصرى ، القاهرة ، المختار الاسلامى ، د . ت . د . ط .
- ١٥٨ - محمد حافظ الشريدة .  
العقيدة أساس التربية والنظم الاسلامية ، رسالة دكتوراه فى الشريعة  
 الاسلامية بجامعة أم القرى غير منشورة ، ١٤٠٣ هـ .
- ١٥٩ - محمد بن الحسن الزيدى الاشبلى .  
مختصر العين ، تحقيق غلال الفاسى ، محمد بن ثابت الطبخى ، الدار  
 البيضاء ، مكتبة الوحدة العربية ، د . ت . د . ط .
- ١٦٠ - محمد حسين الذهبى .  
التفسير والمفسرون ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٣٩٦ هـ ، ط ٢ ،  
 ج ٢ .
- ١٦١ - محمد الحسنى .  
الاسلام الممتحن ، القاهرة ، المختار الاسلامى ، ١٣٩٧ هـ .
- ١٦٢ - محمد الذهبى .  
تذكرة الحفاظ للذهبي ، بيروت ، دار احياء التراث العربى ، د . ت .  
 د . ط ، ج ١ .
- ١٦٣ - محمد سعيد رمضان .  
من أسرار المنهج الربانى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ هـ ، ط ٢ .

- ١٦٤ - محمد بن صالح بن عثيمين .  
رسائل في العقيدة ، الرياض ، دار طيبة ، ١٤٠٦ هـ ، ط ٢ .
- ١٦٥ - محمد الصادق عرجون .  
سنن الله في المجتمع من خلال القرآن ، جدة ، الدار السعودية ،  
١٤٠٤ هـ ، ط ٣ .
- ١٦٦ - محمد الصادق عفيفي .  
تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٦ م ،  
د . ط .
- ١٦٧ - محمد عبدالعزيز الخولي .  
الأدب النبوي ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٩٥ هـ ، د . ط .
- ١٦٨ - محمد عبدالقادر أحمد .  
طرق تعليم التربية الإسلامية ، بيروت ، المكتبة الأموية ، ١٩٨٣ م ، د . ط .
- ١٦٩ - محمد بن عبد الله بن حمدويه الحاكم النيسابوري .  
المستدرك على الصحيحين ، الهند ، دائرة المعارف العثمانية ،  
١٣٤٤ هـ ، مصور عن الطبعة الأولى .
- ١٧٠ - محمد بن عبد الله الزركشي .  
البرهان في علوم القرآن / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ،  
دار المعرفة ، د . ط ٢ ، ج ٢ .
- ١٧١ - محمد بن عبد الله اللواتي .  
رحلة ابن بطوطة / تحقيق محمد عبدالمنعم العريان ، بيروت ، دار  
أحياء العلوم ، ١٤٠٧ هـ ، ج ٢ .
- ١٧٢ - محمد علي الجوزو .  
مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ، بيروت ، دار العلم للملايين ،  
١٩٨٣ م ، ط ٢ .
- ١٧٣ - محمد علي الصابوني .  
التبيان في علوم القرآن ، طبع على نفقة حسن شربتلي ، ١٤٠٠ هـ ، ط ٢ .

- ١٧٤ - محمد على الصابوني .  
صفوة التفاسير، بيروت، دار القرآن الكريم، ١٤٠٢ هـ، ط٤، ج٣ .
- ١٧٥ - محمد بن عيسى بن سورة الترمذى .  
الجامع الصحيح / تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، دار الفكر، ١٤٠٣ هـ، ط٢ .
- ١٧٦ - محمد فتحى عثمان .  
القيم الحضارية فى رسالة الاسلام، جدة، الدار السعودية، ١٤٠٢ هـ.
- ١٧٧ - محمد قطب .  
التطور والثبات فى حياة البشر، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٠ هـ، ط٤ .
- ١٧٨ - محمد قطب وآخرون .  
الثقافة الاسلامية، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٣٩٦ هـ، المستوى الرابع .
- ١٧٩ - محمد قطب .  
جاهلية القرن العشرين، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٣٩٥ هـ، د. ط .
- ١٨٠ - محمد قطب .  
دراسات قرآنية، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٣ هـ، ط٤ .
- ١٨١ - محمد قطب .  
فى النفس والمجتمع، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٣ هـ، ط٧ .
- ١٨٢ - محمد قطب .  
منهج التربية الاسلامية، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٣ هـ، ط٧، ج١ .
- ١٨٣ - محمد قطب .  
هل نحن مسلمون، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٣ هـ، د. ط .
- ١٨٤ - محمد قطب .  
قياسات من الرسول، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٤ هـ، ط٩ .



- ١٨٥ - محمد قطب .  
واقعنا المعاصر ، جدة ، مؤسسة المدينة للصحافة ، ١٤٠٢ هـ .
- ١٨٦ - محمد قطب .  
مفاهيم ينبغي أن تصحح ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٨ هـ ، ط ٢ .
- ١٨٧ - محمد المبارك .  
بين الثقافتين ، د . م ، دار الفكر ، ١٤٠٠ هـ ، د . ط .
- ١٨٨ - محمد متولى الشعراوى .  
منهج التربية فى الاسلام ، د . م ، دار السلم ، د . ت ، د . ط .
- ١٨٩ - محمد المجذوب .  
مشكلات الجيل فى ضوء الاسلام ، د . م ، دار الاعتصام ، ١٣٩٩ هـ ، ط ٣ .
- ١٩٠ - محمد ماهر حمادة .  
المكتبات فى الاسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧ هـ ، ط ٥ .
- ١٩١ - محمد محمد حسين .  
حصوننا مهددة من داخلها ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ هـ ، ط ٨ .
- ١٩٢ - محمد محمد حسين .  
الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ ، ط ٧ ، ج ٢ .
- ١٩٣ - محمد بن محمد الغزالى أبو حامد .  
احياء علوم الدين ، بيروت ، دار المعرفة ، د . ت ، د . ط ، ج ٥ .
- ١٩٤ - محمد بن محمد الغزالى أبو حامد .  
معيار العلم / تحقيق سليمان دنيا ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٦١ م ، د . ط .
- ١٩٥ - محمد الغزالى .  
عقيدة المسلم ، دمشق ، بيروت ، دار القلم ، ١٣٩٩ هـ ، ط ٢ .
- ١٩٦ - محمد بن محمد العمادى .  
تفسير أبى السعود . المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ، بيروت ، دار احياء التراث العربى ، د . ت ، د . ط ، ج ٥ .

- ١٩٧ - محمد محمود الصواف .  
المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، الدمام ، دار الاصلاح ،  
 د . ت ، د . ط .
- ١٩٨ - محمد بن مكرم بن منظور الأفریقی المصری .  
لسان العرب ، بیروت ، دار صادر ، دار بیروت ، ١٣٧٥ هـ ، د . ط ، ج ٣ .
- ١٩٩ - محمد نعیم یاسین .  
الایمان أركان له حقیقته نواقضه ، د . م ، د . ن ، ١٤٠٥ هـ ، ط ٤ .
- ٢٠٠ - محمد نمر الخطیب .  
موقف الدین من العلم ، بیروت ، دار العربیة ، ١٤٠٢ هـ .
- ٢٠١ - محمد بن یزید القزوی بنی ماجه .  
سنن ابن ماجه / تحقیق محمد فؤاد عبدالباقی ، بیروت ، دار الفکر ،  
 د . ت ، د . ط .
- ٢٠٢ - محمود أحمد خفاجی .  
فی العقیده الاسلامیة بین السالفیة والمعتزلة تحلیل ونقد ، د . م ،  
 د . ن ، ١٣٩٩ هـ ، ج ١ .
- ٢٠٣ - محمود شلتوت .  
الاسلام عقیده وشریعة ، بیروت ، دار الشروق ، ١٤٠٤ هـ ، ط ١٣ .
- ٢٠٤ - محمود عبد الوهاب فاید .  
التربیة فی کتاب الله ، د . م ، دار الاعتصام ، ١٣٩٨ هـ ، ط ٥ .
- ٢٠٥ - مسلم بن الحجاج القشیری .  
صحیح مسلم بشرح النووی ، بیروت ، دار الفکر ، د . ت ، د . ط ، ج ١٨ .
- ٢٠٦ - مصطفى حلمی .  
قواعد المنهج السلفی ، الاسکندریة ، دار الدعوة ، ١٤٠٥ هـ ، ط ٢ .
- ٢٠٧ - مصطفى السباعی .  
من روائع حضارتنا ، دمشق ، بیروت ، المكتب الاسلامی ، ١٤٠٢ هـ ، ط ٣ .

- ٢٠٨ - مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة .  
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، بيروت ، مكتبة المثنى ، د . ت ،  
 د . ط ، ج ٢ .
- ٢٠٩ - مقدار يالجن .  
التربية الاخلاقية الاسلامية ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ١٣٩٧ هـ .
- ٢١٠ - مقدار يالجن .  
جوانب التربية الاسلامية الاساسية ، د . م . د . ن ، ١٤٠٦ هـ .
- ٢١١ - مناع القطان .  
مباحث في علوم القرآن ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٠ هـ ، ط ٧ .
- ٢١٢ - منصور بن يونس البهوتي .  
الروض المربع بشرح زاد المستقنع / تصحيح ومراجعة أحمد وعلي  
 محمد شاكر ، القاهرة ، دار التراث ، د . ت ، د . ط .
- ٢١٣ - نبيل صبحي الطويل .  
الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ، قطره رئاسة المحاكم الشرعية  
 والشئون الدينية ، ١٤٠٤ هـ .
- ٢١٤ - هشام ابراهيم الخطيب .  
الوجيز في الطب الاسلامي ، عمان ، دار الأرقم ، ١٤٠٥ هـ .
- ٢١٥ - يحيى بن شرف بن مري النووي .  
صحيح مسلم بشرح النووي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٢ هـ ، ط ٢ ، ج ١ .
- ٢١٦ - يوسف بن عبد البر .  
جامع بيان العلم وفضله ، د . م ، دار الفكر ، د . ت ، د . ط ، ج ٢ .
- ٢١٧ - يوسف القرضاوي .  
الخصائص العامة للاسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ هـ ، ط ٢ .
- ٢١٨ - يوسف القرضاوي .  
الرسول والعلم ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ هـ .
- ٢١٩ - يوسف القرضاوي .  
حقيقة التوحيد ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٤٠٥ هـ ، ط ٢ .

### الصحف والمجلات

- ١ - جريدة الرياض، العدد ٥٣٣٥، الأحد ٩/٤/١٤٠٣ هـ .  
جريدة يومية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض .
- ٢ - مجلة الامة، العدد الثاني عشر، ذي الحجة، ١٤٠٦ هـ .  
مجلة اسلامية شهرية جامعة، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، الدوحة .
- ٣ - مجلة الجهاد، العدد الثامن والأربعون، ربيع أول، ١٤٠٩ هـ .  
مجلة اسلامية شهرية خاصة بالجهاد الأفغاني، تصدرها دار الجهاد في بيشاور، باكستان .
- ٤ - مجلة الحوادث، عدد ٢٨ تشرين الاول، ١٩٨٣ م .
- ٥ - مجلة منار الاسلام، العدد الثاني، السنة الثالثة عشر، صفر الخير، ١٤٠٨ هـ .  
مجلة اسلامية ثقافية شهرية، تصدر عن وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف، الامارات العربية المتحدة .
- ٦ - مجلة الوعي الاسلامي، السنة العاشرة، العدد ١١٤ .  
مجلة اسلامية ثقافية شهرية، تصدر عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الكويت .
- ٧ - نشرة لهيب المعركة، العدد ٣٠، في ٨/٥/١٤٠٩ هـ .  
نشرة أسبوعية خاصة بالجهاد الأفغاني، تصدر عن مكتب الخدمات لمؤسسة الشهيد الدكتور عبد الله عزام، بيشاور، باكستان .

+++++

تمت ولله الحمد